المنهل

AL MANHAL

مجلة العرب الأدبية

العدد (٥٥٨) المجلد (٦١) العام [٦٥] صفر ١٤٢٠ هـ - مايو/ يونيه ١٩٩٩م

تاريخ الصحافة السعودية في عهد الملك عبد العزيز

المذنَّبات

زُوَّار على غير موعد من الفضاء الخارجي

الغاز الطبيعي ؟!

زمبابوي .. قلب إفريقيا الذهبي

أهمية الصورة في القطعة الأدبية

رعاية الطفولة والأمومة في التراث الطبي



وقفة مع كتاب ابن مالك «سبك المنظوم»

المنهل

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة العربية السعودية - جدة عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

المركز الرئيسي:

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض: ص.ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم - مصر ٢٥٠ قرشا - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

الاشتراكات:

صفر ١٤٢٠هـ



اتجاه حسن .. واتجاه أحسن

فيما قبل الحرب العالمية الثانية انبعثت من بعض الأدباء همسات موفقة تقول بأن الطريق السوي لرفع مستوى التفكير في البلاد، انما هو باتجاه حملة الاقلام الى ميدان «التأليف» الواسع، بدلا من حشد الجهود في هذا الباب الضيق المحدود: «أدب المقالة والقصيدة».

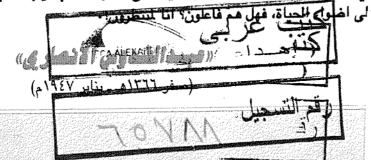
وانزوت الفكرة بعد طغيان موجة الحرب فيما انزوى من مظاهر الادب فلما هدأت الدنيا وانبعثت أصوات الأدب في الآفق من جديد عادت النغمة الداعية الى التأليف من جديد.

والتأليف فن له شروط ولوازم، وله وسائل وروافد، وهو بدون هذه المهيئات عبارة عن «سواد في بياض» وتتمثل في الثقافة الكافية، والبيان المشرق الجميل، وامتلاك ناصية الموضوع؛ وسمو الهدف.. وهذه أمور، وإن كانت محدودة عندنا، إلا أن من واجبنا - ونحن نتحفز للحاق بقافلة العالم الحديث في الادب والحياة - أن نتقدم فندلي بدلائنا، ونساهم بجهودنا فمن سار على الدرب وصل.

وأدبنا بحمد الله؛ قد تخطى «عتبة البدائية الأولى» وقد تخطى معه فن التأليف ذلك الدور أيضا. فقد كان أغلب ما صدر منه قبل الحرب «مؤلفات جمعية». أما بعدها فقد أصبح التأليف «ذا شخصية» بعض الشيء وخاصة في أدب السيرة وأدب الشعر.

وهذه ظاهرة قمينة بالتسجيل، لما تنبيء به من نمو تفكير وتحسن اتجاه.. على أن ماضي البلاد القصي والقريب، وأوضاعها القديمة اللامعة والقاتمة وملابساتها على مر الاجيال، وآثارها المطمورة ومعالمها المجهولة، وموجبات تأخرها في الماضي وموجبات انبعاثها في الحاضر والمستقبل - كل هذه آفاق مشرقة تنتظر الرائدين وتتطلع الى الباحثين والناشرين.

فيحسن بأدبائنا أن يعنوا بها، وأن يثبتوا للعالم تساميهم للمشاركة في هذا الاتجاه الاحسن، تقدماً بالحياة على اضواء الأدب، ونهضة بالأدب الى اضواء الحياة، فهل هم فاعلون؟ انا لمنتظرون..

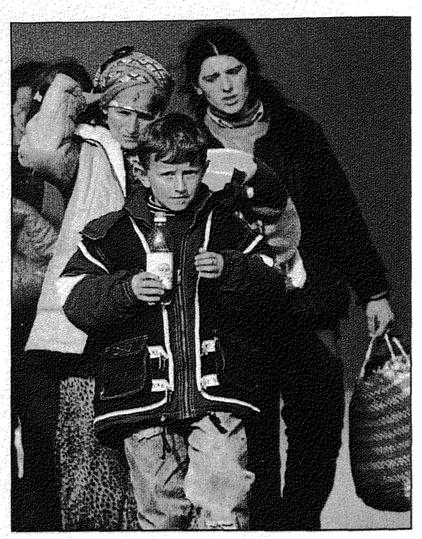


«عبدالقدوس الأنصاري»

(صفر ١٣٦٦هـ - يناير ١٩٤٧م)

بسم الله الرحمن الرحيم

لقطة الشهر



«كوسـوفا ... إبادة عرقية .. تهجير جماعي .. تشريد ومجاعة .. على أعتاب القرن الحادي والعشرين.

فهل لهذه المأساة من نهاية؟!!».

اشارة

تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

صاحب المجلة
رئيس التحرير

نبيه بن عبدالقدوس الأنصاري

مستشار التحرير

أ.د / عبدالرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
المدير العام

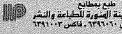
زهير بن نبيه الأنصاري

عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.



غلاف العدد



طبع بمطابع
شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر
جدة . تليفون ٦٣٩٦٠٦٠ . فاكس ٦٣٩١٠٠٣

المنهل
Almanhal
مجلة شهرية للأدب والعلوم والثقافة

العدد: (٥٥٨)
المجلد: (٦١)
العام: (٦٥)

الفهرس





صفر ١٤٢٠ هـ - مايو / يونيه ١٩٩٩م

وكلاء التوزيع
الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ - وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ -
الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ - الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ -
شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ - دار الثقافة للطباعة/ الدوحة



فقرات مستلة

منهليات

منهجية الزمن

ما بين المولد والممات، زمن يستغرق حركة حياة الإنسان بكاملها.

هذا الزمن المستوعب لنشاط البشر على الأرض محسوب بدقة متناهية لكل فرد على وجه هذه البسيطة.. ومنهج الاسلام، هو منهج أداء فاعل، يأخذ بيد المسلم - بكل الجد والفاعلية - لكي يفيد ايجاباً من استثمار هذا الزمن (المحسوب بدقة متناهية) لصالحه، ولصالح مجتمعه، ولصالح أمته.

وهذه دوائر ممتاسكة، متلاحقة، تنداح في بعضها لتمثل دائرة كبرى، تستوعب حركة الحياة عند المسلمين كافة.

وحسب الانسان ان يكون مُحَاسَباً، ضمن ما يُحَاسَبُ عليه (عن عمره فيما أفناه).

وهذا العمر هو الزمن. (الثواني والدقائق والساعات، الأيام والأسبوع والشهر، العام والأعوام).

من هذا المنظور، الإنسان في المنهج الاسلامي، منظومة من العمل الدؤوب، والجد الذي لا يفتر ولا ينقضي، وحركة الحياة عند المسلم، ينبغي أن تكون حركة صاعدة، متنامية، مستشرفة للقمة.

وفي استشرافه هذا يستصحب معه كل دلائل الخير.

واقع الحياة التى يعيشها المسلمون الآن، واقع تظله سحب داكنة، قاتمة.. يحيط بهم الشر من كل مكان.

ذلك لأن حركة الحياة عندنا بطيئة وتسير الى غير غاية أو هدف..

وكان لنا أن نكون شيئاً يُهاب ويُحسب له ألف حساب وحساب..

وكان لنا أن نصبح في عالم اليوم (رقماً) من الصعب على الآخر ان يتخطاه.

أما الآن.. وقد أحيط بنا، هل نعيد حساب منهجية الزمن من جديد..؟!

لعلنا نفعل شيئاً.

المحرر

معرض الكتاب السعودي خلال مئـ

في مدينة الرياض في المملكة العربية السعودية أقيم معرض ضخم للكتاب (كماً وكيفاً).

وهذا المعرض يضم بين أروقته الكثير من الكتب والمطبوعات السعودية المنتقاة من حوالي مائة وخمسين الف كتاب سعودي، اضافة الى عدد من اوعية المعلومات المختلفة، وعدد من أوائل المطبوعات الاصلية مما يمثل حركة التأليف والنشر خلال مائة عام.

يتألف المعرض من الاقسام والاجنحة المتخصصة الموزعة على النحو التالي:

دور قادة المملكة في نشر الكتب:

ويضم الكتب المطبوعة على نفقة ملوك المملكة وامرائها منذ عهد الملك/ عبد العزيز حتى اليوم الراهن.

سير وتراجم قادة المملكة:

ويحوى كتب السيرة والتراجم التي تتناول ملوك المملكة وامراءها وروادها المبرزين في التعليم والفكر والثقافة.

اوائل اعمال المؤلفين السعوديين:

يحتوي على الطبعات الاولى من اوائل اعمال المؤلفين السعوديين. مع التركيز على اوائل المطبوعات التي نشرت قبل ١٣٩٠هـ.

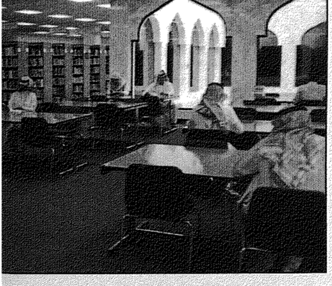
اوائل المطبوعات الحكومية:

يضم ما تيسر من بواكير المطبوعات الحكومية بما في ذلك التقارير والنظم التى تبين تطور الادارة في المملكة من عهد المغفور له الملك عبد العزيز.

اوائل الصحف والمجلات السعودية:

يحوي نماذج من الصحف والمجلات السعودية في اشكالها الاصلية سواء أكانت جارية أم متوقفة.

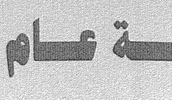
المكتبات الوقفية في السعودية



في رحاب مكتبة الملك عبد العزيز في المدينة المنورة عقدت اعمال ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية، واستمرت الندوة ثلاثة أيام قدمت خلالها العديد من الدراسات والبحوث الاكاديمية الخاصة بالمكتبات، ومنها: (الوقف من منظور فقهى - الوقف مفهومه ومقاصده - الأوقاف النبوية في المدينة المنورة، ووقفيات بعض الصحابة).

وأهمية هذه الندوة تكمن في ان الوقف يشكل في مجال الكتب والمكتبات لبنة اساسية في نماء الحضارة الاسلامية وتوفير وسائل الافادة من الكتب عبر العصور المتعاقبة. كما تعد الندوة خطوة رائدة في استجلاء الصورة المشرقة لواقع هذه المكتبات في ماضيها المجيد وحاضرها الزاهر ومستقبلها الواعد وبيان ما يشكله الوقف من اهمية كبرى في النهوض بها.

ولا تخفى الأهمية البالغة والمكانة المرموقة للكتب والمكتبات وخاصة المكتبات الوقفية الموجودة في بعض





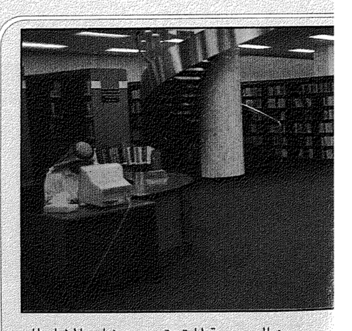
اهداءات المؤلفين السعوديين:

يحتوي على نسخ الكتب التى كتب عليها مؤلفوها اهداءات خطية بأقلامهم تشهد على الحركة الفكرية والثقافية والعلاقات بين المثقفين.



المخطوطات المحلية:

عرض فيه عينة من المخطوطات المنسوخة في مناطق المملكة المختلفة مما يبيّن نوعية المخطوط والموضوعات والنواحي الشكلية للمخطوطات المحلية قبل انتشار الطباعة.



مدن السعودية لما تحتويه من نوادر المخطوطات والكتب والدوريات العلمية في مختلف حقول المعرفة، مما كان له بالغ الاثر في اثراء الحياة الثقافية وتوفير المعرفة لطلاب العلم.

الكتب الحاصلة على جوائز:

يضم الجناح الكتب السعودية التي حصلت على جوائز محلية أو عربية أو دولية في موضوعات مختلفة.

الوقفيات:

ويضم عددا من النماذج التي توضح صيغة عدد من وقفيات الكتب التى قام بها اصحابها خدمة لطلبة العلم والعلماء مع التركيز على وقفيات الملك عبد العزيز.

المرأة السعودية والكتاب:

ويضم كتبا منتقاة من أوائل اعمال المؤلفات السعوديات المنشورة في موضوعات مختلفة.

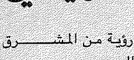
تطور الكتب المدرسية:

ونظرا لاقتناء المكتبة مجموعة قيمة ونادرة من اوائل الكتب المدرسية فقد عرض هذا الجناح بعضا من هذه الكتب لايضاح تطور طباعة الكتب المدرسية وكذلك تطور المناهج والتعليم في المملكة.

القسم العام:

ويضم نماذج منتقاة منذ بداية الطباعة وبالذات من عام ١٣١٩هـ بحيث لا يتجاوز المعروض الف كتاب وبحد اقصى ١٥٠٠ كتاب مما يعكس التطور الشكلي والموضوعي للكتاب السعودي.

المشروع الثقافي الكويتي





قبل أربعة عقود من الزمان، كانت (مجلة العربي) الكويتية، ولا تزال تمثل زخماً فكرياً وثقافياً وحضارياً على مستوى العالم العربي والاسلامي.. ويؤكد هذا الوجود المكثف لمجلة العربي، ما قاله الدكتور محمد الرميحي رئيس تحريرها (ان السنوات قد أثبتت أن مجلة العربي هى جزء من المشروع الثقافي الكويتي في اطار خطة التنمية الثقافية العربية الشاملة).

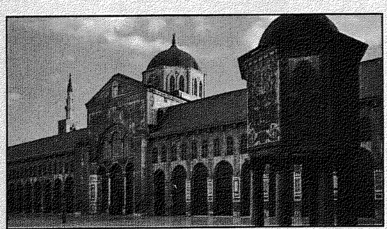
وبمناسبة بلوغ مجلة العربي عامها الأربعين فقد أقيمت ندوة كبرى في الكويت شارك فيها جمهرة من العاملين في الحقل الثقافي والاعلامي والاكاديمي.

ومن الدراسات التي قدمت في هذه الندوة:

- المشروع الثقافي الكويتي وآفاقه العربية.. التطور التاريخي والمعوقات.
- المشروع الثقافي الكويتي كما يراه العالم العربي.. رؤية من المشرق العربي.
- رؤية المغرب العربي للمشروع الثقافي الكويتي.
- التطور التاريخي والفني لتجربة مجلة «العربي».
- دراسة حول أدب الرحلات العربي وتطوره.
- أزمة المجلات الثقافية في العالم العربي.
- التحديات التكنولوجية التى تواجه المجلات الثقافية.

ومجلة المنهل تهنى الغراء (مجلة العربي) بعيدها الأربعين، متمنية لها كل التقدم والازدهار، في أداء واجب الكلمة الذي حملته منذ اربعة عقود.

الوحدة والتقارب بين المذاهب الاسلامية



في ظل الشدائد التي تتعرض لها الأمة الاسلامية، من فرقة وشتات في الرأي، عقد في دمشق من العاشر الى الثالث عشر من ابريل ١٩٩٩م المؤتمر الدولي لوضع استراتيجية مشتركة للتقريب بين المذاهب الاسلامية.

وشارك في المؤتمر علماء ومفكرون من ١٦ دولة عربية اسلامية بالاضافة الى المشاركين من امريكا الشمالية وفرنسا وبريطانيا، وشارك في المؤتمر مجموعة من الهيئات والمؤسسات الاسلامية منها رابطة العالم الاسلامي، والمنظمة الاسلامية للتربية والثقافة والعلوم، دار الحديث الحسنية بالرباط، الكلية الاسلامية بلندن، اكاديمية اكسفورد للدراسات الاسلامية، المجمع العلمى الايراني.

وأشرف على هذا المؤتمر مؤسسة الامام الخوئي الخيرية. ودعا المجتمعون الى ضرورة الوحدة والتقريب بين المتباعدين وتخفيف الخلاف بين المختلفين، ورأوا أن بداية الخلاف والفرقة بين المسلمين كانت حول طريقة الحكم والحاكم وأن الاختلاف في الرأي في المسائل الفرعية هو مسألة اجتهاد.

ودعوا في نهاية المؤتمر إلى أن المسؤولية كبيرة لدى المسلمين في أن يجتمعوا وأن تقتنع الانسانية بعملهم إذ أن الأمة الاسلامية اليوم تحتوي على امكانات بشرية لا يستهان بها.

تكريم الأديب محمود عارف



أقامت جمعية الثقافة والفنون بجدة حفلا تكريميا للشاعر المبدع محمود عارف بمسرح مدينة الملك فهد الساحلية.

وقد تخلل هذا التكريم ورقتان نقديتان قدمتا دراسة تحليلية لتجربة العارف الشعرية.

إحداهما: للدكتور عبد الله المعيقل الاستاذ بجامعة الملك سعود.

وثانيتهما: للدكتور عبد الله المعطاني رئيس اللجنة الثقافية.

وبعد هاتين الورقتين جاءت مشاركة نخبة من الأدباء والشعراء ليقدموا كلماتهم.

قال الاستاذ عبد المقصود خوجة: لقد أعطى الشاعر محمود عارف الكثير في دواوينه التي رافقتنا في الحل والترحال وعطرت ليالي عشاق الشعر واستوعبت كل أحاسيسنا ومشاعرنا من خلال دواوينه.

أما الدكتور عبد الله مناع رئيس تحرير مجلة الإعلام والاتصال فقال: تربطني بالاستاذ محمود عارف سنوات طويلة فقد عرفته قبل العشرين من العمر حينما كانت مجلة الرائد على وشك الصدور فكان أول لقاء لي معه وكان المثل الأعلى للرائد ولأبناء الرائد ومستشاراً لهم فقد كان كبير السن كبير المقام كبير النفس كثير الأناة على غير تعجل.

محمود عارف كان شاعراً طروباً إلى أبعد الحدود تستهويه الموسيقى في كلمة يقرؤها في أغنية يسمعها، في قصيدة يكتبها، إنه كما قال عن نفسه:

أنا الوتر الباكي من الهم والأسى
أنا الكوثر المعسول في شفة الصادي

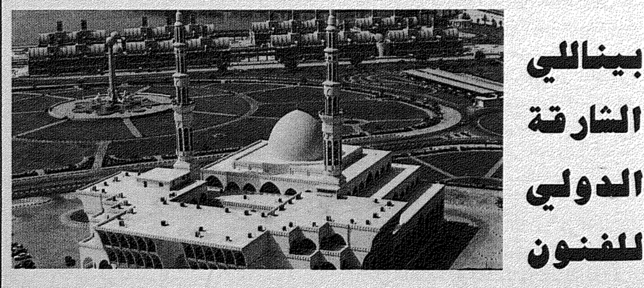
بعد ذلك انشد الشاعر المعروف الاستاذ يحيى توفيق قصيدة جاء فيها:

أهلا بأطيب كل الناس اخلاقا
العاطر الذكر والمحمود اعرافا
«العارف» الشهم من ترجى مروبته
من يجود على الاملاق إغداقا

كما ارسل الاستاذ عبد الفتاح أبو مدين كلمة لتكريم الشاعر محمود عارف فقال عنه انه رجل ذو جميل، ولا ينكر الجميل ولا ينساه وهو يحب الخير للجميع كما يحبه لنفسه جم التواضع لا يحسد الذين اتاهم الله من فضله كان العارف في ايام صحته يتفقد اصحابه ويسأل عنهم وإذا اصابهم سوء يعمل على عونهم ويواسيهم.

بعد ذلك قدم الاستاذ عبد العزيز الخلاوي رئيس جمعية الثقافة والفنون درع الجمعية لابن الشاعر العارف الاستاذ حسين محمود عارف داعياً للشاعر الكبير بالمزيد من الصحة والتألق متمنياً له حياة سعيدة.

بينالي الشارقة الدولي للفنون ١٩٩٩م



العولمة، غدت الهاجس الاكبر الممتد عبر زمانية نهاية هذا القرن. ولم يقتصر موضوع العولمة على مجالات الاقتصاد والسياسة وحدها، بل امتدت مساحات العولمة الى الفنون والآداب والثقافة، بل حتى إلى الاخلاق وتوجهات الحياة العامة.



بينالي الشارقة الدولي في دورته الرابعة اعتمد (المحلية والعالمية) محوراً أساسياً له.

وتبادل هذا المحور مجموعة من الدراسات منها: (الشمولية والذاكرة) - (الفن الاماراتي بين المحلية والعالمية) - (هل الفن جزء من الثقافة) - وحضر هذه الدورة جمهرة من المهتمين والمختصين في مجالات الفنون والثقافة، وكان التمثيل الدولي واضحاً فيها.

وخرجت هذه الدورة بمجموعة من التوصيات منها:

- مناقشة قضايا المصطلح الفنى والجمالي والعلمي، وتوسيع المشاركات الفنية للثقافات الثانوية والتعاون الايجابي من قبل الدول العربية والفنانين وتنظيماتهم مع معهد العالم العربي في باريس لتوسيع رقعة انتشار الفن العربي، وتأسيس مطبوعات ودوريات للثقافة البصرية والبحوث الجمالية، والدعوة عربيا لوضع استراتيجيات لتعليم الفنون، وخاصة الفنون الجميلة، ودعت الندوة دائرة الثقافة والاعلام بحكومة الشارقة وجمعية الامارات للفنون التشكيلية والجهات المعنية بالفنون في دولة الامارات الى الاهتمام بـ:

- تعميم تدريس مادة التربية الفنية والعمل على ايصال التجارب الفنية الى اوسع قطاعات الجمهور عبر وسائل الاعلام المرئي وتطوير وتشجيع الممارسة النقدية وتطوير العلاقات الفنية مع المحترفات العربية ومنطقة الخليج، وتوفير التجارب العالمية المميزة فيه لاحتكاك الفنون العربية بها ولمزيد من الحوار بين الثقافات.

الإسلام والتعددية

الكثير من أهل الغرب، غدا في حاجة لدراسة الاسلام، ليقف على المنهجية العقدية والفكرية والحضارية لهذا الدين، لهذا نجد الكثير من الحلقات الدراسية والندوات والمحاضرات واللقاءات قد أقيمت في أوروبا وامريكا بمشاركة عدد من الغربيين أنفسهم.

وفي سلسلة هذه الدراسات يأتي اليوم الدراسي الذي أقامه (المنبر الدولي للحوار الإسلامي) بالتعاون مع (جامعة ويست منستر) في بريطانيا.

وكانت هذه الدورة تحت عنوان (الاسلام والتعددية والمجتمع المدنى) ومن محاور هذا الموضوع: (العلمانية والدولة الحديثة في العالم الاسلامي - التعددية بين المسلمين - النساء المسلمات قوة تغيير في المجتمع الاسلامى - الفكر العربي المعاصر بين العلمانية والدين.

وشارك في تقديم المحاضرات جمهرة من المختصين، من العرب والغربيين. وذهب بعض المشاركين في هذه الحلقة الدراسية الى أن الكثير مما يصدر عن الدوائر الفكرية والسياسية الغربية وما تنشره وسائل الاعلام الغربية يميل الى تقديم صورة نمطية وبسيطة عن الاسلام فهو على حد زعمها دين مؤسس للاطلاقية (الشمولية) الفكرية والسياسية ولا يترك بالتالى أي مساحة للتعدد والاختلاف، ولكن اذا ما تحرر الغربيون من هذه النظرة السطحية والتبسيطية السائدة وتأملوا في موضوع الاسلام بصورة عميقة وهادئة فإنهم سينتهون في الغالب الى نتائج مناقضة لذلك تماماً. فوحدانية الله سبحانه وتعالى ليست نافية للتعدد على مستوى الكون وعالم الانسان بقدر ما هي باعثة على الاعتراف بالتعدد والتنوع. فإذا كان الله واحدا ومطلقا فكل ما سواه تعدد واختلاف.

وتطرق المشاركون الى ان الاسلام على الرغم من انه قدم نفسه خاتماً للرسالات السماوية، الا انه لم يعمل على استبعادها أو استئصالها بقدر ما عمل على احتضانها واستيعابها. ولهذا السبب بالذات كان التاريخ السياسي للمسلمين متسماً بقدر كبير من التسامح مع الديانات والعقائد المخالفة لدينهم.

منارات ومعالم:

جامعة الملك فيصل بتشاد

تعتبر جامعة الملك فيصل بتشاد مؤسسة اسلامية أهلية علمية أكاديمية ذات منفعة عامة ومن أهم أهدافها اعداد وتأهيل الشباب الدارس باللغة العربية للمساهمة في الدعوة الاسلامية والتنمية الوطنية والمحافظة على الهوية العربية والاسلامية في البلاد.

وأنشئت الجامعة في تشاد عام ١٤١١هـ الموافق ١٩٩١م بجهود ذاتية تشادية قام بها المهتمون بتطوير التعليم العربي والاسلامي في تشاد.

وقد سميت هذه الجامعة باسم الملك فيصل - رحمه الله - نظرا لما لهذا الاسم من مدلولات حيث كان له الفضل بعد الله سبحانه في إقامة مركز اسلامي أصبح معلما من معالم الحضارة في تشاد في الفترة ما بين ١٩٧٢ - ١٩٧٤م، حيث ترتب على انشاء هذا المركز تطور التعليم العربي والاسلامي مما أدى إلى قيام هذه الجامعة.

وللجامعة دور هام في ربط الحاضر بالماضي وربط الحاضر بالمستقبل للنهوض بمستوى التعليم العربي والاسلامي والفهم الحضاري الصحيح لمقتضيات الحياة.

فهي تهتم بنشر العلم والمعرفة وبناء الانسان بناءاً تربويا إيمانيا يواكب مقتضيات العصر واحتياجات المجتمع وتدعيم أواصر الأخوة بين الناس، وتوثيق علاقة الانسان بماضيه وحاضره ومستقبله في ضوء تعاليم الاسلام.

وتضم الجامعة عددا من الكليات وهي كلية اللغة العربية وكلية التربية ومركز المدينة المنورة للكومبيوتر ومركز الخدمات الجامعية وقسم الدراسات العليا.

وتمنح الجامعة الدرجات العليا التالية: درجة الاجازة العالمية الليسانس - درجة دبلوم الدراسات العليا - درجة الماجستير - درجة الدكتوراه، وذلك من قسم اللغة العربية والدراسات الاسلامية والتاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية والتربية والجغرافيا.

كما تطرح الجامعة مشاريع مستقبلية منها انشاء كلية الشريعة وكلية العلوم والتكنولوجيا وكلية الطب وكلية الاقتصاد والادارة وكلية الزراعة فضلا عن انشاء مبان سكنية خاصة لطلاب الجامعة ولأعضاء هيئة التدريس فيها.

بريد القراء

سعادة الاستاذ الفاضل الأديب/ رئيس تحرير مجلة المنهل الغراء - يحفظه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فانه من دواعي الفخر والاعتزاز أن نرى مجلتنا المنهل وهي في عامها الخامس والستين تسير في خطى ثابتة مليئة بالشباب والحيوية ترتدي ثوب العلم والمعرفة جيدة في طباعتها وإخراجها، تزود القارىء بشتى أنواع الثقافة.

ومع بزوغ فجر المحرم العام ١٤٢٠هـ تصفحت صفحات منهلنا العذب بشغف وارتواء، فوجدت فيها ضالتي التي طالما أسعى إليها، إذ أنها تحتوي على موضوعات دينية وثقافية وعلمية من شتى أنواع المعرفة.

ومما أعجبني في هذا العدد ما كتبه الأستاذ الدكتور/ محمد عماره في سلسلته الجديدة تحت عنوان الاستشراق والظاهرة الاسلامية التي يوضح فيها آراء المستشرقين تجاه الاسلام والمسلمين.

وطفت ورحلت مع الدكتور/ محمد رجب البيومي في سلسلته الرائعة «رحلة في الذاكرة».

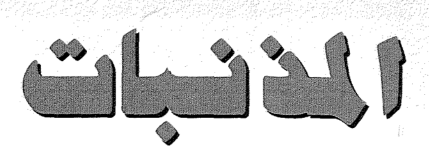
ولقد أبهجني ذلك الحوار مع المفكر والأديب الأستاذ أنيس منصور/ صاحب المؤلفات العظيمة ومدى جدية المحاور - الأخ مصطفى محمد مصطفى - وصراحة المحاور في الرد على الأسئلة التي شملت نواحي متعددة منها العولمة وأزمة المثقف أم أزمة الثقافة وكذلك القنوات الفضائية هل هي نعمة أم نقمة والحوار في مجمله يستفيد منه القاريء على اختلاف ثقافته ومعارفه.

وإني لا أملك في الختام إلا أن أوجه الشكر الى القائمين على مجلتنا المنهل المعطاء.

ودائما إلى الأمام والله يرعاكم.

محبكم/ صلاح بن عبد الله بن هندى - الاحساء -

زوار على غير موعد من الفضاء الخارجي



المذنبات

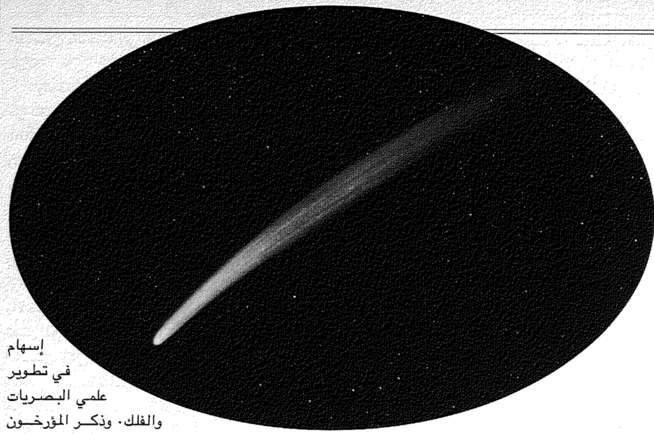
يمر بمجموعتنا الشمسية العديد من الزوار من الفضاء الخارجي من نيازك ومذنبات لا يشعر بزيارتهم سوى الفلكيين من خلال التلسكوبات الضخمة، ولا تجذب هذه الزيارات انتباه الناس عموماً إلا عندما يمكن رؤية منظرها الباهر في السماء أو بسبب الخوف من اصطدام «الزائر» بالأرض. وتعد المذنبات من أشهر هؤلاء الزوار الذين عرفهم الانسان منذ القديم. وسُجِّل تاريخ ظهورهم على الألواح الطينية في العصور البابلية وعلى عظام الحيوانات في الصين منذ آلاف السنين. وآخر هؤلاء الضيوف، قدم في نهاية شهر آذار (مارس) ١٩٩٧م هو مذنب هيل ـ بوب الذي كان كما توقع الفلكيون من المذنبات الكبيرة التى أمكن رؤيتها بالعين المجردة دون الحاجة للتلسكوب. وهو واحد من ٥٤ مذنباً حفلت بها مجموعتنا الشمسية خلال عام ١٩٩٧م.

يهتم الفلكيون، بالإضافة الى عامة الناس، كثيراً بالمذنبات. وشغل مذنب هالي العالم في عام ١٩٨٦ بسبب بُعد المدة الزمنية بين زياراته لمجموعتنا الشمسية، التي تصل الى معدل ٧٦ سنة حيث يتسنى للمرء رؤيته مرة واحدة في حياته. وتكتشف العديد من المذنبات من قبل الفلكيين وهواة الفلك ولكن قليلا منها الذي يقترب من الأرض الى درجة يمكن رؤيته بالعين المجردة دون الحاجة للتلسكوب. وحفل عام ١٩٩٦م باكتشاف هاوي الفلك الياباني المعروف يوجي هياكوتاكي، في الثلاثين من شهر كانون الثاني ١٩٩٦م، مذنباً جديداً سُمي باسمه (مذنب هياكوتاكي) أو C/1996 B2 مرّ في منظومتنا الشمسية وكان يُرى بالعين المجردة خلال شهري آذار (مارس) ونيسان (ابريل) من عام ١٩٩٦م. وقد دأب الفلكيون، منذ اقتراح راصد المذنبات الفرنسي شارل ميسييه على تسمية المذنبات باسم مكتشفها الأول أو مكتشفيها، وإضافة رقم تسلسل إذا كان للمكتشف نصيبا في اكتشاف أكثر من مذنب. ومن الطريف أن شارل ميسييه (١٧٣٠ ـ ١٨١٧) لم يكن فلكياً، فقد بدأ حياته العملية مساعداً في تسجيل الجداول الفلكية لفلكي فرنسي، ثم استهواه رصد المذنبات فاكتشف خلال حياته ثلاثة عشر مذنبا: كما نظم أول دليل للأجسام الفلكية ليستطيع تمييز المذنبات، عند أول ظهورها، عن السدم والتجمعات النجمية وغيرها. ومن أطرف ما يذكر عنه أنه شوهد يبكي بشدة بعد وفاة زوجته، لانشغاله بها في أيامها الأخيرة، مما أدى الى ضياع فرصة اكتشافه لمذنب سبقه إليه راصد آخر، وكان ذلك بعد اكتشافه لاثنى عشر مذنباً. كما ترقم المذنبات أيضاً برقم السنة التي أكتشفت فيها، مثل مُذنّب «١٩٧١أ» لأول مذنب اكتشف عام ١٩٧١م ومذنب «١٩٧١م ب» لثاني مذنب. وتكتشف حوالي عشرة مذنبات كل عام وهناك حوالي ألف مذنب معروف الآن، اكتشف منها ٤٠٠ قبل اختراع التلسكوب.

ولهواة الفلك حصة الأسد في اكتشاف المذنَّبات، فبينما يعكف الفلكيون المتخصصون عادة على توجيه تلسكوباتهم نحو أهداف محددة لدراستها حتى يعلن أحد هواة الفلك كل حين وآخر اكتشافه لزيارة على غير موعد لظاهرة فلكية مفاجئة، مثل مذنب أو انفجار نجم، لتستدير تلسكوبات الفلكيين المتخصصين باتجاه الظاهرة الجديدة لرصدها ودراستها مؤجلين مشاريعهم التقليدية الى حين.

وتُرى المذنبات الساطعة عادة عند الأفق بعد

بقلم: أ.د. شذى الدركزلي
جامعة درم ـ المملكة المتحدة



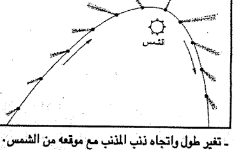
الغروب بقليل وحتى قبيل الشروق، وإن كانت هناك بعض المذنبات الضخمة شوهدت أثناء النهار مثل مذنب عام ١١٠٦م، وكان مُذنَّب عام ١٨٤٣ يرى أيضاً في النهار، وذكر أنه في ٢٨ شباط كان أسطع ٦٠ مرة من القمر. وفي متابعة لمحة من فيزياء المذنبات وما قطفه العلم من ثمار البحوث في النصف الثاني من القرن العشرين من معلومات عن أشهر مذنبين، مذنب هالي ومذنب هيل - بوب، يمكن فهم سبب ولع الفلكيين وهواة الفلك بظاهرة المذنبات الجميلة والغامضة.

شيء من فيزياء المذنبات:

اشتُقت كلمة المذنب Comet اللاتينية من الاغريقية aster Kometes وتعني النجمة ذات الشعر الطويل، وهي تسمية تصف شكل المذنب. ولقد أسماه الفلكيون العرب القدماء بالكوكب ذي الذؤابة، وأسماه محدثوهم بالمذنب لوجود شكل الذنب في نهايته. وأسهم العلماء المسلمون خلال العصر الوسيط أعظم إسهام في تطوير علمي البصريات والفلك. وذكر المؤرخون العرب العديد من الظواهر الفلكية ومن بينها المذنبات أمثال ابن القلانسي في كتابه «ذيل تاريخ دمشق»، وابن الأثير في كتابه «الكامل في التاريخ»[١].

تظهر المذنبات الضخمة في السماء على شكل كتلة ضبابية كثيفة يتبعها ذيل مضيء من الغازات يمتد خلفها الى مساحة كبيرة من السماء، أما المذنبات الاخرى فغالباً ما تظهر بشكل كتلة ضبابية صغيرة، ويتم اكتشاف العديد من المذنبات كل عام إلا انها نادراً ما ترى بالعين المجردة، ويتابعها الفلكيون عادة بالتلسكوبات للدراسة والبحث.

تعرف دورة المذنب بالمدة التي يستغرقها المذنب ليتم دورة كاملة حول الشمس. والدورة الطويلة تعني وصول المذنب الى مسافات تبعد عن أبعد كوكب في المجموعة الشمسية. ويتغير شكل الذنب مع تغير موقع المذنب من الشمس، ويفقد المذنب خلال الدورة الواحدة، بعضاً من كتلته عند اقترابه من الشمس، **«شكل رقم(١)»** كما يمر بالمجال التجاذبي (التثاقلي) للكواكب الرئيسة في المجموعة الشمسية ويؤدي هذان



ـ تغير طول واتجاه ذنب المذنب مع موقعه من الشمس.

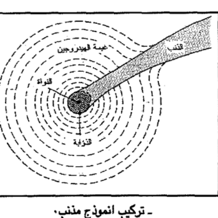
العاملان بالنهاية الى تقليل كتلة المذنب ومن ثم مدة دورته.

وللمذنب موقعان يعرف بهما، هما أقرب موقع له من الشمس ويسمى الحضيض الشمسي Perihelion وأقرب موقع له من الأرض Perigee ، وتتناسب شدة سطوع المذنب عكسياً مع مكعب المسافة بينه وبين الشمس. وتصنف المذنبات الى نوعين رئيسين هما المذنبات الدورية Periodic أي المتكررة الظهور، والمذنبات طويلة الدورة Long Period ويضاف حرف C لتحديد نوعية الجسم الفلكي بالمذنب، أو P للإشارة الى عودته الدورية Periodic, والاخيرة لا تعود إلا بعد مئات أو آلاف السنين، وقد تصل الى ملايين السنين، الى المجال القريب من الشمس، وهي التي سُجلت مرة واحدة في التاريخ، ومعظم المذنبات تنتمي الى النوع الثاني، ومذنب هالي هو المذنب الوحيد من المذنبات الدورية التي يمكن رؤيتها بالعين المجردة، لقد احتوى دليل المذنبات الذي نشر عام ١٩٧٩ على ١٠٢٧ مذنباً منها ٦٥٨ مذنباً يمكن تحديد دورته. يصنف ٥٤٥ من المذنبات ضمن المذنبات الدورية طويلة المدى (دورته تزيد على القرنين)، وحوالي ١١٣ مذنب قصير المدى (دورته تقل عن ٢٠٠ سنة) وما تبقى (أي ٣٦٩ مذنباً) هو من النوع المتكرر الظهور.

وتزداد بيضوية المدار مع زيادة مدة دورته، وتقترب مدارات المذنبات القصيرة الدورة من الشكل الدائري، فمذنب أينكة مدة دورته ٣ر٣ سنة، بينما تستغرق دورة مذنب كوهوتيك الذي رصد عام ١٩٧٤م حوالي ١٠٠٠ عام، ومذنب أينكة على اسم يوهان إنكة (١٧٩١ ـ ١٨٦٥) الفلكي والرياضي الألماني، كان ثاني فلكي بعد هالي يتنبأ بعودة مذنب في عام ١٨٢٢ والذي رصد في أستراليا فسُمي بعد ذلك باسمه. ولا يزال يُرصد حتى اليوم وقدره الضوئي حوالي ١١. أما مذنب كوهوتيك فاكتشفه الفلكي التشيكي لوبوج كوهوتيك (١٩٣٥) في ١٨ آذار مارس ١٩٧٣، وظهر بالقدر الرابع في كانون ثاني/ يناير ١٩٧٤م وامتد ذنبه ٢٥ درجة، وكان منظره أقل سطوعاً مما توقعه الفلكيون.

وكان لتطور الفيزياء وعلم الفلك أثرهما في فهم مكونات المذنبات وحركتها، ومنذ النصف الثاني من القرن العشرين وضحت بعض معالم صورة المذنبات بفضل التلسكوبات الضخمة ورحلات الفضاء للأبحاث الفلكية في الربع الأخير من القرن العشرين. واستفاد العلماء من النتائج التى زودتهم بها الأقمار الصناعية التي اخترقت المذنبات العديدة وأهمها مذنب هالي. ويعتبر المذنب أفضل وسيلة للفلكيين لفهم تاريخ الأفلاك، لاحتفاظ المذنب بالمواد الأولية المكونة للسدم Nebulae قبل تكوّن المنظومة الشمسية. وتعد نظرية غيمة أورت التي اقترحها في عام ١٩٥٠ الفلكي الهولندي يان هندريك أورت (١٩٠٠ ـ ١٩٩٢) أكثر النظريات قبولا عند الفلكيين اليوم. تفترض هذه النظرية وجود ما يزيد على مئة بليون (أي ١٠/١١) مُذنباً أو ما يسمى بغيمة المذنبات أو غيمة أورت ـ يدورون في مدار بعيد عن المنظومة الشمسية، ولم ترصد غيمة أورت بعد، ويخمن الفلكيون أنها تبعد بين ٣٠٠٠٠ الى ١٠٠٠٠٠ وحدة فلكية عن الشمس، وعند حدوث أي اضطراب في الغيمة بسبب تغير في المجال التثاقلي على أثر مرور نجم سريع مثلا يقتنص أحد المذنبات ويتغير مساره الى مسار يشبه شكل السيكار، تقع الغيمة في إحدى نهايتيه بينما تقع الشمس في النهاية الثانية.

يتكون المذنب من ثلاثة أجزاء رئيسة: النواة، وهي الجزء الصلب الداخلي من المذنب والذي يدور حول الشمس بمدار بيضوي، والذؤابة وهي «رأس المذنب» أو الجزء المضيء والمرئي من المذنب، والذنب بالإضافة الى غيمة الهيدروجين **«شكل رقم (٢)»**.



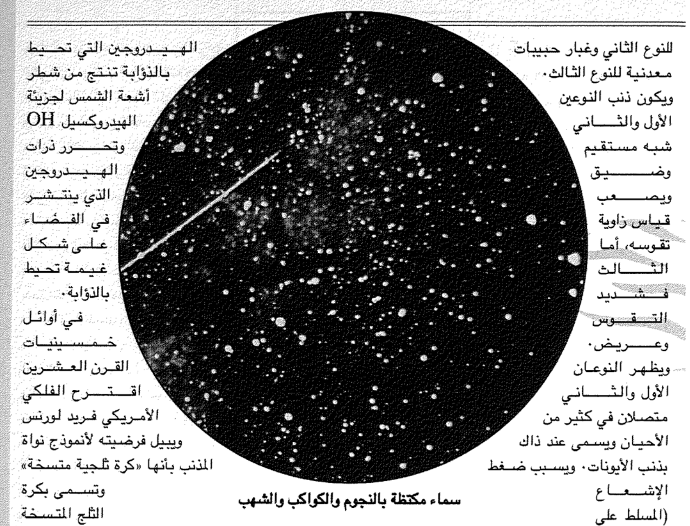
ـ تركيب انموذج مذنب.

يُصنّف الذنب الى ثلاثة أنواع اعتماداً على درجة تحدب الذنب ومركبات المذنب الكيميائية: وهي جزيئات متأينة (مثل أول اوكسيد الكاربون CO^+) للنوع الأول وجزيئات (مثل الكاربون C2)

للنوع الثاني وغبار حبيبات معدنية للنوع الثالث. ويكون ذنب النوعين الأول والثاني شبه مستقيم وضيق ويصعب قياس زاوية تقوسه، أما الثالث فشديد التقوس وعريض. ويظهر النوعان الأول والثاني متصلان في كثير من الأحيان ويسمى عند ذاك بذنب الأيونات. ويسبب ضغط الإشعاع (المسلط على المذنب من الشمس) والرياح الشمسية في دفع الذنب مبتعداً عن الشمس. وقليل من أنواع الجزيئات المكونة للمذنب هي من الجزيئات المستقرة مثل أول اوكسيد الكاربون والماء وسيانيد الهيدروجين HCN وسيانيد المثيل CH3CN، أما باقي الأنواع التي تقارب الأربعين فتشمل على جذور حرة شديدة التفاعل مثل OH, CN وأيونات CH+,H2O+ أو ذرات مثل الأوكسجين Oوالهيدروجين Hأو معادن مثل الحديد والكوبلت والنيكل والنحاس. وأسهمت تحليلات مذنب هالي في تأكيد وجود نحو ٢٠ نوعاً من الجزيئات العضوية، وقبل رصد مذنب هالي الدقيق في عام ١٩٨٦ كان من المؤكد أن كتلة صغيرة صلدة تختفي وراء رأس المذنب المرئي. وبُني هذا الاستنتاج من عودة المذنب للظهور بالرغم من فقدانه لجزء كبير من كتلته جراء اقترابه من الشمس.

أما الذؤابة فهي كرة من الغاز والغبار الكوني تحيط بالنواة، وهي مثل الذنب لا تتكون إلا عند اقتراب المذنب من الشمس. ويعتقد الفلكيون أن غيمة الهيدروجين التي تحيط بالذؤابة تنتج من شطر أشعة الشمس لجزيئة الهيدروكسيل OH وتحرر ذرات الهيدروجين الذي ينتشر في الفضاء على شكل غيمة تحيط بالذؤابة.

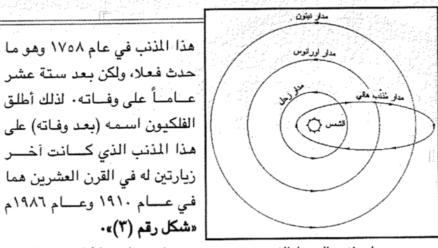
في أوائل خمسينيات القرن العشرين اقترح الفلكي الأمريكي فريد لورنس ويبيل فرضيته لأنموذج نواة المذنب بأنها «كرة ثلجية متسخة» وتسمى بكرة الثلج المتسخة لتكونها من جسيمات صخرية صغيرة مدفونة في كتلة غازية متجمدة، وبقطر يقارب بضعة كيلومترات مكونة من ماء وغازات بسيطة متجمدة، ويختلط مع المركبات المتطايرة المتجمدة في ثلج الماء حبيبات غبار كوني بنسب متساوية، وينطلق بفعل الثلج المتبخر كما ينطلق الصاروخ فكتلة نواة مذنب قطره خمسة كيلومترات تصل الى حوالي ٥٠٠ مليون طن. وعند اقتراب المذنب من الشمس تسخن المكونات السطحية لنواة المذنب مكونة الذؤابة والذنب وغيمة الهيدروجين، ولم تتوفر قياسات كافية لنواة مذنب هالي وكل ما تم الحصول عليه كان من الذؤابة والذنب فقط وكما سيأتي ذكره لاحقاً.



سماء مكتظة بالنجوم والكواكب والشهب

يصبح المذنب مرئياً عندما يقترب من الشمس، ويتكون الذنب نتيجة تحرير المكونات المتطايرة من نواة المذنب بسبب حرارة الشمس. ويتكون الشكل المرئي والمتميز للمذنب نتيجة فلورة وانعكاس ضوء الشمس من الغازات والجسيمات المتحررة من النواة. وتزداد كمية المواد المتحررة مع الاقتراب من الشمس وينتشر

غلاف مضاء للنواة، وهو الذؤابة، التي قد تمتد الى عدة آلاف من الكيلومترات وقد تصل الى الملايين. وينتشر قسم من المواد المتحررة الى مئات الملايين من الكيلومترات على شكل ذنب. ويؤثر ضغط الاشعاع على ذيل الغبار وتؤثر الرياح الشمسية، المنطلقة بسرعة مئات الكيلومترات في الثانية من الشمس، على ذيل الأيونات فيتجه الذنب مبتعداً عن الشمس. وان كان الذنب لا يكون دائما مصاحبا للمذنب. ويبتعد ذيل الأيونات، وهو ضيق ومستقيم، عن ذيل الغبار، وهو عريض ومقوس، بسبب اختلاف سرعتيهما. فسرعة الغبار أقل من سرعة الأيونات. ويفقد المذنب ذيل الغبار بسبب العودة المتكررة للمذنب، كما في مذنب أنكه، بينما يبقى ذنب الأيونات المستقيم الأزرق اللون بسبب أيونات أول أكسيد الكاربون. أما مذنب هالي وبسبب طول مدة دورته فلا يزال يمتلك ذيل الأيونات الأزرق المستقيم وذيل الغبار الأبيض المائل للون الأحمر، ولبعض المذنبات يكون لونه أصفر شاحباً بسبب نوع المواد المكونة للغبار والتي تسبب استطارة ضوء الشمس عنها.



- مسار مذنب هالي حول الشمس.

مذنب هالي: IP/HALLEY

لقد أسهمت حسابات الفلكي الإنجليزي أدموند هالي (١٦٥٦ - ١٧٤٢)، ورسمه مسار العديد من المذنبات باعتماده على نظرية نيوتن للجاذبية، في ترسيخ رأي الفلكي الدنماركي تاكيو براهه (١٥٤٦ - ١٦٠١) من أن المذنبات توجد خارج جو الأرض. ووجد هالي من حساباته أن المذنبات التي ظهرت في الاعوام ١٥٣١ و ١٦٠٧ و ١٦٨٢ أخذت المسار نفسه حول الشمس، وبمدة زمنية يصل معدلها إلى ٧٦ سنة بين كل واحدة منها. لذلك استنتج أنها مُذنَّب واحد يدور في مسار بيضوي حول الشمس ويتكرر ظهوره حسب طول دورته حول الشمس، فكان هالي أول من استنتج العودة المنتظمة للمذنبات، وتوقع عودة ظهور هذا المذنب في عام ١٧٥٨ وهو ما حدث فعلا، ولكن بعد ستة عشر عاماً على وفاته. لذلك أطلق الفلكيون اسمه (بعد وفاته) على هذا المذنب الذي كانت آخر زيارتين له في القرن العشرين هما في عام ١٩١٠ وعام ١٩٨٦م **«شكل رقم (٣)»**.

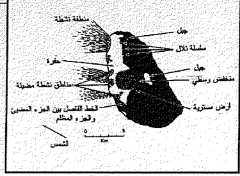
في عام ١٩١٠ وصل القدر الضوئي للمذنَّب الى صفر وأصبح على بعد ١٥ر٠ وحدة فلكية من الأرض، وامتد ذنبه الى مسافة ١٠٠ درجة في السماء فكان واضحاً، وللمقارنة فإن قطر البدر يمتد نصف درجة، أما في عام ١٩٨٦ فقد وصل الحضيض الشمسي في ١٩٨٦/٢/٩م واقترب من الأرض الى مسافة ٤٢ر٠ وحدة فلكية في ٤/١١، ووصل القدر الثالث وامتد ذنبه الى مسافة عشر درجات فقط، ولم يكن واضحاً في نصف الكرة الشمالي.

توقع علماء الفلك عودة مذنب هالي واستعدوا للقائه بسنوات عديدة قبل اقترابه من الأرض. وبالرغم من حسابات المسار المتوقع فقد فشل الفلكيون في رصده لمدة خمس سنوات حتى تمكن من اكتشاف مساره، في الساعات الاولى من صباح ١٩٨٢/١٠/١٦، باحثان من معهد كاليفورنيا الثقافي في مرصد بالومار فتوجهت التلسكوبات نحو الموقع لترصد المذنب وتتابعه حتى عام ١٩٨٩. كان قدوم مذنب هالي سبباً في الحصول على كم كبير من المعلومات عنه بصورة خاصة وعن المذنبات بصورة عامة. فقد انطلقت ست رحلات فضائية خصصت لدراسة مذنب هالي من مواقع مختلفة. كانت اثنتان من الرحلات سوفيتية Vega1 و Vega2 التي رصدت المذنب من بعد ٨٠٠٠كم عن النواة، واثنتان يابانية Sakigake و Suisei واثنتان أوربية، أقربهما القمر الصناعي جيوتو الذي أطلقته وكالة الفضاء الاوربية European Space Agency (ESA) التي تشترك بها إحدى عشرة دولة اوربية،

وكلف أكثر من مئة مليون دولار أمريكي «**شكل رقم (٤)**».

رصد جيوتو المذنب في الرابع عشر من مارس عام ١٩٨٦ من على بعد ٦٠٠ كيلومتر فقط ولمدة عشر دقائق وكانت سرعته ٦٨ر٤ كيلومتر/ ثانية. ويمكن تقدير كبر سرعة جيوتو من معرفة أن سرعة رصاصة من مسدس سريع تقارب ١ كم/ثا. وصُمم غلافه الخارجي بطبقتين سميكتين تحسباً لقصف جسيمات الغبار الكوني السريعة وبالرغم من ذلك فقد صدمت جيوتو جسيمة أكبر من المعتاد، وأدت الى ميلان الهوائي عن اتجاه البث نحو الأرض بثوان قبل وصوله الى أقرب موقع من المذنب، وفُقد الاتصال لمدة ساعة ثمينة قبل أن يعود بث الصور الى الأرض وفقدت معلومات مهمة عن نواة المذنب.

أوضحت صور جيوتو أن نواة مذنب هالي هي على شكل البطاطة أو الكمثرى، أبعادها ١٦ × ٨ × ٨ كيلومتر وحرارتها تتراوح بين ٣٠٠ الى ٨٠ درجة كلفن (لما كانت ٢٧٣ درجة كلفن تعادل الصفر المئوي، فإن ٣٠٠ كلفن تعادل ٢٧ درجة مئوية و٨٠ كلفن تعادل – ١٩٣ درجة مئوية)، وذات كثافة تخمن بـ ٥٠٠ كيلو غرام/ متر مكعب، أي حوالي نصف كثافة الثلج، أي أن الكتلة تقارب من ٣ × ١٠/١٤ كيلوغرام، وسجلت جيوتو ٣٠٠٠ صورة، قبل تلف آلة التصوير (الكاميرا) بسبب قصف جُسيمات غبار الذؤابة. ولم ينعكس سوى ٤٪ من الضوء الساقط على النواة بينما يبدو الباقي داكناً لذلك اقترح تغيير وصف النواة ببطاطة محروقة لأن معظمها يبدو داكناً. ويبدو السطح أملساً ولكن هناك تل يرتفع حوالي ٤٠٠ متر عن السطح، وهناك ما يشبه الحفرة بعمق ٧٠ الى ٢٠٠ متر وعرض ١٦٠٠متراً «**شكل رقم (٥)**».

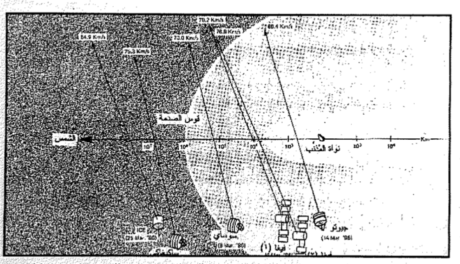


ـ مخطط شكل البطاطة المحروقة (لأن معظمها يبدو داكناً) لنواة مذنب هالي كما نتج تصوره من نتائج جيوتو

واستخدم جيوتو مرة ثانية عام ١٩٩٢، مكلفاً ١٤ مليون دولار أمريكي إضافية، لاستكشاف مذنب آخر هو مذنب كريغ ـ سكجيليروب، أو Grigg - Skjellerup C26P. لقد اكتشف هذا المذنب هاوي الفلك النيوزيلندي جون كريغ (١٨٣٨ ـ ١٩٢٠) في عام ١٩٢٠، وبصورة مستقلة هاوي الفلك الأسترالي جون سكجيليروب (١٨٧٥ ـ ١٩٥٢) في عام ١٩٢٢، ودورته المدارية تستغرق ١ر٥ سنة، واقتربت جيوتو لمسافة ٢٠٠ كيلومتر من نواته في عام ١٩٩٢. وكانت نتائج جيوتو تشير الى أن المذنب يملك غباراً أقل من المتوقع، وكمية الغاز الناتج تقارب ١٪ مما ينتجه هالي. كما أن شظاياه تكون النيازك الدورية التي تشاهد خلال ٢٣ نيسان.

مُذنَّب هيل ـ بوب: (C/199501) أو (Hale-Bopp)

شهد الربع الأول من عام ١٩٩٧ زيارة مذنب مرئي بالعين المجردة هو مذنب هيل ـ بوب (Hale-Bopp) أو C/1995 01 الذي وصل ذروة السطوع في نهاية شهر آذار مارس ١٩٩٧ وكان من المذنبات التي أمكن رؤيتها لمدة طويلة بالعين المجردة وصلت الى سبعة أسابيع. اكتشف مذنب هيل ـ بوب الهاويان الأمريكيان ألان هيل (١٩٥٨ ـ وتوماس بوب (١٩٤٩–)



ـ مخطط تقريبي لمواقع السفن الفضائية الستة التي اطلقت لرصد مذنب هالي في مارس ١٩٨٦.

في ٢٣ يوليو ١٩٩٥ عندما كان على بعد ٢ر٧ وحدة فلكية عن الشمس ويزيد بعده عن ٦٥٠ مليون ميل من الأرض. وكان سبب اكتشافه على هذا البعد الشاسع هو سطوعه العالي غير المألوف.

بدأ هذا المذنب مسيرته ضمن المجموعة الشمسية في أواخر آذار/ اغسطس ١٩٩٦ بقدر ضوئي حوالي ٩ وأصبح ثمانية في حزيران/ يونيو ١٩٩٦م وارتفع الى القدر السادس في آب/ أغسطس ١٩٩٦م واستمر قدره الضوئي في الارتفاع حتى وصل أوجه عند أقرب مسافة له من الأرض (١٣٢ر١ وحدة فلكية) في ٢٢ مارس ١٩٩٧، ووصل الحضيض الشمسي، أقرب مسافة له من الشمس (٩١ر٠ وحدة فلكية)، في الأول من نيسان/ابريل ١٩٩٧. أمكن عند ذاك رؤيته بالعين المجردة وكان قدره الضوئي -٥ر٠ في نهاية آذار/ مارس ١٩٩٧، وفاق سطوعه الذاتي (أو القدر المطلق) أسطع مذنب منذ خمسمئة سنة. وعند موازنته مع مذنب هالي نجد أن سطوع الأخير كان بمقدار ٢٣ على البعد الذي اكتشف فيه مذنب هيل - بوب. ولمذنب هيل - بوب ذؤابة كبيرة، بسبب نشاط عال لنواته، الذي يعود الى كبر حجم النواة أو كبر حجم جزئها النشط. وامتد ذنب الغاز الى ٢٠ درجة، بينما امتد ذنب الغبار الى ٢٥ درجة، (يقدر قطر البدر بنصف درجة تقريباً). وساعد هذا في اكتشافه المبكر والحصول على كمية كبيرة من الأرصاد سبقت اقترابه من المشتري. فدورته قبل دخوله المنظومة الشمسية كانت ٤٢٠٠ سنة وستكون بعد خروجه منها ٢٣٧٩ سنة.

كان قطر نواة المذنب حوالي ٤٠ كيلومترا، وعند اقترابه من الشمس ازداد طول ذنبه فغطى ما يزيد عن ٣٠ درجة. ولم تنج الظواهر الفلكية، مثل الخسوف والكسوف والمذنبات، من نشاط الشركات السياحية واستغلالها. فقد نظمت بعض الشركات سفرات بالطائرة لمدة ٧٥ دقيقة لمراقبة المذنب في ٢٩ آذار ١٩٩٧ بسعر ١٢٥ جنيه استرليني انطلقت من مطار هيثرو في جنوب لندن، ورحلات بحرية من ساحل فلوريدا في أمريكا لمدة اسبوع واحد من نهاية شهر آذار (مارس) وبكلفة ألف دولار أمريكي. فالمذنبات تعد من الظواهر الفلكية «الشعبية» لكثرة اهتمام عامة الناس بها لجمال منظرها في السماء ولما يحيط بها من أخبار وأساطير منذ القدم وحتى يومنا هذا. فكم هو غريب تخيل حالة الأرض قبل ٤٢٠٠ سنة، عند زيارة هيل - بوب السابقة، وأغرب من ذلك صورتها بعد ٢٣٧٩ سنة عند الزيارة القادمة.

لكل مذنب تنبؤات قبل وصوله ومفاجئات بعد مغادرته، وكانت مفاجأة هيل - بوب يوم ١٦ نيسان ظهور ذيل ثالث اكتشفه فريق من الفلكيين في مرصد لاپالما في جزر الكناري أولا ثم أكده فلكيون آخرون في مراصد أخرى. فالمذنب كما ذكر سابقا، يتميز بذنبين هما ذيل أيوني (ضيق مستقيم وأزرق اللون) وذيل غباري (عريض مقوس وأبيض اللون أو أصفر شاحب). والذيل الجديد اكتشف بسبب استخدام كاميرا بمرشح خاص للصوديوم، وبذلك كان ذيل «الصوديوم» هو مفاجأة القرن لفلكيي المذنبات وهواتها. امتد ذيل الصوديوم الى حوالى ٥٠ مليون كيلومتر طولا و٦٠٠ ألف كيلومتر عرضاً، عندما كان المذنب في الحضيض الشمسي. يعتقد الفلكيون أن ذرات الصوديم التي شكلت الذيل الثالث، تنطلق من الذؤابة ومن ذيل الغبار وليس من نواة المذنب. وشكل ذيل الصوديم دقيق ومستقيم ينطلق من رأس المذنب متجها نحو اليسار أي مبتعداً عن ذيل الغبار. وكان العلماء يعتقدون بوجود ذرات الصوديوم في النواة فقط

مذنب بنيت

ولكن انتشار الصوديوم الى مساحة واسعة في «ذيل الصوديوم» غيرت تلك الفكرة. وتابعت مسيرة المذنب صفحات عديدة من الهواة والفلكيين، في الإنترنيت. وبسبب المفاجئات العديدة للمذنبات وصفها أحد الفلكيين بأنها تشبه القطط، لها ذنب وتفعل ما يحلو لها.

خلاصة:

لقد دأب الإنسان على التشاؤم والحذر عند ظهور مذنب، بسبب تزامن ظهور العديد من المذنبات مع حصول كوارث، وظهرت في أواخر القرن التاسع عشر العديد من الرسوم الساخرة عن المذنبات وما يمكن ان تحدثه علي الأرض. ويبين الجدول التالي بعضاً من الحوادث والكوارث التي صاحبت ظهور بعض المذنبات:

جدول لبعض الحوادث المصاحبة لظهور مذنبات ضخمة

تاريخ ظهور المذنب	الحدث المصاحب
٤٤ ق.م	اغتيال يوليوس قيصر
١٠٦٦	غزو النورمانديين لإنجلترا
١١٠٦	الحروب الصليبية
١٦٦٥	وباء الطاعون في إنجلترا
١٦٦٦	حريق لندن الكبير
١٨١١	حروب عديدة في اوربا
١٩٨٦	١ـ انفجار مركبة الفضاء الأمريكية تشالنجر ٢ـ حادثة مفاعل تشيرنوبل النووي
١٩٩٦	كارثة وباء البقر في بريطانيا

إلا أن المتمحص لهذه الحوادث يجد أن أضعافها كان ولا يزال يحدث، في مختلف أنحاء العالم، من الأوبئة ـ بأنواعها العديدة ـ والحروب والكوارث بصورة مستمرة، فإن تزامن بعضها مع ظهور مذنب فلا علاقة للمذنب بهذا الأمر أو ذاك، ومع ذلك فلا يزال ربط المذنبات بالكوارث ملازماً لها حتى اليوم.

لقد كشفت بحوث المذنبات العديد من أسرارها، إلا أن الغموض لا يزال يكتنفها، مثل مصدرها وموعد عودتها الدقيق وسطوعها. وبالرغم من دقة حسابات الفلكيين واستعانتهم بالحواسيب الضخمة، فإنهم يخفقون في التنبؤ الدقيق بما يحصل للمذنب عند اقترابه من الشمس. ومفاجئات المذنبات عديدة وكم من المذنبات توقع لها الباحثون مظهراً باهراً في السماء، إلا أنها خيبت آمال الفلكيين وعامة الناس كما حصل مع مذنب هياكوتاكي في عام ١٩٩٦م. ولكن مفاجأة هذا المذنب كانت في ارتفاع شدة أشعة رونتجن (الأشعة السينية) التي رصدت لأول مرة من مذنب بواسطة القمر الصناعي الألماني Roentgen Satellite (ROSAT) الخاص بالكشف عن أشعة رونتجن، وقد فاقت شدة أشعة رونتجن ما توقعه الفلكيون بعدة مراتب وألقت بذلك ظلالا من الشك على نظرية الفلورة التي تعزى إليها إضاءة المذنب.

أما مُذنب هيل ـ بوب في عام ١٩٩٧م الأكثر سطوعاً فقد تحفظ بعض العلماء وكانوا أكثر حذراً في تنبؤاتهم لكي لا يخيب أمل الناس و«تتشوه» سمعة العلماء ودقة حساباتهم، خوفاً من أن يبدو المذنب مثل «لطخة» صغيرة بين النجوم الساطعة، مهما كان منظره باهراً بالتلسكوبات الكبيرة. وكانت مفاجأة مذنب هيل ـ بوب، بالإضافة الى سطوعه في اكتشاف ذيل الصوديوم الثالث.

إلا أنه من المؤكد أن الإنسان المؤمن عندما يرفع عينيه في ليلة صافية غير ملوثة بأضواء المدن، ويتطلع الى صفحة السماء الجميلة المزدانة بالنجوم والكواكب والسدم والمجرات وأحياناً بالمذنبات لن يجد سوى الشعور بالضعة والضآلة أمام هذا الكون العجيب والإقرار بجمال صنعة الخالق العظيم عز وجل.

المراجع:

Calder, N. (1992). Giotto to the Comets, London: Presswork.

Comet Hale-Bopp home page: http:// WWW. iac.es/Hale-Bopp/hbitp html Verschuur, G. (1996). Impacts: The Threat Comets and Asteroids, NY: Oxford University Press.

Yeomans, D. K. (1991). Comets: A Chronological History of observation, Science, Myth, and Folklore, New York: John Wiley & Sons.

«قراءة في كشاف الزمخشري» (٢ - ٢)

التعريف والتنكير في القرآن الكريم

هذه الدراسة في حلقتها السابقة تتبعت (التعريف والتنكير) في كشاف الزمخشرى، صيغه ومضامينه، والابعاد التي ورد فيها، وفي هذه الحلقة تسجل الدراسة ملاحظاتها على ما أورده الزمخشرى في (التعريف والتنكير).

وأول ما نلاحظه هو أن الزمخشرى أعطى للتعريف والتنكير معانى نحوية وأخرى بلاغية، وأن المعنى النحوى كان يحمل في أعماقه المعنى البلاغى، أو أن صورتيهما بدت متداخلة في صنيع الزمخشرى، فكثيرا ما كان يقفز من المعنى النحوى الى المعنى البلاغى أو يتكىء عليه في سبيل الانتقال الى معان بلاغية وآفاق ذوقية.

ويتمثل الاتجاه النحوى - في التعريف بأل - في وقوفه على معنى العهدية والجنسية والموصولة والنائبة عن المضاف اليه والتى تفيد الابهام، فهو قد سلك بها منحى ذهنيا معينا أغفل معه كثيرا من الدلالات الوجدانية التى لا يمكن الغض من شأنها أو تقليل قيمتها في مواجهة الأثر الفنى. فالقول بالعهد والجنس معنيان قريبان لا يقصد بهما أكثر من التعين والتجديد.

والموصولة خضعت لفكرة الربط بين أجزاء الكلام وتغليف بعضه ببعض ولهذا لاحظنا كيف أن الزمخشرى عطف الفعل - أقرضوا - على معنى الفعل في (المصدقين) من قوله تعالى {**إن المصَّدقين والمصدقات وأقرضوا**}[١٤].

كما ضمن أل معنى الشرط ووقعت الفاء رابطة لجوابها من قوله تعالى {الزانية والزانى فاجلدوا}[١٥]، والابهام - وهو أبعد ما يكون عن المعنى النحوى - خضع لهذا الدافع القريب الذى اقتضاه سياق الكلام وتعليق بعضه ببعض.

وفي التعريف باسم الاشارة يتجلى هذا المنحى بوضوح في أهمية اسم الاشارة في ربط الكلام وائتلاف اجزاء النظم. كما يتجلى في التعريف بالاضافة بالعلاقة بين المضاف والمضاف اليه، وفي وجه الائتلاف بينهما كالتخصيص والايضاح (التبيين) والملابسة. وهى معان نحوية تعتمد على الاحساس اللغوى القريب والرؤية الذهنية والقياس المنطقى والكشف العقلى للظاهرة.

أما في التنكير فيتمثل هذا الاتجاه النحوى في المعانى الذهنية القريبة التى تفيد التبعيض والتقليل والتكثير والشمول، وعلى نية التعريف ومن أجل تنكير آخر والتخصيص أو النوع، وكلها من معانى النحو وأحكامه وألوانه. فهي في صورتها التى وقف عليها الزمخشرى أدوات للاشارة تهدف الى ايضاح المعنى وتحديده وجلاء الفكرة الملتبسة الغائمة لا مواقف وجدانية أو رموز أو تأويلات أساسية.

الكلمات المنكرة مبهمة وهو يستغل هذا الابهام في تلوين المعنى أو تفتيق الامكانات التى ينطوى عليها. ولهذا أخذ يستعين بالمقارنة بين المعانى

بقلم: د. تامر سلوم سلوم
استاذ البلاغة بجامعة الملك فيصل
- السعودية -

ويتكىء على الحجج العقلية والقياسات المنطقية والتحليلات اللغوية القريبة لتوضيح الفروق وابراز المعانى النحوية في أبهى ثوب عقلى لها.

نشاط الزمخشرى محصور في معرفة ما كان يسميه عبد القاهر الجرجانى مزايا النحو وهي «كثيرة ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا تجد لها ازديادا بعدها» والمعنى عنده يقوم على هذه الثنائية القديمة: التفرقة بين الجوهر والعرض بين الدائم والمتغير بين الصفة ونقيضها، ولهذا نقرأ في العبارة باستمرار هذا التمييز بين العهد والجنس، بين التبعيض والتكثير والشمول وغيرها، المادة واحدة لكن هناك اضافات طارئة نحدد بها المعنى أو نبحث عن توكيده وايضاحه وتخصيصه ومطابقته لفكرة الصواب وسياق الكلام وأجزاء النظم.

وبايجاز نقول: ان الزمخشرى كان مولعا بالفروق النحوية التى شغف بها عبد القاهر قبله. وأنه كان يتلمس الدلالات الأخرى أو يهتدى اليها في ضوء هذه العلاقات النحوية التى ألفت معها كل مدلول ذوقى أو احساس جمالى.

ولكن هناك ظاهرة أساسية يهمنا كثيرا أن نشير اليها هى أن المعنى النحوى كان يطل، على معنى بلاغي أو آفاق ذوقية. فتعريف الجنس من قوله تعالى {والسلام عليَّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا} ينطوى على تعريض[١٦] هذا التعريض يصح أن نقول عنه انه ملحظ وجدانى أو معنى بلاغي، لكنه ينبع من (أل) الجنسية أو من المعنى النحوى القريب ومن هنا نلاحظ أين يكمن المعنى البلاغى ومن أين ينبعث.

ويتمثل هذا المنحى في كثير من الاعتبارات النحوية التى لم تكن تخلو تماما من الاعتبارات الوجدانية كالقول (بأل الكمالية) أو التى تفيد الكمال في الصفة، والتى على تأويل التنكير، اذ الانتقال، من الجنس أو العهد الى القول بكمال الصفة والابهام الواسع الذى يحتمله التنكير، يمكن اعتباره في قرب وجدانيا، أو هو انتقال من ظاهرة اساسها نحوى الى ظاهرة بلاغية أو ملحظ وجداني.

واذا ما انتقلنا الى ضروب التعريف الأخرى فاننا نلاحظ أن المعنى البلاغى فيها أزهى مما كان عليه في (أل).

ففى التعريف باسم الموصول يتمثل هذا الاتجاه في الفروق التى وقع عليها الزمخشرى بين التعبير باسم الموصول (ما) واسم الموصول (من) وما يحمله اسم الموصول مع صلته من أصباغ ذوقية كالمدح والتفخيم أو الذم والتحقير. وهذه المعانى الجديدة هى التى نقول عنها انها ملحظ بلاغى ولكن يجب ألا ننس أن هذا الملحظ كان نابعا من ملحظ آخر هو اسم الموصول وصلته أى من معنى ذهنى وأساس نحوى.

وفي التعريف بالاشارة نهتدى الى معان وجدانية قريبة من المعانى الوجدانية في اسم الموصول كالتفخيم والتعظيم والاستحقاق، والاستهانة والتحقير والتصغير، وهى معان تنبع من فكرة الربط أو التعليق بين اجزاء الكلام التى يؤديها اسم الاشارة، أى انها ترتد كسابقتها الى ملحظ عقلى أو أساس نحوى.

وهذا المعنى البلاغى ينمو نموا ملحوظا في ظل معنى نحوى آخر هو التعريف بالاضافة فنجد التفخيم والتعظيم والتهكم والاستهزاء والاستحقاق والاستعطاف والرحمة والتحسر والمبالغة، ونجد أنفسنا أمام تعبيرات تنم عن احساس ذوقى غامض كقوله «وهذا أمر لا يدرك كنهه ـ أو ـ لا يعلم كنهه ـ أو ـ له شأن»[١٧].

على هذه الصورة نرى الزمخشرى ينتقل من المعنى النحوى الى المعنى البلاغى أو يفتش عن أحدهما في قلب الآخر. وغاية ما نقوله هو أن المعنى البلاغى نما وازدهر في ظل المعنى النحوى وأن خيال الزمخشرى واحساساته الجمالية نمت أيضا وصبغت النص بشيء من لونها وحرارتها.

واذا ما انتقلنا الى التنكير فاننا نجد هذا الاتجاه متمثلا في المعانى الثانية التى يفيدها التنكير كالتفخيم والتعظيم والكمال في الصفة أو بما لا يكتنه وصفه أو لوقوعه وراء صفة الواصف، أو كان يدل على التوبيخ[١٨] أو يكون ذا دلالة نفسية كقوله ان هذه النكرة «من أوقع النكرات وأحزها للمفصل»[١٩] وان في هذا التنكير إقناطا كليا[٢٠] أو أنه يشير الى اليأس والقنوط والحيرة[٢١].

والواقع أن هذا الملحظ الوجدانى نما نموا كبيرا في ظل التنكير الذى يفيد الابهام. فالابهام هو المعنى القريب للتنكير وهو المعنى الذى استغله الزمخشرى في اثبات أغراض أولى قريبة كالتبعيض والتكثير والشمول وغيرها، كما بينا. أما هنا فنراه يتجاوز الابهام الى آفاق شعورية جديدة أو لنقل ان المعنى النحوى ينطوى على معنى بلاغى. فالابهام في قوله تعالى (ووالد وما ولد) هو الابهام المستقل بالمدح والتعجب[٢٢] والابهام في كلمة (أساور) انما هو لابهام أمرها في الحسن[٢٣]، وفي كلمة (ساق) «للدلالة على أنه أمر مبهم في الشدة خارج عن المألوف»[٢٤] وفي (هدى) ابهام «لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره»[٢٥].

وهذه الآفاق الشعورية من الحسن والتعجب والشدة والتعظيم واليأس والحيرة والتوبيخ انما هى ادراك جمالى نابع من أساس نحوى أو هى احساس فنى لدلالة التنكير وتذوق حيوى لأسرار التعبير فيه.

شىء آخر يبقى في هذا الاتجاه هو تردد الزمخشرى، أحيانا، بين اثبات أغراض نحوية وأخرى بلاغية. فأل الكمالية تقترب من أل الجنسية. والتى على تأويل التنكير تختلط بمفهوم العهدية، والتعظيم في ما الموصولة يختلط بما المصدرية. والتنكير الذى يفيد التكثير والتبعيض يختلط بالتنكير الذى يفيد التفخيم والتعظيم: وتنكير الإبهام يختلط بالتنكير الذى يفيد التبعيض، والتنكير الذى يفيد الكمال في الصفة أو هو لأمر لا يكتنه وصفه يختلط بتنكير التبعيض والتقليل.

وهذا الخلط أو التردد في اثبات أغراض نحوية وأخرى بلاغية يكشف بوضوح أن المعنى النحوى يمكن أن يعيش في قلب المعنى البلاغى وأن المعنى البلاغى يمكن أن يعيش في قلب المعنى النحوى. وبتعبير آخر: انه لا نستطيع أن نضع حدودا فاصلة بين المعنيين فهما دائما يتبادلان التفاعل والتأثر وان المعنى النحوى يحمل الحاجة الى المعنى البلاغى وهذا بدوره يحمل الحاجة الى المعنى النحوى. والواقع أن الزمخشرى شعر بالتداخل المحير الذى يصل بين هذين الملحظين وبالصلة الغامضة التى تربط بينهما فخضع لهذا الاحساس والشعور ومن ثم جاءت صورة التعبير عنده مقترنة بهذين المنحيين (المنحى النحوي والمنحي البلاغي) ومؤلفة منهما.

نقد وتقويم:

ونحن اذا أمعنا النظر في صنيع الزمخشرى فإننا نلاحظ أنه يعطى لمعانى النحو أهمية خيالية. كل شىء يرتد الى مظاهر النشاط اللغوى وينبع منه. هذه هى خلاصة التعريف والتنكير بكل جزئياته وتعقيداته.

والواقع أن هذا الصنيع لا ينطوي على جدة حقيقية. اللغة تعرف الكلمات المنكرة المبهمة وتعرف الكلمات المحددة أو المعرفة، وجهد الزمخشرى محصور في تعقب مظاهر الإبهام والتحديد.

هذه الطريقة الفكرية تستغل ما تنطوى عليه مظاهر النشاط اللغوى من أمور كثيرة. فهى لا تضيف معانى جديدة كل الجدة وانما هى توثق الاشارة الى شيء سابق أو تعيد رسمه بألوان أزهى قليلا.

التعريف والتنكير وكل مظاهر النشاط اللغوى الأخرى لا تضيف شيئا جديدا وانما نستغل ما فيها من مزايا لا حصر لها. ونحن اذا قرأنا (التعريف والتنكير) وما ورد فيهما من مزايا أو ألوان بلاغية فسنجد الشغف الشديد بفكرة المدح والذم.

اننا نواجه باستمرار التعبيرات التى تشير الى المدح والتفخيم والتعظيم والاستحقاق، أو تلك التى على نقيضها من الذم والتعريض والتوبيخ والاستهزاء. والزمخشرى معذور، من الوجهة التاريخية، في ذلك لأن المدح والهجاء (أو الذم) هما محورا التفكير في دوائر البحث القديم.

بنية اللغة وبنية النحو يستحيلان الى أسلوب في المدح وأسلوب في الذم، وكل ما أراده الزمخشرى هو أن يتعمق هذه الفكرة ويجد صدى لها في تفتيق جوانب العبارة وبنية اللغة.

وهذا التزييف في مظاهر النشاط اللغوى يؤول الى اهمال فاعلية الخلق اللغوى وهدم الدلالة الكلية للعمل الأدبى بأبعادها المختلفة. فاللفظة أو الكلمة المفردة لا تشير الى معنى أو فكرة فحسب بل هى نسيج متشعب من الأحاسيس والمشاعر التى أنتجتها التجربة الانسانية والعبرة تكمن بما تحتويه اللفظة من مكنون شعورى وبما توحيه في موضعها من خواطر ومشاعر.

فالتنكير من قوله تعالى {أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها} أبعد من التبعيض[٢٦] الذى يذهب اليه الزمخشرى، فهو معنى قاصر لا ينهض بعبء كبير من الصورة الفنية المرسومة أمامنا. التنكير هو هذا الصدر الرحب الذى يحتضن الماء والسيل والزبد، أو لنقل هو هذا الإطار الخارجى للصورة.

وبداخله تبدو المفارقات. الماء وما يرمز اليه من جهة. والزبد وما يرمز اليه من جهة أخرى كل شيء داخل الاطار موج ومتحرك. وجمال التنكير انه يهب لأجزاء الصورة حرية التحرك داخل اطارها. الماء غزير بهطوله وسرعة ملتقاه والأودية تفتح ذراعيها له. ويكاد الصراع يمزق هذه الأجزاء لولا هذه الكلمة الرقيقة - بقدرها - التى تعيد التوازن للصورة وتمنح الماء هبة الخير والعطاء. صورة الزبد تتجدد دائما لكن سرعان ما تجف وتذبل.. عمرها قصير أشبه برحلة الحياة.

كل شيء في الصورة موج ومتحرك والتنكير هو وحده القادر على أن يهب لخيالنا أن يتذوق هذه المدلولات الوجدانية أو أن سر الجمال فيه ينبع من أنه يهبنا القدرة في أن نتلمس هذه الحالات النفسية أو نشاهدها في لوحة أو مشهد من لوحات الطبيعة ومشاهدها الخالدة.

والتنكير في قوله تعالى [وأن يحشر الناس ضحى} أبعد من دلالته على نية التعريف[٢٧] أو من الاحساس المعجمى القريب لهذه الكلمة (ضحى).

فهو يشير الى الثقة والنصر التى تملأ نفس موسى والى الطمأنينة والرضى التى تفعم صدره: أما ذلك المعنى النحوى القريب أو الاحساس اللغوى الميت، الذى يذهب اليه الزمخشرى، فلا ينهض بشيء من هذا الايحاء الوجدانى «بل ربما كان الأصح أن المعنى في كل استعمال يتجدد تجددا كليا، وأننا من أجل ذلك لا نستطيع، مثلا، أن نقول ان الضحى كلمة تعنى الوضوح والبروز. مثل هذا القول يبسط المعنى أكثر مما ينبغى ويختصره في كيفية أو نعت ويهمل جانبا كبيرا جدا من الارتباطات والمعانى التى اشترك الضحى في النهوض بها.

الكلمة نسيج حى أو هى أقرب الى مجموعة من العمليات، ولا يمكن فهمها بمعزل عن مواقف تجسيدها في الحياة. فتنكير الغد من قوله تعالى (ولتنظر نفس ما قدمت لغد) توحى الى معنى أعمق من التعظيم الذى يقول به الزمخشرى[٢٨] أو من الاحساس القريب بالزمن الذى يعكسه الاحساس اللغوى.

أما هذا الغد ما سره؟ وماذا يحمل معه ؟ فهذا أمر متروك للتنكير الذى يطرق أسماعنا وينفذ الى مشاعرنا بكل ما أوتى من حيرة. انه رمز للمجهول الذى نطمح دائما في اكتشافه ورمز للحيرة التى تلفنا أو النكسة التى تعاودنا من حين الى حين عندما نخفق في تحقيق ما نصبو اليه.

ثم ان فاعلية السياق ودلالة التركيب ذاته لهما أثر لا نستطيع أن نتجاهله في الفهم الوجدانى لبلاغة التعريف والتنكير وقيمتهما النفسية اذ لا يمكن فهم دلالة أى منهما بمعزل عن مساقه أو بمنأى عن الدلالة الحيوية للتركيب اللغوى ذاته. فالنص أشبه شيء بالحقل لا يسقط عليه ضوء واحد دائما، كما أن ظروف تربته والحشائش التى تكسوه ليست بأية حال واحدة، وفي وسع المرء أن يعبر عن تجارب حياة كاملة بلغة هذا الحقل وألوانه وأضوائه المتغيرة. ومن أجل ذلك لا نستطيع أن نقول ان التعريف من قوله تعالى {وليس الذكر كالأنثى} للعهد كما يقول الزمخشرى[٢٩] فهو معنى قريب لم يقصد به أكثر من التعيين. واذا ما عدنا الى قراءة النص داخل سياقه أو في ضوء تربته التى ينمو عليها (ربِّ إنى نذرت لك ما في بطنى محررا فتقبَّل منِّى إنك أنت السميع العليم. فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى) فاننا نجد أنفسنا أمام عواطف انسانية متشابكة داخل النفس، يتعانق فيها الرجاء باليأس والدمعة بالابتسامة، أمام أمنية امرأة عجوز لا يزال في قلبها بقية من فتوة وشباب. والنص كله يكاد أن يكون تصويرا لهذه الحالة النفسية أو لهذه العواطف المتصارعة. رجاؤها نحس به في هذا النداء/ رب/، وحذف الأداة من هذا النداء رمز لاحساسها بالقرب الذى يدنيها من خالقها. والابهام في ما - ما في بطنى - رمز لحيرتها وأمنيتها المشوبة باليأس. والتعبير بهذا الفصل - تقبَّل - ليس خشوعا وتضرعا فحسب بل نحس أننا ازاء ارادة فيها شيء من الضعف، أو هى غصة محرقة تعاودها كلما لمست بيدها صفحة شبابها الذابلة. ثم انظر كيف كرر النداء وله هذه المرة طعم جديد ففيه التحسر والأسى وكيف جاءت جملة التأكيد لتزيل الستار عن بقية الأسى في نفسها.

في ضوء هذه الظلال الوجدانية أوفى ضوء ملاحظة هذه الحركة النفسية نستطيع أن نتمثل دلالة أل التعريف التى لا تعدو أن تكون عهدا نفسيا

يعيدنا الى هذه الأحاسيس والمشاعر باستمرار.

بل ربما كانت الاعتبارات النفسية من أصح ما يبنى عليه الفهم الوجدانى والذوقى لمدلول التعريف والتنكير فبالملاحظة النفسية تعلل أسرار التراكيب ودقائق النظم والتأليف، وبدونها يمس المعنى ساذجا قريبا لا تكاد النفس تطمئن اليه. ومن أجل ذلك لا نستطيع أن نقر الزمخشرى بالابهام القريب الناتج عن الاحساس اللغوى والذهنى للتنكير من قوله تعالى {اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا}[٣٠] فالقفرة والوحشة في هذه الأرض رمز لقلوب أخوة يوسف المقفرة من العطف والحنان.

وهذا الابهام أقرب الى أن يكون تعبيرا عن هذه العواطف الغامضة المبهمة - عواطف الأخوة المتشابكة - منه الى الاحساس الذهنى المجرد.

ومنبع الجمال في التنكير هو أنه يتيح الفرصة لخيالنا أن يتلمس جزئيات هذه اللوحة المعبرة ويسمح لنا أن نقرأ فيها هذه الدلالات النفسية العميقة والمواقف الوجدانية المتفاعلة - وهذه هى الحقيقة الفنية - للتنكير - التى يتم التوصل اليها عن طريق المعاناة دائما لا عن طريق الدراسة المجردة.

وغني عن البيان أن التعريف يميت معه هذه المعانى لأنه يرتد بنا الى أرض محددة معينة تلغي معها هذا الاحساس بالغموض والوحشة والقفرة التى نلمسها في التنكير.

تلخيص:

غاية ذلك كله أن المعانى البلاغية عند الزمخشرى كانت ترتد الى مظاهر النشاط اللغوى والى أحكام النحو وعلاقاته وأسرار نظمه التى أعطاها قيمة خيالية كبيرة جدا. وأن هذه المعانى البلاغية كانت اضافات طارئة لا تحمل معها شيئا جديدا بقدر ما كانت زخرفة أو تلوينا لمعنى سابق، ومن ثم تحولت بنية اللغة ومظاهر النشاط اللغوى الى شيء من هذه الزخرفة والتلوين.

وهذا الفهم القريب أهمل فاعلية الخلق اللغوى وبدا عاجزا عن استيعاب أسرار اللغة ووجوهها التى يدق فيها النظر، ومن ثم كان لابد من رؤية جديدة لفهم النشاط اللغوى المتمثل في (التعريف والتنكير) فهما وجدانيا يقوم على ايحاء الكلمة وتذوق مدلولها الحيوى، ودلالة التركيب، وفاعلية السياق، ومعرفة القيمة النفسية لهذا النشاط اللغوى وموقعه على النفس.

الهوامش:

(١٤) الكشاف: ٤/٦٥.
(١٥) الكشاف ٣/٤٧.
(١٦) الكشاف ٢/ ٥٠٨.
(١٧) الكشاف ٣/ ٢٤١.
(١٨) الكشاف ٣/ ٣٢٧ - ٣٢٨.
(١٩) الكشاف ٣/ ٢٨.
(٢٠) الكشاف ١/ ٢٧٩.
(٢١) الكشاف ٣/ ٤١٨.
(٢٢) الكشاف ٤/ ٢٥٥.
(٢٣) الكشاف ٢/ ٤٨٣.
(٢٤) الكشاف ٤/ ١٤٧.
(٢٥) الكشاف ١/ ١٤٥.
(٢٦) الكشاف ٢/ ٣٥٦.
(٢٧) الكشاف ٢/ ٥٤٢.
(٢٨) الكشاف ٤/ ٨٦.
(٢٩) الكشاف ١/ ٤٢٥.
(٣٠) الكشاف ٢/ ٣٠٥.

المصطلحات الإنشائية والمعمارية في القرآن الكريم

القرآن الكريم ينبوع العلوم والمعارف، والإعجاز العلمي فيه واضح في دقته المتناهية في تصوير حقائق الكون الراهنة. وقد تكرر لفظ العلم ومشتقاته فيه، مئات المرات، وحث على النظر فيما يتعلم منه الإنسان في آيات كثيرة، بل ودعا إلى السير في الأرض والهجرة لطلب العلم، كما جاء في قوله تعالى في سورة العنكبوت/ ٢٠ {**قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق**}.. وقد دعا القرآن الكريم إلى دراسة مختلف العلوم، وإنه حوى أصول هذه الدراسات في مختلف قطاعات العلم. فعلي سبيل المثال نجد أن الآية/ ٣٠ من سورة الأنبياء: {**أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي**}، قد شملت أهم نظرية في خلق الكون واسمها (نظرية لابلاس) في خلق السماوات والأرض. وقد بحثت بين آيات الكتاب المبين عن بعض المصطلحات الهندسية الإنشائية والمعمارية التى نستعملها في كتاباتنا الهندسية، وأسهبت في دراسة معانيها اللغوية والهندسية، مع ذكر المصطلح الإنجليزي المرادف لها، من خلال دراسة موجزة لتطور البناء والإنشاءات عبر التاريخ، والذي ارتبط بشكل وثيق بتطور مواد البناء وتقنيات البناء والتشييد.

١ - المقدمة:

بسم الله والحمد لله الذي ينفدُ البحر قبل أن تنفد كلماته، سبحانه أنزل الفرقان كتاباً محكماً ناصع البيان، قاطع البرهان. هو العليم الذي لا تحيط فهارس الكائنات بواسع علمه، والحكيم المتعالي الذي لا غور لقاموس حكمته.

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على نبي الأمة سيدنا محمد، المبعوث بالحق والرحمة، وعلى آله وصحبه أجمعين.

لا يخفى ما يعانيه المرء - أحياناً - إذا أراد الاستشهاد بآية كريمة من القرآن الكريم، للرجوع إلى أحكامه الشرعية في أمور دينه ودنياه. ويزداد الأمر صعوبة عندما يتعلق الأمر بالبحث عن المفردات والمصطلحات الفنية والهندسية بشكل عام، وما يماثلها من ألفاظ، أو ما يقابلها من كلمات أو مصطلحات كذلك التي نستعملها في كتبنا العلمية وبحوثنا أو دراساتنا التخصصية.

لقد باشرت بالبحث بين آيات الذكر الحكيم عن المفردات الهندسية في مجال هندسة العمارة والإنشاء وإني - مع شدة ما عانيت من مشقة البحث والجمع والمراجعة - لا أبرىء نفسي من زلة السهو، فإني أبرأ إلى الله تعالى من خطأ العمد، وأستغفره لما طغى به القلم.

٢ - الانسان والبناء:

منذ وجد الإنسان، وفجر التاريخ، كان الشعور بالحاجة الماسة للسكن (المأوى)، وكان المأوى بدائياً، حيث لجأ الإنسان القديم إلى اتخاذ الكهوف

بقلم: سامي ميري كاظم
كلية الهندسة - جامعة ناصر *
- ليبيا -



(Caves) التي لم يشارك في بنائها، بل كونتها العوامل الطبيعية، مأوى له. وكنتيجة لشغف الإنسان، منذ القدم، لاكتشاف العالم الذي يعيش فيه، وتعرفه على أسرار الطبيعة ومخاطرها، استطاع تطويع الطبيعة وصنع الحضارة (Civilization)، فابتدأ يفكر في بناء مأواه بأسهل الطرق، وباستخدام أكثر المواد توفرا لديه، فاستخدم غصون الأشجار وجذوعها لبناء الهيكل البدائي لكوخه، ونسج جدرانه من حصائر أوراق الأشجار، وطور الكهوف الطبيعية ببناء جدران حجرية لها، وبنى الأكواخ الحجرية وسقفها بحجارة مسطحة أو متطاولة منتقاة، وكساها، وسد الفراغات بينها بالأعشاب والطين. واستخدم قاطنو السهول والوديان (الطين) لبناء أكواخهم وخلطوها بالتبن فحصلوا على مادة بناء جيدة شيدوا منها مساكنهم. وعلى نفس المبدأ، استخدم الرعاة جلود الحيوانات وشعورها، فشيدوا منها خيامهم الخفيفة المشدودة بالحبال والسهلة النقل. كما شيد قاطنو المناطق القطبية الثلجية أكواخهم من قطع الثلج المتجمدة، وكسوها من الداخل بفراء الحيوانات التي يصطادونها.

ومع تطور المجتمع البشري، وتطور الحياة الجماعية لدى الناس، وظهور التجمعات المستقرة التي تطورت إلى مدن، ظهرت الحاجة إلى تطوير الأبنية التي بدأت تستخدم لأغراض مختلفة، غير المأوى، كالمعابد والقلاع والقصور ومشاريع الري والجسور والسدود الواقية من السيول... الخ. وقد أدى هذا التطور في الحياة الاجتماعية للإنسان إلى وجود مالكين للأراضي يستغلونها للصيد والرعي والزراعة والسكن.

وقد ذكر القرآن الحكيم مصطلح (المُلك -Prop erty): ما يُملك ويتصرف فيه، والجمع (أملاك)، ويقال (ملك الشيء مُلكا: حازه وانفرد بالتصرف فيه، فهو مالك). وفي التنزيل العزيز: في سورة الإسراء/ ١٠٠ **{قل لو أنتم تملكون خزائن}**، وسورة يس/ ٧١: **{فهُم لها مالكون}**. وعلى هذه الأرض التي يمتلكها الفرد.. يبني له مسكنا يلجأ إليه ليجد فيه الراحة والسعادة والأمن والطمأنينة، حيث تردد مصطلح (السكن Home) المسكن - والجمع (مساكن) - في سور قرآنية عديدة، منها سورة الإسراء/ ١٠٤ **{اسكنوا الأرض}**، وفي سورة ابراهيم/ ٤٥ **{وسكنتم في مساكن}**، وفي سورة التوبة/ ٢٤: **{ومساكن ترضونها}**، كما وردت مصطلحات مرادفة للسكن، مثل مصطلح (البيت Home): مأوى الإنسان، ثم قيل لما يُتخذ للسكنى، والجمع (بيوت)، كما جاء في قوله تعالى في سورة النور/ ٦١: **{... من بيوتكم أو بيوت آبائكم}**، وسورة الأحزاب/ ٥٣: **{.. لا تدخلوا بيوت**

٠٠}، وسورة البقرة/ ١٢٥: **{وإذ جعلنا البيت مثابة٠٠}**، وكذلك مصطلح (الدار Dwelling): المنزل المبني، والموضع الذي يسكنه الناس، والجمع (دور) و (ديار)، وقد ورد في سورة هود/ ٦٥: **{٠٠ تمتَّعوا في داركم٠٠}**، وفي سورة الأعراف/ ٧٨: **{٠٠ فأصبحوا في دارهم٠٠}**، وفي سورة البقرة/ ٨٤: **{٠٠٠ من دياركم٠٠}**، وقد ذكر مصطلح (القصر Palace): البيت الفخم الواسع المبني بالحجارة أو نحوها، وجمعه (قصور)، كما جاء في سورة الحج/ ٤٥: **{٠٠٠ وقصر مشيد}**، وفي سورة الأعراف/ ٧٣: **{٠٠٠ من سهولها قصورا٠٠}** مثلما أشار التنزيل العزيز إلى مصطلح (عماره Architecture): ما يُعْمَرُ به المكان، وهو مبنى كبير فيه عدة مساكن في طوابق متعددة، وعمّره عمارة، فهو معمور، وقد ورد في سورة التوبة/١٩: **{٠٠ وعمارة المسجد الحرام٠٠}**، وعمارة المسجد بما يناسبه من إقامة الشعائر والعبادة، وفي سورة الطور/٤: **{والبيت المعمور}**.

ومنذ بدء الخليقة، والإنسان دائم الرحيل من مكان لآخر هو وحيواناته، باحثا عن الخضرة والعيون والماء، فإذا وجدها في مكان ما، بدأ في استيطانه واستقر فيه، وأنشأ ما يعرف بالتجمع العمراني. وقد ورد ذكر مصطلح (الماء Water) في سورة الأنبياء/٣٠: **{٠٠ وجعلنا من الماء كل شيء حي٠٠}**، وفي سورة البقرة/٧٤: **{٠٠ فيخرج منه الماء٠٠}**، وفي سورة الحجر/٢٢: **{٠٠ فانزلنا من السماء ماء٠٠}**. وقد ذكر مصطلح (العيون Springs)، قالوا: عين الماء، تشبيها لصفائها ومائها الجاري. كما جاء في قوله تعالى في سورة يس/٣٤: **{٠٠ وفجرنا فيها من العيون}**، وفي سورة القمر/١٢: **{وفجرنا الأرض عيونا٠٠}**، وفي سورة الحجر/٤٥: **{٠٠٠ في جنَّات وعيون}**.

وقد تشكلت من هذه البيوت والمساكن قرب منابع المياه والعيون، المستعمرات البشرية والعمرانية التي أصبحت نواة لمنشأ القرية، ومن تجمع القرى تكونت المدينة، ومن هذه المدن، تكونت الأمصار والبلدان. ولم تنشأ القرى أو المدن ولم تتطور بشكل عفوي، إنما كان نموها نتيجة جملة من العوامل الاستراتيجية المتعلقة بالموقع والموضع والعوامل الاقتصادية والسياسية، وكانت المدينة في كل العصور رمزاً للعمل والراحة والأمان، فهي تتفاعل مع المناطق المحيطة بها، وهي نقطة التقاء وتجمع للطرق وخطوط المواصلات والمنتوجات الزراعية والصناعية ولجميع البضائع ومركز للخدمات والمؤسسات المالية والمصرفية.

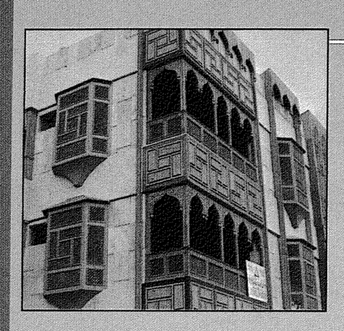
وقد ورد مصطلح (القرية Village): كلُّ مكان اتصلت به الأبنية، والجمع (قرى)، في سور قرآنية عديدة نذكر منها، في سورة الأنعام/ ١٢٣: **{٠٠ جعلنا في كل قرية٠٠}**، وفي سورة القصص/ ٥٨: **{وكم أهلكنا من قرية٠٠}**، وفي سورة البقرة/ ٥٨: **{٠٠ ادخلوا هذه القرية٠٠}**، بينما ورد ذكر مصطلح (المدينة City): البلدة العظيمة تجمع المنازل والأسواق، وجمعها (مدن) و(مدائن)، إذ جاء في سورة يوسف/ ٣٠: **{وقال نسوة في المدينة٠٠}**، وفي سورة الحجر/ ٦٧: **{وجاء أهل المدينة٠٠}**، وفي سورة الأعراف/ ١١١: **{٠٠وأرسل في المدائن حاشرين}**.

٣- مواد الإنشاء وخصائصها:

لتحقيق الوجه الأكمل لأي منشأ هندسي في المتانة والديمومة، يستوجب وجود التصميم المتكامل الذي يأخذ في الحسبان، المواد الإنشائية المستعملة والظروف التي تتعرض لها، والمدة التي ستستعمل فيها، وكذلك عامل الأمان والاقتصاد في التكلفة. وقد ظهرت حاجة الإنسان إلى المواد الإنشائية مع ظهور حاجته للمسكن. وقد استخدم مواد الإنشاء المتوفرة في الطبيعة قديماً، فاستخدم الأحجار والصخور والطين والرمل والقطران. وبدأ الإنسان في اختراع بعض الأدوات البسيطة التي تساعده على تشكيل المواد التي يصنع منها مسكنه، فكانت الأدوات عندئذ بدائية تمكنه فقط من تقطيع الأحجار وتهذيبها وتقطيع فروع الأشجار وتقليمها.

واستمر الإنسان في تطوير تلك الأدوات والآلات التي تساعده في تحقيق متطلباته ورغباته، وتطورت خبرة البنائين لمواكبة متطلبات الحياة المتزايدة. وقد

وردت في آيات الذكر الحكيم إشارات عديدة للمواد الإنشائية مثل مصطلح (الطين Clay): واحدتها طينة، الوحل المعروف، وقد يسمى طيناً بعد زوال مائيته، طين لازب، كما جاء في سورة الأنعام/٢: {٠٠**خلقكم من طين٠٠**}، وفي سورة ص/٧٦: {٠**وخلقته من طين**}، بينما ورد ذكر مصطلح مماثل (الصلصال: كل ما جف من الطين ما لم يجعل خزفاً)، حيث ورد ذكره في سورة الرحمن/١٤: {٠٠ **من صلصال كالفخّار**}، وفي سورة الحجر/ ٢٦، ٢٨، ٣٣: {٠٠ **من صلصال من حمإ مسنون**}. كما ورد ذكر مصطلح (الحجارة Stone): واحدتها الحجر، المادة الصلبة التي تتخذ من الجبال، ويقال كسارة الصخور. إذ وردت في قوله تعالى في سورة الذاريات/٣٣: {٠٠ **حجارة من طين**}، وفي سورة الفيل/ ٤: {٠٠ **بحجارة من سجيل**}، وفي سورة البقرة/ ٧٤: {٠٠ **فهي كالحجارة أو أشد قسوة٠٠**}. كما ذكر مصطلح (الصخر Rock): الحجر العظيم الصلب، واحدته صخرة، إذ ورد ذلك في سورة الكهف/ ٦٣: {٠٠**إذ أوينا إلى الصخرة٠٠**}، كما أشارت بعض سور الذكر العزيز إلى مصطلح (غبرة Dust): الغبار، ما يبقى من التراب المثار، حيث ورد ذلك في سورة عبس/ ٤٠: {٠٠ **يومئذ عليها غبرة**}٠٠ بينما تطرقت بعض آيات الكتاب المبين إلى مصطلح (ركام Aggregate): ما اجتمع من الأشياء وتراكم بعضه فوق بعض، حيث جاء في قوله تعالى في سورة النور/ ٤٣: {٠٠ **ثم يجعله ركاما٠٠**} ٠٠ وقد ورد مصطلح (التراب Dust): ما نُعِم من أديم الأرض، ويقال ما تفتت ودُقّ من جنس الأرض، حيث ورد ذلك في سورة النحل/ ٥٩: {٠٠ **أم يدسه في التراب٠٠**}، وفي سورة الحج/٥: {٠٠ **خلقناكم من تراب٠٠**}. كما ورد ذكر مصطلح (القطران Tar): عصارة شجرة الأرز، تطبخ ثم تطلى بها الإبل، ويقال مادة سوداء سائلة لزجة تستخرج من الخشب والفحم ونحوهما، وهي مادة إنشائية مانعة للرطوبة، وتستخدم في رصف الطرق٠٠ وقد ورد ذكرها في سورة إبراهيم/٥٠: {**سرابيلهم من قطران٠٠**}.



كما أشار القرآن الكريم إلى مواد إنشائية أخرى مثل مصطلح (الزجاج Glass): جوهر صلب سهل الكسر، شفاف، يصنع من الرمل والقلي، والزجاجة: القطعة من الزجاج. حيث ورد ذلك في سورة النور/٣٥: {٠٠ **المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب٠٠**}. كما تطرق الكتاب المبين الى مصطلح (الحديد Iron): عنصر فلزي معروف يجذبه المغناطيس، ومن أنواعه: الزهر والمطاوع والصلب، حيث وردت سورة قرآنية كاملة تحمل اسم (سورة الحديد)، وقد ورد منها الآية/٢٥: {٠٠ **وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس٠٠**}. بينما ورد ذكر المصطلح في سور قرآنية أخرى، منها سورة الكهف/ ٩٦: {**آتوني زبر الحديد٠٠**}، وسورة سبأ/١٠: {٠٠ **وألنا له الحديد**}. كما أشار القرآن الكريم إلى ذكر مصطلح (الرمل Sand): فتات الصخر. وحدد القرآن الكريم خصائص هذا النوع من التربة غير المتماسكة (Noncohesive) كما جاء في سورة المزمل/١٤: {٠٠ **كثيبا مهيلا**}، فالكثيب: الرمل المتراكم، والمهيل: الرخو اللين وغير المتماسك. مثلما وردت بعض الخصائص الفيزيائية للمواد الإنشائية٠٠ حيث ورد مصطلح (عذب فرات Fresh): الشديد العذوبة، إذ ورد ذكر ذلك في سورة فاطر/١٢: {٠٠ **هذا عذبٌ فرات٠٠**}، وفي سورة المرسلات/ ٢٧: {٠٠ **وأسقيناكم ماء فراتا**}. بينما ورد ذكر مصطلح (ملح أجاج Salt): الشديد الملوحة. إذ ورد ذكر ذلك في سورة

فاطر/١٢: {.. **وهذا ملح أجاج..**} كما ورد في الذكر المبين مصطلح (لين Soft)، يقال: لان الشيء: سهل وذهبت صلابته، فهو لين، حيث جاء ذلك في سورة سبأ/١٠: {.. **وألنا له الحديد**}. بينما جاء ذكر مصطلح (صلد Hard): الصلابة واليبس، كما ورد في سورة البقرة/ ٢٦٤: {.. **فتركه صلداً..**} وقد جاء ذكر مصطلح (الدك Compaction): يقال دكَّ الأرض: فتَّت أجزاءها وسوّاها، مثلما جاء ذكر ذلك في سورة الفجر/٢١: {**كلا إذا دُكَّت الأرض دكا دكاً**}. وفي سورة الأعراف/ ١٤٣: {.. **جعله دكاً..**}. وقد أشارت بعض آيات التنزيل العزيز إلى مصطلح مماثل (الرص Compaction): يقال رص البنيان: يرصه رصاً: أحكمه وجمعه وضم بعضه إلى بعض، فالبنيان مرصوص، إذ ورد ذلك في سورة الصف/٤: {.. **كأنهم بنيان مرصوص**}. وقد ورد ذكر مصطلح (الثني Bending): يقال ثنى الشيء يثنيه ثنيا: عطفه ورد بعضه على بعض، حيث جاء ذلك في سورة هود/٥: {.. **يثنون صدورهم..**}. وقد جاء مصطلح (المثلى Optimum): وهو وصف للتفضيل لكل ما هو فاضل ذو مزية في نوعه وبابه، نحو قوله تعالى في سورة طه/٦٣: {.. ويذهبا بطريقتكم المثلى}.

٤ - طرق البناء وأنظمة التشييد:

منذ خلق الإنسان، ظهرت معه الحاجة إلى مأوى يحميه من تقلبات الجو وأخطار الطبيعة المحيطة به ومع تطور حياته، تطورت احتياجاته، ومع هذا التطور تطورت طرق البناء وتقنياته وأنظمة التشييد، ومرت بمراحل مختلفة، وذلك على مرّ الأزمان والعصور.. وقد استخدم الطابوق الطيني (الآجر) في بناء الجدران والأعمدة والسقوف، بينما وجدت شواهد تاريخية كثيرة تدل على قدم استخدام الأحجار في التشييد، في بناء الأعمدة الحجرية (Columns) والأعتاب أو الحواجز المنحوتة من الحجر (Beams)، والأقواس (Arch-es)، والعقود (Vaults)، والقباب (Domes)... الخ، وكان لتطور صناعة الحديد وطرق استخراجه وصهره تأثير كبير على شكل المنشآت وحجمها، كما كان اكتشاف السمنت والخرسانة، ثم بعد ذلك الخرسانة المسلحة (Reinforced Concrete) والخرسانة المسبقة الإجهاد (Prestressed Con-crete) ثورة في عالم الهندسة الإنشائية والمعمارية، فظهرت إنشاءات خرسانية عملاقة وفريدة من نوعها. وهكذا ارتبط تطور الأبنية والإنشاءات (عبر التاريخ) بشكل وثيق بتطور مواد الإنشاء وتقنية البناء والتشييد، وقد استنبطت نظريات وطرق لتصميم المنشآت الخرسانية أو الفولاذية، تعتمد على مقدار الأحمال القصوى المسلطة ونوعيتها، وعلى خصائص الأعضاء الإنشائية التي تسلط عليها هذه الأحمال، وعلى سعة تحمّل تربة الأساس الذي يستقر عليه المنشأ.

وقد أشارت آيات الذكر الحكيم الى مصطلحات إنشائية ومعمارية عديدة بهذا الخصوص. فمثلا ورد ذكر مصطلح (الإنشاء Construction): يقال أنشأه: أوجده وأحدثه، ويقال أنشأه: رفعه، حيث جاء ذلك في سورة الواقعة/٣٥: {**إنا أنشأناهن إنشاءا**}. بينما ورد ذكر مصطلح (الحمل Load): الثقل أو الجسم الذي يرفع، وحمل الشيء: أقله ورفعه، والجمع أحمال. في سورة الحاقة/١٤: {**وحملت الأرض**} وفي سورة النحل/٢٥: {**ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة**} وهو تشبيه لحمل الذنوب بحمل الأثقال. كما ورد مصطلح (ثقل Weight)، ثقل الشيء ينقل نقلا فهو ثقيل أي رجح، وثقل الشيء وزنه، وتجمع (أثقال)، حيث ورد ذكرها في سورة العنكبوت/١٣: {**وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم..**} وفي سورة الأعراف/٨: {**والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه..**}، بينما ورد ذكر مصطلح (سعة Capacity) ويقال سعة الشيء: طاقته، ووسع الشيء الشيء: حمله فلم يضق عنه. إذ ورد ذكرها في سورة الطلاق/٧: {**لينفق ذو سعة من سعته..**} في حين أشارت بعض آيات الذكر المبين إلى ذكر مصطلح (الأقصى Maximum): أقصى الشيء: أبعده وبلغ أقصاه، والأقصى: الأبعد. حيث ورد ذلك في سورة الإسراء/١: {.. **إلى المسجد**

الأقصى..} وفي سورة يس/٢٠: **{وجاء من أقصى المدينة..}**. كما ورد ذكر مصطلح (القصوى Ul-timate): الغاية البعيدة، وهي مؤنث (الأقصى)، حيث جاء ذكرها في سورة الأنفال/٤٢: **{... وهُم بالعُدْوة القصوى..}**.

وأشارت بعض سور الكتاب المبين الى مصطلحات انشائية ومعمارية أخرى، مثل مصطلح (السور Wall): الحاجز أو الحائط، أي كل ما يحيط بشيء من بناء وغيره، حيث جاء ذكر ذلك في سورة الحديد/١٣: **{.. فضرب بينهم بسور له باب..}** وكذلك ورد ذكر مصطلح (الجدار Wall): الحائط، وجمعه (جدُر) أو (جدران).. حيث ورد في سورة الكهف/٨٢: **{وأما الجدارُ ..}**. وفي سورة الحشر/١٤: **{.. أومن وراء جُدُر..}**.. كما أوردت بعض سور القرآن الكريم ذكر مصطلح (الغرفة Room) العلِّية، والجمع (غرف) أو (غرفات)، حيث جاء ذكرها في سورة الزمر/٢٠: **{.. لهم غُرَفٌ من فوقها غُرَفٌ مبنية..}** وهي إشارة واضحة إلى البناء الهيكلي (Post and Beam System) وهو أحد الأنظمة الإنشائية للأبنية. وقد ورد مصطلح مماثل (الحجرة Chamber): المكان من الدار يحاط بجدران، وجمعها (حجر) و(حجرات)، كما جاء في سورة الحجرات/٤: **{.. ينادونك من وراء الحجرات..}** حيث ضم القرآن سورة تامة تحمل اسم الحجرات.

في حين أشارت آيات قرآنية كريمة أخرى إلى مسميات ومصطلحات لأبنية ومنشآت معروفة حالياً، مثل مصطلح (المسجد أو الجامع Mosque): مصلى الجماعة، والجمع (مساجد)، حيث ورد ذكر ذلك في سورة التوبة/١٨: **{إنما يعمر مساجد الله..}**. وفي سورة البقرة/١٩١: **{.. ولا تقاتلوهم عند المسجد..}**، وقد ورد ذكر مصطلح (السد Dam): الحاجز بين الشيئين والبناء في مجرى الماء ليحجزه والجمع (سدود)، كما جاء في قوله تعالى في سورة الكهف/٩٣: **{.. بلغ بين السدين..}**. وفي نفس السورة/٩٤: **{تجعل بيننا وبينهم سدا}**. وقد ورد ذكر مصطلح (البرج Tower) الحصن أو البناء العالي الذاهب في السماء، والجمع (بروج) و(أبراج)، حيث جاء في سورة النساء/٧٨: **{.. في بروج مشيدة..}**.

٥- مراحل تنفيذ البناء (مراحل الإنشاء):

تمر المشروعات الهندسية بالمراحل التالية ـ منذ ظهورها كفكرة إلى أن يتم تنفيذها:

المرحلة الأولى: دراسة الجدوى الاقتصادية للمشروع.

المرحلة الثانية: إعداد وثائق مناقصة المشروع.

المرحلة الثالثة: مرحلة تنفيذ المشروع.

فإذا كانت نتائج دراسة الجدوي الاقتصادية للمشروع إيجابية، ستبدأ الخطوة التالية لإعداد التصاميم والمواصفات الفنية للمشروع، وصيغ التعاقد وشروطه، ثم تطرح أعمال المشروع في مناقصة عامة ويتم تحليل العطاءات والبت فيها، حيث يعهد العمل بأكمله إلى مقاول متخصص أو أكثر، وتبرم (عقود Contracts): مفردها (عقد)، وهي العهد، وحيث إن العقد هو شريعة المتعاقدين، لذا فإن إعداد صيغة مناسبة للعقد والمستندات التي تلحق به، تعتبر من أهم العناصر الأساسية لعملية تنفيذ المشاريع، حيث ورد ذكر مصطلح (عقود) في سورة المائدة/١: **{... أوفوا بالعقود...}**.

(أ) - مرحلة تخطيط المواقع:

يبدأ تنفيذ المشاريع الإنشائية بمجموعة من الإجراءات الضرورية قبل المباشرة بالتشييد أو البناء، ومنها استحصال الموافقات الإدارية الأصولية للشروع بالبناء، وتسييج الموقع وتوفير الخدمات العامة اللازمة لإدارة المشروع. حيث ورد ذكر مصطلح (البناء Consruction): بمعنى الشيء المبني، والجمع (بُنيان)، وبنى البيت: أقامه، حيث ورد ذلك في سورة البقرة/٢٢ وغافر/٦٤: **{... والسماء بناء ...}**، وفي سورة الصف/٤: **{... كأنهم بنيان مرصوص}**، وجاء منها مصطلح (بنّاء Constructor): وهو من يحترف البناء، حيث وردت في سورة ص/٣٧: {...

كلَّ بنّاء وغواص}. ويجب تحديد موقع الأبنية ومراكز أسسها وجدرانها، وكذلك تعيين المناسيب والإحداثيات المتحكمة.. الخ، حيث يتم أولا تنظيف الموقع وإزالة الأنقاض وتسويته وتعديل أرضيته وتحويلها الى ساحة، حيث ورد مصطلح (الساحة Courtyard): فناء أو فضاء واسع، والجمع (السوح)، كما جاء في سورة الصافات/١٧٧: **{فإذا نزل بساحتهم..}**.

وتستخدم أجهزة ومعدات القياس المساحية لتحديد الاتجاهات، إذ يمكننا ـ بالتوجيه الجيد للبناء ـ الإستفادة من الإضاءة الطبيعية والتكييف بتأثير حرارة الشمس (حسب الحاجة)، وجعل إطلالة البناء مناسبة ومريحة للناظر، والتخفيف من حدة الضوضاء، مثلما تساعد المناطق الخضراء والأشجار في تحسين شروط الموقع ومناخه المحلي. وقد تطرق القرآن الكريم إلى مصطلحات (الإتجاهات Directons): يقال وجهه توجيها: جعله في ناحيته وصوبه، والوجه: الشيء يتوجه إليه كالقبلة، والوجهة: المكان المتوجه إليه والناحية، حيث ورد في سورة البقرة/١٤٨: **{ولكل وجهة...}**، وفي سورة سبأ/١٥: **{... جنتان عن يمين وشمال...}**، وفي سورة البقرة/١١٥: **{ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله..}**. وقد أشارت آيات الذكر المبين إلى مصطلح (الإستقامة Alignment): إستقام الشيء: خلا من العوج، ويقال (المستقيم Straight): المستوى القويم الذي لا اعوجاج فيه ولا التواء، حيث جاء في سورة الفاتحة/٦: **{اهدنا الصراط المستقيم}**. وفي سورة الأحقاف/٣٠: **{.. إلى طريق مستقيم}**. وقد تكرر ذكر مصطلح (الطريق Road): المسلك الذي يسير عليه الإنسان، وجمعها (طرق) و(طرائق)، حيث ذكرت سورة طه/٧٧: **{... فاضرب لهم طريقا..}**، وفي سورة النساء/١٦٩: **{إلا طريق جهنم..}**.

وقد أشار الكتاب المبين إلي مصطلحات تخص وحدات القياس، فمثلا ذكر مصطلح (السلسلة Chain): وهي وسيلة قياس مساحية للطول، وكذلك مصطلح (ذراع Cubit): مقياس يقدر به، وطوله من المرفق إلى أطراف الأصابع، حيث ورد ذلك في سورة الحاقة/٣٢: **{في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً..}**، بينما جاء ذكر مصطلح (الطول Length): طال الشيء: إمتد، حيث ورد ذلك في التنزيل العزيز في سورة الإسراء/٣٧: **{ولن تبلغ الجبال طولا..}**، بينما ورد ذكر مصطلح (العرض Width): خلاف الطول، ويقال عرض الشيء: جانبه وناحيته، حيث ورد ذكر ذلك في سورة آل عمران/١٣٣: **{... وجنة عرضها السموات والأرض..}**، بينما ورد ذكر مصطلح (العمق Depth): البعد أسفلا، ويقال (عميق Deep): أي بعيد القعر وصفا للمكان، حيث ورد ذكر ذلك في سورة الحج/٢٧: **{... من كل فج عميق..}**. بينما أشارت بعض سور الذكر الحكيم إلى ذكر مصطلح (السمك Thickness): المسافة ما بين أسفل الشيء وأعلاه، وسمك الشيء: غلظه وثخانته، ويراعى فيه البدء من الأسفل، فإن نظر إليه من العلو قيل له عُمق، حيث ذكر ذلك المصطلح في سورة النازعات/٢٨: **{رفع سمكها فسواها}**.

(ب) ـ مرحلة تنفيذ الأساسات:

يعتبر تنفيذ الأساسات، المرحلة الأولى لبناء أي مبنى، وقد يتطلب الأمر حفر التربة ـ عندما تكون هشة وضعيفة ـ إلى عمق كبير حتى نصل إلى الطبقات الصخرية التي تعتبر مناسبة لكي يستقر فيها المبنى، وخاصة في الأبنية الهيكلية المتعددة الطوابق. وقد ورد ذكر مصطلح (الحفر Cut): حفر الشيء: أحدث فيه حفرة، والحفرة (Pit):جزء من الأرض نزع عنه ترابه فانخفض.. حيث جاء في سورة آل عمران/١٠٣: **{... وكنتم على شفا حفرة..}**، بينما جاء ذكر مصطلح (الردم Fill): ردم الشيء ردماً، ويقال ردم الحفرة وهال فيها التراب، والردم: السد، حيث ورد في سورة الكهف/٩٥: **{... أجعل بينكم وبينهم ردماً}**.. وقد أشار الكتاب المبين إلى ذكر مصطلح (الأسس Footings): أسس بنيانه، أي أقامه على أساس، وهو قاعدته التي يبنى عليها، والجمع (أسس)، حيث ورد ذلك في سورة التوبة/١٠٨: **{... لمسجد أسس على التقوى..}**، في نفس السورة/١٠٩: **{أفمن أسس بنيانه..}**، مثلما ورد مصطلح (القواعد Footings): قاعدة الدار: أساسها، والجمع: قواعد، حيث ورد

ذكرها في سورة البقرة/١٢٧: {وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت..}.

(ج) - مرحلة تنفيذ الأعمدة:

بعد تنفيذ الأساسات، ترتفع الأعمدة في البناء الهيكلي التقليدي. وقد يختلف ارتفاع هذه الأعمدة وشكلها (مقطعها) ومواد إنشائها. وتنفذ الأعمدة بارتفاعات مختلفة لإحداث تغيير في المظهر الخارجي للأبنية. ولمراعاة النواحي الجمالية والمعمارية، يستخدم مزيج من الوحدات السكنية الأرضية، أو المتعددة الطوابق، وقد ورد ذكر مصطلح (عمود Column): دعامة رأسية، ويقال: ما دعمت به، والجمع (أعمدة) و(عُمد)، والعماد: ما يقام عليه الخباء، وكذلك البناء. حيث ورد ذكرها في سورة الرعد/٢: {.. رفع السموات بغير عمد..}، وفي سورة الفجر/٧: {إرم ذات العماد}، وفي سورة لقمان/١٠: {.. بغير عمد ترونها..}.

(د) - مرحلة تنفيذ الجوائز والسقوف:

بعد تنفيذ الأعمدة، يتم إنشاء الجوائز (Beams) والسقوف (Slabs) والسلالم (Stairs)، وقد ورد ذكر مصطلح (السقف Slab): غطاء المنزل ونحوه، وهو أعلاه المقابل لأرضه، وجمعه (سقوف)و والسقيفة والسقيف: كل بناء سقفت به صُفة أو نحوها مما يكون بارزاً، حيث ورد في سورة الأنبياء/٣٢: {وجعلنا السماء سقفا..}، وفي سورة الطور/٥: {والسقف المرفوع}، وفي سورة النحل/٢٦: {.. فخرَّ عليهم السقف..}. بينما ورد ذكر مصطلح (السلالم Stairs): ما يصعد عليها إلى الأمكنة العالية، وهي مرادفة لكلمة (معارج): أي مصاعد.. كما ورد في سورة الزخرف/٣٣: {.. ومعارج عليها يظهرون}.

الخاتمة:

القرآن الكريم، كتاب الله وكلامه، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو ينبوع العلوم والمعارف، وهو جميل في ظاهره وباطنه، جميل في معناه، جميل إذا سمعته أو تلوته، وهو معجز في مجال أسلوبه ودقة تصويره، وتنسيق ألفاظه، وروعة بيانه، وهو صالح لكل زمان ومكان، ويحوي الكثير من الكنوز والذخائر في الكون كله، سواء في الدنيا أو في الآخرة {ما فرطنا في الكتاب من شيء..} سورة الأنعام/٣٨، ولذلك فجميع ما تم أكتشافه واختراعه منذ الخليقة، وما سيتم اكتشافه واختراعه، حتى قيام الساعة من علوم وأسرار، مادية وغير مادية، له إشارات وومضات في القرآن الكريم.

المراجع:

(١) إنشاء المباني ، زهير ساكو وآرتين ليفون، كلية الهندسة/ جامعة بغداد، الطبعة الأولى ١٩٨٣.

(٢) الإنشاء المعماري - عناصر البناء الأساسية، د. عمر محمد أبو جناح وآخرون، نشر مشترك دار الأنيس للنشر والتوزيع - مصراته، وجامعة ناصر/ كلية الهندسة، الخمس، الطبعة الأولى ١٩٩٤.

(٣) «تخطيط المدن»، د. فاروق عباس حيدر، منشأة المعارف، الاسكندرية ١٩٩٤.

(٤) «التكنولوجيا الحديثة في البناء» د. محمد محمود عويضه - منشورات دار النهضة العربية - بيروت ١٩٨٤.

(٥) «فتح الرحمن لطالب آيات القرآن» ترتيب علي زاده فيض الله الحسني المقدسي، منشورات مكتب الإعلام والنشر لجمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس ١٩٨٢.

(٦) «قواعد تخطيط المدن»، د. نايف محمود عتريسي - دار الراتب الجامعية - بيروت.

(٧) «المخصص» ، لابن سيده الأندلسي - دار الآفاق الجديدة - بيروت (خمسة أجزاء).

(٨) «مصطلحات الهندسة المدنية» مصبوعات المجمع العلمي العراقي - بغداد ١٩٩٠.

(٩) «معجم ألفاظ القرآن الكريم» - مجمع اللغة العربية - القاهرة ١٩٧٣.

(١٠) «المعجم الوسيط» مجمع اللغة العربية - القاهرة ١٩٧٣ (جزأين).

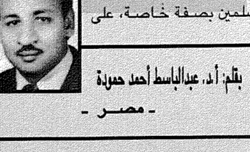
القصص النبوي

قصص الأنبياء

في هذا العصر الذى يبعد عن البعثة النبوية بأكثر من أربعة عشر قرنا، هذا العصر اقتربت فيه المجتمعات الإنسانية وانفتح بعضها على بعض واقتربت عن طريق الاتصال والمواصلات، حتى أشبهت القرية الصغيرة، وتناقلت فيما بينها المذاهب والنحل، والعادات والتقاليد، والآثار والأفكار، في كل مجالات الحياة الأدبية والعلمية والسياسية والاقتصادية والدينية، ونمت الصراعات بين الأمم، للاستيلاء على الموارد بكل الوسائل والحيل وضعفت أمم وخضعت لغيرها، لأنها فقدت بعض مقوماتها الأساسية، وفي مقدمتها: الانبهار و الانصهار والخضوع لثقافة غيرها، وأخذها بالمذاهب الوافدة من سياسية واجتماعية ودينية، فمحقت شخصيتها وتلونت في قوالب أمليت عليها عن طريق التعليم والإعلام، فدارت في فلك، وسلكت طرقا، أبعد ما تكون عن عقيدتها ودينها وتراثها وأخلاقها.

خضعت تلك الأمم لدول استعمارية وبعد رحيلها - بقيت تلك الأمم - التى كانت خاضعة تحت تأثيرها دائرة في فلكها، متظاهرة أنها تنقل الحضارة الإنسانية، وتستفيد من تجارب العلم والفكر والثقافة في عصرها، ولكنها لم تأخذ إلا أسوأ ما عند الآخرين، كالانحلال الخلقى، والتبرم والانسلاخ عن الأديان والقيم والتراث، لتستظل بظل العلمانية الملحدة، والشيوعية المادية، تطبق هذه تارة وهذه تارة أخرى، وظلت تجرى مبهرة وراء السراب حتى خسرت أعظم مقوماتها، وانفرط عقد شخصيتها المستمدة من دينها ولغتها وتراثها. ومن المؤسف أن الأكثرية - لجهلها المركب - تنكر هذه الحقائق، ولم ولن تحاول الرجوع عن غيها، بزعم أنها علي طريق الحضارة والتقدم العلمى، الذى سارت عليه المجتمعات الغربية الحديثة، والواقع غير ذلك: (المجتمع الحديث، إذن ، مجتمع يتميز بـ (العلمانية) في التوجيه، والعلمانية في التوجيه، شعار يقصد منه أن الدول العلمانية تبعد في سياستها الداخلية والخارجية، وفي توجيهها للناشئة - عن طريق المدرسة والجامعة، وللرأى العام عن طريق الصحافة والإذاعة والنشر - تبعد الدين، كما تبعد رجاله، عن أن تكون لهم حظوة عند الشعب أو نفوذ عليه. والمجتمع العلماني، أو الدول العلمانية، هو المجتمع، أو الدولة التى تدخل في اعتبارها من أول الأمر، تتبع الاتجاهات الدينية، وتنحيتها عن مجال التوجيه، أو على الأقل، تجاهل هذه الاتجاهات وتناسيها)[١].

وعلى الرغم من أن أوربا، تصدر العلمانية إلى بلاد المسلمين بصفة خاصة، على



بقلم: أ.د. عبدالباسط أحمد حمودة
- مصر -



النحو السابق (فإن أوربا الحديثة وأوربا المعاصرة، مجتمعاتها ودولها مجتمعات ودول دينية، هي مجتمعات ودول أخذت في الاعتبار منذ قيامها وتكوينها حماية الدين والذود عن المسيحية.. فانجلترا حامية البروتستنتية، وفرنسا حامية الكاثوليكية، بل راعية التبشير بها خارج أوربا كلها، في آسيا وافريقيا.. ويتمثل على وجه أخص في مطاردة الإسلام في هاتين القارتين، بعد ما قامت محاكم التفتيش في إبعاده عن إسبانيا، وامبراطورية النمسا في دفعه عن حدود فينا إلى بلاد البلقان، وروسيا القيصرية في دفعه عن القرم.. ثم السياسة الأوربية الشرقية والغربية على السواء في دفعه بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية من بلاد البلقان ومن بلاد القوقاز الى الحدود المتاخمة جنوبا للبلقان والقوقاز[٢]).

وقد عملت هذه الأمم على تحقيق هذه الأهداف، وأمعنت في مكرها بإعداد مراكز تتمثل فى مدارس الإرساليات والجامعات والخدمات الاجتماعية، لتخريج أجيال تدين بثقافتهم وفكرهم، وتعمل على موالاتهم بصور ملتوية كالوطنية والقومية على حساب الإسلام وثقافته وتراثه، ولا يخفى دور محمد على في ازدواجية التعليم في مصر، وكمال أتاتورك في مطاردة كل مظهر للإسلام، وإيثار اللغات الأجنبية والقوانين الوضعية مما عجل بالرابطة الإسلامية، ثم تلتها روابط أخرى حتى وصل حال الأمة الإسلامية إلى ما هى عليه الآن.

وفي ضوء ما تقدم رأيت الكتابة عن قصص الأنبياء في القصص النبوى، لأنه من أهم دعائم الإيمان في عقيدة هذه الأمة، لأنه يرسخ الإيمان العملى ويزكى صفات الصبر والتحمل والجهاد والاقتداء بهؤلاء الأعلام في مسيرة قافلة الإيمان في هذا الكون.

وقصص الأنبياء مهم جدا لتحقيق الأهداف والغايات التى نرجوها لهذه الأمة، كما كانت أسوة وتسرية وعظة وعبرة للأنبياء السابقين ولسيدنا محمد [صلى الله عليه وسلم] سيد المرسلين، واكثر سور القرآن الكريم تشتمل على قصص الأنبياء مع أممهم وأقوامهم، وقصص النبي [صلى الله عليه وسلم] مع أهل الكتاب والمشركين والمنافقين، ووقائع المسلمين. وذلك كله لأخذ العبرة والاعتبار والتمسك بشرع الله والوقوف عند حدوده. ومن الأمثلة على ذلك قوله، تعالى على لسان شعيب - عليه السلام - **[ويا قوم لا يَجْرِمَنَّكُم شقاقى أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح، وما قوم لوط منكم ببعيد]** (هود/٨٩).

ومن ذلك قوله تعالى لمحمد [صلى الله عليه وسلم]: **[ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك، وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون]** (آل عمران/٤٤).

وقوله: **[ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك، وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون]** (يوسف/١٠٢) وقوله: **[تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا، فاصبر إن العاقبة للمتقين]** (هود/٤٩) وقوله تعالى: **[وكلا نقصُّ عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك، وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين]**

(هود/١٢٠) وقوله تعالى: **{وما كنت بجانب الغربيِّ إذ قضينا إلى موسى وما كنت من الشاهدين}** (القصص/٤٤) وغير ذلك من الآيات.

ولذلك نرى في قصص الأنبياء من خلال القصص النبوي، يفيض في تفسير وشرح القصص القرآني، لتجلية العبرة أمام خير أمة أخرجت للناس في آخر الزمان، وهو قصص يتضمن ما كان منذ بدء الخلق، وما سيكون بعد رسالة محمد {صلى الله عليه وسلم} في الدنيا وفي الآخرة، فريق في الجنة وفريق في السعير. وفي القصص النبوي الاعجاز البلاغي من حيث الشكل، ومن حيث المضمون، إعجاز بصدق النبوة؛ إذ كيف أحاط هذا النبي الأمي بهذه المعلومات والأخبار والقصص التي لم تكن معروفة لفرد أو لجماعات أو أمم في هذه الجزيرة، ولم تكن الكتابة والتدوين منتشرة في هذه الأمة.

ولذا نسوق بعض الحكم في قصص الأنبياء:

قالت الحكماء[٣]: إن الله - تعالى - قص على المصطفى {صلى الله عليه وسلم} أخبار الماضين من الأنبياء والأمم الخالية لخمسة أمور، أي حكم:

الحكمة الأولى: إظهار لنبوته {صلى الله عليه وسلم} ودلالة على رسالته، وذلك أن النبي {صلى الله عليه وسلم} كان أميا، لم يختلف إلى مؤدب، ولا إلى معلم، ولم يفارق وطنه بمدة يمكنه فيها الانقطاع إلى عالم يأخذ عنه عالم الأخبار، ولم يعرف له طلب شيء من العلوم إلى أن كان من أمره ما كان، فنزل عليه جبريل - عليه السلام - ولقنه ذلك، فأخذ يحدث الناس بأخبار ما مضى من القرون، وسير الأنبياء الماضين والملوك المتقدمين، فمن كان من قومه عاقلا موفقا صدق بما يوحى الله إليه، وإخباره إياه بذلك فآمن به وصدقه، وكان ذلك معجزة له ودليلا على صحة نبوته، ومن كان منهم عدوا معاندا حسده وجحده وانكر ما جاء به، وقال كما أخبر الله - تعالى: **{وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا}** (الفرقان/٥) قال الله - تعالى - تكذيبا لهم، وتصديقا للنبي {صلى الله عليه وسلم}: **{قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما}** (الفرقان/٦).

والحكمة الثانية: أنه إنما قص عليه القصص ليكون له أسوة وقدوة بمكارم أخلاق الرسل والأنبياء المتقدمين والأولياء والصالحين، فيما أخبر الله - تعالى - عنهم وأثنى عليهم، ولتنتهي أمته عن أمور عوقبت أمم الأنبياء بمخالفتها عليها، واستوجبوا من الله بذلك العذاب والعقاب، فتمم الله له بذلك معالي الأخلاق، فلما امتثل أمر الله - تعالى - واستعمل أدب الأنبياء أثنى الله عليه فقال تعالى: **{وإنك لعلى خلق عظيم}** (القلم/٤) ولذلك قالت عائشة - رضي الله عنها - حين سئلت عن خلق رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: كان خلقه القرآن.

والحكمة الثالثة: أنه إنما قص عليه القصص تثبيتا له وإعلاء بشرفه وشرف أمته وعلو أقدارهم، وذلك أنه لما نظر إلي أخبار الأمم قبله علم أنه عوفي هو وأمته من كثير مما امتحن الله به الأنبياء والأولياء، وخفف عنهم في الشرائع، ورفع عنهم الأثقال والأغلال التي كانت على الأمم الماضية كما قال بعض المتأولين في تفسير قوله - تعالى -: **{وأسْبَغَ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة}** (لقمان/٢٠).

إن النعمة الظاهرة تخفيف الشرائع، والباطنة تضعيف الصنائع، قال الله - تعالى - : {**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**} (البقرة/١٨٥) وقال تعالى: {**وما جعل عليكم في الدين من حرج**} (الحج/٧٨) وقال تعالى: {**يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا**} (النساء/٢٨) فلما قص الله هذه القصص على نبيه رأى فضل نفسه وفضل أمته، وعلم أن الله خصه هو وأمته بكرامات لم يخص بها أحدا من الأنبياء والأمم، فواصل قيام ليله بنهاره، وصيامه بقيامه، لا يفتر عن عبادة ربه، أداء لشكره حتى تورمت قدماه، فقيل: يارسول الله، أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدا شكورا، ثم افتخر - عليه السلام - فقال: بُعثت بالحنيفية السمحة.

والحكمة الرابعة: أنه إنما قص الله - تعالى - عليه القصص تأديبا وتهذيبا لأمته، وذلك أنه ذكر الأنبياء وثوابهم، والأعداء وعقابهم، ثم ذكر - في غير موضع - تحذيره إياهم، عن صنع الأعداء، وحثهم على صنع الأولياء، فقال - تعالى: {**لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين**} (يوسف/٧) وقال: {**لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب**} (يوسف/١١١) وقال: {**وهدى وموعظة للمتقين**} (آل عمران/١٣٨) ونحوها من الآيات. وكان الشبلي - رحمه الله - تعالى - يقول في هذه الآيات: اشتغل العام بذكر القصص، واشتغل الخاص بالاعتبار من القصص.

والحكمة الخامسة: أنه قص عليه أخبار الأنبياء الماضين إحياء لذكرهم وآثارهم، ليكون المحسن منهم في إبقائه ذكره مثبتا له تعجيل جزاء في الدنيا، حتى يبقى ذكره وآثاره الحسنة إلى قيام الساعة، كما رغب خليل الله إبراهيم - عليه السلام - في إبقاء الثناء الحسن، فقال: {**واجعل لي لسان صدق في الآخرين**} (الشعراء/٨٤) والناس أحاديث، يقال: ما مات ميت والذكر يحييه، وقيل ما أنفق كبار القوم الأموال على المصانع والحصون والقصور إلا لبقاء الذكر، وأنشد ناصر بن محمد المروزي، قال: أنشدني الدريدي:

وإنما المرء حديث بعده
فكن حديثا حسنا لمن وعى

فضائل الأنبياء (عليهم السلام):

أرسل الله الرسل من خيرة خلقه في كمال الخلْق والخلُق واصطفاهم ورباهم على عينه وخصهم بالوحي وأيدهم بالمعجزات، ورفعهم مكانا عليا {**ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم**} (الأنعام/٨٧) وفضل الله بعض الأنبياء والرسل على بعض كما قال - تعالى - : {**تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض، منهم من كلم الله، ورفع بعضهم درجات، وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس**} (البقرة/٢٥٣) وقوله: {**ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا**} (الإسراء/٥٥).

وفي القصص النبوي تفصيل وتوضيح لدرجات المرسلين ومكانتهم بين الخلق، وخصائص بعضهم على بعض، وحكمة الله في ترتيب إرسالهم، وحكمته في وضع الفترات بين الرسل وغير ذلك مما يرد ذكره.

فمن خصائص الأنبياء - عليهم السلام - نوم أعينهم ولا تنام قلوبهم. ففي البخاري عن سليمان عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر، سمعت أنس بن مالك، يحدثنا عن ليلة أُسري بالنبي {صلى الله عليه وسلم} من مسجد الكعبة: جاءه ثلاثة نفر، قبل أن يوحى إليه - وهو نائم في المسجد الحرام - فقال أوّلهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم - وقال آخرهم: خذوا خيرهم فكانت تلك. فلم يرهم حتى جاءوا ليلة أخرى فيما يرى قلبه، والنبي {صلى الله عليه وسلم} نائمة عيناه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، فتولاه جبريل، ثم عرج به إلى السماء[٤].

وقد جاء في فضائل الأنبياء أحاديث وآثار كثيرة، وفي ذلك ما جاء في (منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال)[٥] ذكر ابن سعد عن قتادة: إذا أراد الله أن يبعث نبيا نظر إلى خير أهل الأرض قبيلة فبعث خيرها رجلا. وعن عائشة رضي الله عنها: إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يخير) وفي رواية البخاري[٦] قالت: كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهو صحيح يقول: إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يحيا - أو يخير - .

ومن فضائل وخصائص الأنبياء يبعثون شبابا، وما يبعث الله نبيا إلا رعى الغنم حتى محمد {صلى الله عليه وسلم} كان يرعاها لأهل مكة على قراريط، وأنه ليس لنبي إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل، وإذا قبض الله نبيا في موضع دُفن فيه، وأن النبي لا يموت حتى يؤمه بعض أمته، وإذا مرض المرض الأخير يخير بين الدنيا والآخرة، وأن الله - تعالى - حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، وما كانت نبوة قط إلا تبعها خلافة، ولا كانت خلافة إلا تبعها ملك.

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قلت يارسول الله إنك تأتي الخلاء فلا نرى شيئا من الأذى إلا أن نجد رائحة المسك، فقال: إنا معشر الأنبياء نبتت أجسادنا على أرواح أهل الجنة وأمرت الأرض ما كان منا أن تبتلعه[٧].

وقد فضل الله بعض الأنبياء على بعض كما قال - تعالى - : **{تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض، منهم من كلّم الله ورفع بعضهم درجات، وآتينا عيسى بن مريم البينات، وأيدناه بروح القدس}** (البقرة/٢٥٣) قال ابن كثير في قول الله (منهم من كلم الله) يعني موسى ومحمدا {صلى الله عليه وسلم} وكذلك آدم كما ورد في الحديث المروي في صحيح ابن حبان عن أبي ذر - رضي الله عنه - (ورفع بعضهم درجات) كما ثبت في حديث الإسراء حين رأى النبي {صلى الله عليه وسلم} الأنبياء في السموات بحسب تفاوت منازلهم عند الله - عز وجل - فإن قيل: فما الجمع بين هذه الآية وبين الحديث الثابت في الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود، فقال اليهودي في قسم يقسمه: لا والذي اصطفى موسى على العالمين، فرفع المسلم يده فلطم بها وجه اليهودي، فقال: أي خبيث؟ وعلى محمد {صلى الله عليه وسلم}؟ فجاء اليهودي إلى النبي {صلى الله عليه وسلم} فاشتكى على المسلم، فقال

رسول الله [صلى الله عليه وسلم] (لا تفضلوني على الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون من يفيق، فأجد موسى باطشا بقائمة العرش، فلا أدرى أفاق قبلى أم جوزي بصعقة الطور؟ فلا تفضلوني على الأنبياء) وفي رواية (لا تفضلوا بين الأنبياء) فالجواب من وجوه: أحدها: أن هذا قبل أن يعلم بالتفصيل، وفي هذا نظر. والثاني: أن ما قاله من باب الهضم والتواضع. والثالث: أن هذا نهى عن التفضيل في مثل هذه الحال التى تحاكموا فيها عند التخاصم والتشاجر. الرابع: لا تفضلوا بمجرد الآراء والعصبية. الخامس: ليس مقام التفضيل إليكم، وإنما هو إلى الله - عز وجل - وعليكم الانقياد والتسليم والإيمان به.

وعن ابن مردويه عن أبى سعيد[٨]: آدم في السماء الدنيا، تعرض عليه أعمال ذريته، ويوسف في السماء الثانية وابنا الخالة يحيى وعيسى في السماء الثالثة، وإدريس في السماء الرابعة، وهارون في السماء الخامسة، وموسى في السماء السادسة، وإبراهيم في السماء السابعة.

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: قال النبي [صلى الله عليه وسلم] (رأيت عيسى وموسى وإبراهيم، فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر، وأما موسى فآدم جسيم كأنه من رجال الزُّط) وفي رواية عن جابر زيادة (وأما إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم - يعنى نفسه).

وعن أبي ذر - رضى الله عنه - عن النبي [صلى الله عليه وسلم]: (أول الرسل آدم، وآخرهم محمد، وأول أنبياء بنى إسرائيل موسى، وآخرهم عيسى، وأول من خط بالقلم إدريس).

وعن على رضى الله عنه - عن النبي [صلى الله عليه وسلم]: (سيد الناس آدم، وسيد العرب محمد، وسيد الروم صهيب، وسيد الفرس سلمان، وسيد الحبشة بلال، وسيد الجبال طور سيناء، وسيد الشجر السدر، وسيد الأشهر المحرم، وسيد الأيام الجمعة، وسيد الكلام القرآن، وسيد القرآن البقرة، وسيد البقرة آية الكرسى، أما إن فيها خمس كلمات في كل كلمة خمسون بركة) وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - عن النبى [صلى الله عليه وسلم]: (إن الله - تعالى - اصطفى موسى بالكلام، وإبراهيم بالخلة) ونقل ابن عساكر عن الحسن مرسلا: (قال يحيى بن زكريا يا عيسى بن مريم أنت روح الله وكلمته ، وأنت خير منى، فقال: بل أنت خير منِّي، سلم الله عليك، وسلمت على نفسى).

الهوامش:

(١) د محمد البهي: الدين والحضارة الإنسانية ص ١٢.

(٢) المرجع السابق ص ١٣.

(٣) ابن اسحق بن محمد الثعلبي: قصص الأنبياء ص ٢.

(٤) فتح البارى جـ ٦ ص ٥٧٩.

(٥) جـ ٤ هامش على مسند الإمام أحمد ص ٣١٨ وما بعدها.

(٦) فتح البارى جـ ٨ ص ١٣٦.

(٧) منتخب كنز العمال جـ ٤ ص ٣١٨.

(٨) منتخب كنز العمال جـ ٤ ص ٣١٩ وفتح البارى جـ ٦ ص ٣٧٤، ٤٧٧.

أسباب صعود المدّ الإسلامي

كانت القضية الرئيسية الثانية في «ملف» (الوسط) - الذى استطلعت فيه آراء علماء الاستشراق في الظاهرة الاسلامية - «الأصولية» هي: الأسباب التى أثمرت وأبرزت هذه الظاهرة، على نحو غير مسبوق في التاريخ العربي والإسلامى الحديث؟؟.

ولقد طوف كثير من المستشرقين حول هذه القضية، فجاءت إجاباتهم - مجتمعة - لتحيط بكل الأسباب الذاتية والموضوعية .. الداخلية والخارجية.. الحضارية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية والسكانية... الخ.. الخ.. بحيث لم تغادر إجاباتهم سببا من الأسباب - الرئيسية أو الثانوية - التى افرزت وأبرزت المد الإسلامي على هذا النحو المثير!..

ولقد كان هناك ما يشبه الإجماع بين المستشرقين على أن العالم العربى والإسلامي يعيش أزمة عميقة، حضارية وثقافية وحياتية فتحت الطريق أمام المد الإسلامى، وساعدت على تعاظمه، باعتباره «البديل الاسلامى» المناسب لذاتية الأمة وهويتها، الرافض لتقليد النموذج الحضارى الغربي في التحديث.. وذلك، بعد فشل النموذج الغربى العلمانى - بشقيه: الليبرالى الرأسمالى.. والشمولى الاشتراكى - في تحقيق مقومات النهوض للعرب والمسلمين في أى من ميادين النهوض.. وفشل نظم الحكم، التى حكمت في حقبة ما بعد الاستقلال، في حل الأزمات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وذلك لتقليدها للنموذج الغربي، وغرقها في الفساد والاستبداد.. وكرد إسلامى على الإذلال الاستعماري للقوميات الاسلامية، الذى حاول تجريد هذه القوميات من ثقافتها وتاريخها.

نعم .. كان هناك ما يشبه الإجماع على هذه المعالم للأزمة الحضارية التى يعيشها العرب والمسلمون، والتى أفرزت وأبرزت هذا «البديل الاسلامي»، الذى تعلقت به الجماهير عندما بشرتها به الحركات الاسلامية المعاصرة.

فالمستشرق الأمريكى «جون إيسبوسيتو» يرى هذه الظاهرة طبيعية تماما .. ففى سياق الإحياء الدينى العالمى، والشامل لمجتمعات وديانات عديدة، يجب ان نفهم



بقلم المفكر الاسلامي: أ.د. محمد عمارة
- مصر -

الصحوة الإسلامية، التى لا ترفض «التحديث» بإطلاق، وإنما ترفض «التغريب» والتبعية للغرب، وتقدم بديلا دينيا وثقافيا وسياسيا واقتصاديا في الميادين التى أخفقت فيها الحركة العلمانية، وبديلا لفساد الطبقة الحاكمة.. ويقول: «إن الصحوة الإسلامية نابعة من الأزمة السياسية والاجتماعية والدينية التى يشهدها العالم الاسلامي.. وهذه الأزمة تشهد قضايا دينية وثقافية وأخرى تتعلق بالهوية الوطنية، والشرعية السياسية، والفشل الاقتصادى، وتأثير التبدل السريع، إضافة الى مسائل فساد الطبقة الحاكمة، ووضع حقوق الإنسان، ويخطىء من يعتبر «الأصولية الإسلامية» مجرد تعبير عن رفض التحديث، فهذه نظرة تفتقر إلى الدقة، ذلك أن الأصولية لا ترفض غالبا إلا بعض جوانب الحداثة، فهى، في وجه من وجوهها، رد فعل على إخفاق الحركة العلمانية، وعلى إسراف الحكومات في الاتكال على الغرب أو في سياساتها القائمة على «التغريب» وفي هذا السياق لابد من أن نلاحظ بروز طريق ثالثة، أو رؤية بديلة، تتمثل في أولئك الذين لم يمنعهم تعليمهم الحديث (والغربي) من اختيار التوجه الإسلامي. ومن الضرورى أن نضع الصحوة الاسلامية، أو الأصولية الدينية في سياقها العالمى، ففى مناطق وديانات عدة يلاحظ المرء حضورا جديدا متعاظما للدين في الحياة الخاصة والعامة، كما أن الصحوة الاسلامية ظاهرة ذات وجوه مختلفة ومتعددة».

والمستشرقة الإيطالية «دانييلا أمادي» ترى في مقدمة أسباب تعاظم المد الاسلامي: عجز الأيديولوجيات الغربية، والحلول الاشتراكية والرأسمالية المستوردة من البلاد الاستعمارية، عن حل الأزمات وعن الاجابة على المشاكل في العالم الإسلامي، فلم يبق سوى «المسجد» نقطة وحيدة للضوء، ومكانا للقاء، قادرا على إحياء الآمال كى تنبض من جديد في قلب الثقافة العربية والاسلامية «لقد عجزت الأيديولوجيات الغربية عن توفير إجابات لمشاكل العالم الاسلامي، ولم تتمكن المذاهب الاشتراكية والرأسمالية من توفير حلول لأزمات الشعوب الإسلامية، تماما كما عجزت عن توفير الحلول للشعوب الأخرى. وولدت هذه الأفكار ردود فعل سلبية جدا، لأنها بالإضافة الى عجزها، كانت مستوردة من بلاد استعمارية، قديمة وجديدة، في الوقت ذاته لم تتمكن القوى السياسية المحلية، في العديد من البلدان الاسلامية، من العثور على مخارج مناسبة للأزمات التى تعانى منها بلادها، ولأزمات المنطقة. وأعتقد أن «المسجد» أصبح في ظل وضع كهذا، نقطة الضوء واللقاء الوحيدة القادرة في أضعف الاحتمالات على حل الإشكالات الوجودية، وإحياء الآمال كى تنبض من جديد فى قلب الثقافة العربية والاسلامية».

وتتبنى المستشرقة الألمانية «جودرون كرامر» وجهة نظر مماثلة، فترى في الحركات الاسلامية البديل - المؤمن بعلاقة الدين بالدولة - للفشل السياسى والاقتصادى والثقافى الذى وقعت فيه نظم ما بعد الاستقلال - الليبرالية منها والاشتراكية - تلك التى لم تحقق شيئا من الليبرالية، وتحولت الاشتراكية على يديها إلى تخريب للمؤسسات وحكم بالحديد والنار، وعبادة أشخاص الحكام بشكل لا يطاق.. «إن المسألة الأصولية تحيلنا بالدرجة الأولى إلى العلاقة بين الدين والدولة. فبعض الأنظمة العربية فشلت في بناء الدولة الحديثة، دولة القانون والمؤسسات والأنظمة التى ادعت الليبرالية لم تمارس ولو عنصرا واحدا من عناصر الليبرالية كما هو متعارف

> ***** بعض الأنظمة العربية فشلت في بناء الدولة الحديثة، دولة القانون والمؤسسات والانظمة، ومن الطبيعي ان يبحث الناس عن حل للأزمات المتتالية.. فاذا بالأصوليين يرتئون أن الحل الوحيد هو تطبيق الاسلام.**
>
> ***«جوردن كرامر»***

عليها. أما تلك التى ادعت الاشتراكية، فقامت بتخريب المؤسسات، وحكمت شعوبها بالحديد والنار، وفيها مورست عبادة الشخص بشكل لا يطاق.. ولم يكن هذا الفشل سياسيا فحسب، بل كان اقتصاديا وثقافيا واجتماعيا ومن الطبيعي أن يبحث الناس عن حل للأزمات المتتالية، فإذا بالأصوليين يرتأون أن الحل الوحيد هو تطبيق الاسلام».

أما المستشرقة الإيطالية «آداليندا غاسبارينى» فإنها توجز أسباب هذا المد الاسلامى في: عمى السياسة الاستعمارية الغربية، وعجز العلمانية عن علاج مشكلات الناس وتخفيف عذاباتهم، والخواء الثقافى.. فهذه الأسباب قد فتحت امام الأصولية طريق النمو والتطور، لتستجيب لحاجات الناس، باحتواء وامتصاص عذاباتهم.

«فالحركات الأصولية تنمو عادة في التربة التى غابت عنها الثقافة. وإذا ما أمعنا النظر في الواقع العربي، نجد خواء فادحا في بعض المجالات، هو نتيجة عمى السياسة الاستعمارية الغربية. ويتعمق هذا العمى السياسى عندما نتصور بأن الهاوية بعيدة عنا، كما أن الأصولية تستجيب لحاجات الناس باحتواء وامتصاص العذابات، وهى قدرة عجزت الثقافة العلمانية عن امتلاكها والاستجابة إليها».

ويعلل «جاك بيرك» تعاظم هذه الظاهرة بالتغير الذى حدث في موازين النماذج الحضارية، ففشل النموذج الغربى هو الذى استدعى البديل الاسلامى «لأن الانتساب إلى مدرسة الغرب لم يعط نتائج جيدة، ولأن تقليد الآخر ليس أمرا حسنا في حد ذاته، إذن يجب البحث عن الحلول في إطار ذاتى.. وليس تطبيق حلول الآخر على الذات.. لقد قلدت المجتمعات العربية والاسلامية ليبرالية الغرب، وسقطت في الفساد. وقلدت الاشتراكية، ووقعت في البيروقراطية والطغيان. وفي مواجهة ذلك يمكن فهم عودة هذه المجتمعات إلى نفسها، وبالتالى العودة في الظرف الحالى الى ما هو اقرب إليها، أي الى الدين».

**** «الأصولية تستجيب لحاجات الناس، وهي قدرة عجزت الثقافة العلمانية عن امتلاكها والاستجابة إليها»**
«داليندا غاسبارينى»

وينبه «مكسيم رودنسون» على ان العالم العربي، منذ فجر محاولات نهضته الحديثة، كانت تتنازعه دعوتان إلى مشروعين للنهوض.. مشروع علمانى غربى، ومشروع إسلامي.. فلما أصاب الإحباط المشروع الغربي، وتراجعت قواه، فتح الطريق أمام البديل الاسلامى، فتعاظمت قواه.. «ففى العالم العربي، كما في أماكن أخرى، نشأ إحباط تجاه الأيديولوجيات السياسية والاجتماعية الكبرى التى انتشرت في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.. الليبرالية البرلمانية.. والاشتراكية أو الشيوعية.. وفقدت صدقيتها.. هذا من جهة. ومن جهة أخرى كانت مجموعات في العالم الاسلامى تقول دائما: إن حل مشكلات العصر يتم عن طريق الاسلام، ويطالبون بالعودة إلى صدر الاسلام.. وكان هناك على الدوام فى كل العصور من يطالب بالعودة الى هذه الحقبة.. وعندما توافرت الظروف المناسبة برزت المجموعات التى تنادى بهذا النوع من الحلول، مستفيدة من الاحباط الذى أصاب الأيديولوجيات السياسية والاجتماعية الغربية، آملة بتسلم السلطة عندما تحين الفرصة».

ويشير المستشرق الفرنسى «دومينيك شوفالييه» في رصد أسباب تعاظم المد الاسلامى إضافة الى أزمة الأيديولوجيات الغربية الى المواجهة الاسلامية مع الحضارة المادية، والى الدور المتميز للمسلمين حضاريا، وإلى البطالة والفساد في الواقع العربي، والى الصراع العربي ـ الاسرائيلى.. فهذه الظاهرة الاسلامية «متصلة بالتحولات العالمية التى طرحت سؤالا على العرب والمسلمين: كيف يمكن للإسلام كدين أو كحضارة، ان يتحمل مسئولياته في العالم الحديث؟ كيف يمكن أن يتحول المسلمون إلى فريق خلاق في العالم الحديث، مع الاحتفاظ بشخصيتهم وهويتهم؟ ..

هكذا وجد الاسلام نفسه في مواجهة حضارة ليست مادية بحتة فقط. وفي إطار هذه المواجهة يمكن فهم جانب من أسباب الظاهرة.. هذا بالإضافة إلى البطالة والفساد، والصراع العربى الاسرائيلى، وازمة الأيديولوجيات الأوربية القومية والاشتراكية وبخاصة الماركسية».

فهى مواجهة بين خيار حضارى إيمانى، وآخر مادى، تراجعت ايديولوجياته، بعد أن صنعت للعرب والمسلمين الكثير من الأزمات، فوجد الاسلام والمسلمون الطريق مفتوحا ليتحمل الاسلام، كدين وحضارة، مسئولياته النهضوية، التى تجعل من العرب والمسلمين فريقا خلاقا في العالم الحديث!.

اما المستشرق الانجليزي «هومى بابا» فيرى الظاهرة الاسلامية جزءا من ظاهرة عالمية، ترفض العلمانية والمادية والتحديث الأوربى - بشقيه الليبرالي والشيوعى - الذى حرم شعوب العالم الثالث من تاريخها وثقافتها.. «فالقضية الأساسية هى التحول الذى تشهده دول وثقافات عدة عن الأيديولوجيات العلمانية إلى نماذج ومثل أصولية دينية .. فالحركات الأصولية تنفق في خيبة الأمل من السياسة الاجتماعية والثقافية الليبرالية الديمقراطية ومن العقلانية الاجتماعية التى نهضت عليها هذه السياسة.. ومن التحديث الذى يمثل حركة معاكسة للأصولية، إن وعد التحديثية، سواء أتى من صندوق النقد الدولى أو البنك الدولى، كان وسيلة لحرمان شعوب العالم الثالث من تاريخها المستقل. وفي هذا السياق تظهر حركات معارضة لأفكار وقيم علمانية تحديثية أوربية التمركز، وهذه المعارضة أصولية دينية لا تقوم على تصورات مادية أو مستوحاة من الشيوعية التى تواطأت مع المشروع التحديثي الى درجة ما».

وعند المستشرق الانجليزي «فيردهاليداي»، نجد المد الاسلامي: الرد السياسى الاجتماعى على المشكلات التي صنعها التحديث الغربي، الذى فقد مصداقيته.. والبديل للنظم «اليمينية واليسارية» سيئة السمعة.. «فهذه الحركات ذات رد سياسي اجتماعي على مشاكل حقيقية تعيشها مجتمعاتها: ظروف ازدحام مدينى، ودول فاسدة، وتأثير وإهانة خارجيان، وتغير ثقافي، في الماضى كانت الحركات اليسارية، أو تلك العلمانية الشعبية، مصدر الرد على هذه المشاكل، إلا أن سمعة اليسار لا تقل سوءا عن سمعة بعض الأنظمة اليمينية وهي قد اشتركت كلها في مشروع علمانى تحديثى فقد صدقيته حاليا».

ويفصل المستشرق الانجليزي «روبن أوستن»، أسباب هذه الظاهرة الاسلامية في نقاط موجزة، فيراها ثمرة لغيبة العدالة الاجتماعية.. وأزمة الهوية - وحدة تأثير الأزمة على الشباب.. وسقوط الحلول ذات النماذج الغربية.. والثقة في الحل الاسلامى لهذه

***** «لقد قلَّت المجتمعات العربية والاسلامية ليبرالية الغرب وسقطت في الفساد، وقلَّت الاشتراكية ووقعت في البيروقراطية والطغيان، وفي مواجهة ذلك عادت المجتمعات الى ما هو أقرب اليها .. الى الدين»***

«جاك بيرك»

***** الاستعمار الغربي حاول تجريد القوميات من هويتها الاسلامية وثقافتها.***

***** «الصحوة الاسلامية نابعة من الأزمة السياسية والاجتماعية والدينية التي يشهدها العالم الاسلامي»***

«جون ايسبوسيتو»

** «لقد عجزت الايديولوجيات الغربية عن توفير الاجابات لمشاكل العالم الاسلامي، ولم تتمكن المذاهب الاشتراكية والرأسمالية من توفير حلول لازمات الشعوب الاسلامية.. واعتقد ان المسجد أصبح في ظل وضع كهذا نقطة الضوء الوحيدة القادرة على حلّ الاشكالات»
«دانيلا آمالدي»

** «إعادة تأكيد القيم الاسلامية، وسيلة لإعادة تأكيد الشخصية والهوية الاساسية وحمايتها من (الامركة) الطاغية، والاسلام يمثل قاعدة بناء مجتمع وحياة جديدين توفران حلولا لمشاكل التنمية الاقتصادية كلها.. وإقامة المجتمع الاسلامي المثالي ستتيح معالجة كل شيء».
«ديريك هوبود»

الأزمات وعنده أنه «يمكن تلخيص أسباب بروز هذه الظاهرة بما يأتي:

أ ـ الرغبة في وضع معيار للعدالة الاجتماعية، إذ هناك فجوات آخذة بالاتساع بين الغنى والفقير.

ب ـ أزمة الهوية: فلقد تمخضت المرحلة الكولونيالية وما تلاها عن ازمة هوية في معظم أجزاء العالم العربي، بعدما صيغت هيكلية القوانين والأنظمة وفق نماذج غربية.

جـ ـ حدة تأثير الشرور الاجتماعية الناجمة عن الفقر، وضعف الأمل بالعثور على عمل بالنسبة للشباب.

وفي ظل الغياب الواضح لأى حل آخر يشعر كثير من الشباب بأن الإسلام قد يكون وسيلة التحديث والحفاظ على الهوية وتحقيق مستويات أعلى من العدالة الاقتصادية والاجتماعية».

وعند المستشرق الانجليزي «ديريك هوبوود» نجد هذه الظاهرة الاسلامية: البديل الاسلامي المرشح لبناء حياة ومجتمع جديدين، ولحل مشكلات التنمية الاقتصادية، ولتأكيد الشخصية والهوية التى تتعرض «للأمركة» الطاغية.. والقادر على إقامة دولة إسلامية مستقلة عن تدخل الأجانب وتأثيرهم، وذلك بعد أن فشلت الأيديولوجيات الرأسمالية والاشتراكية والشيوعية في حل أزمات العالم الاسلامي.. فهى السبيل إلى «إعادة تأكيد القيم الاسلامية في العالم العربي. هى رد فعل على فشل الأيديولوجيات الأخرى في حل المشاكل الحاضرة. والاعتقاد بأن الرأسمالية والاشتراكية والشيوعية قد أخفقت يؤدى إلى طرح الاسلام بديلا يقدم الحلول المرجوة. وهو أيضا وسيلة لإعادة تأكيد الشخصية والهوية الأساسية وحمايتها من «الأمركة» الطاغية التى يتعرض لها نمط الحياة. والإسلام، أيضا، قاعدة بناء مجتمع وحياة جديدين توفران حلولا لمشاكل التنمية الاقتصادية كلها، وهذا يفضي إلى الايمان بأن إقامة المجتمع الاسلامى المثالى ستتيح معالجة كل شيء».

ولا يختلف الأمر، في تشخيص أسباب المد الاسلامى، عند المستشرق الروسى «أرتور سعاديف».. فهو يرى هذه الظاهرة: رد الفعل الإسلامي، الذي يقدم الشريعة بديلا اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وحقوقيا واخلاقيا لبناء الأمل الذى غاب في التحديث الغربي ـ الليبرالى والقومى والاشتراكى ـ ذلك الذى قاد إلى أزمات في الاقتصاد والهوية.. «فالحركات الأصولية هى حركات احتجاج نتجت من خيبة الأمل من نتائج التحديث التى حققتها بعض الأنظمة العربية. ففي المجال الاقتصادي، قاد هذا التحديث إلى نمو التضخم والبطالة وأزمة السكن. وفي المجال الروحى، إلى أزمة الهوية. وبما أن التحديث جرى تحت شعارات الليبرالية والقومية والاشتراكية ـ وهى شعارات اعتبرت «مستوردة» من

الغرب ـ فالتحديث أيضا كان يعنى التطبع بطابع الغرب. ولهذا أصبحت الصفة الجامعة للحركات الأصولية: العداوة لما هو غربى، واتخذت شكل الدعوة إلى إقامة انظمة اجتماعية وسياسية واقتصادية وحقوقية واخلاقية أساسها الشريعة الاسلامية».

ومثل ذلك نجده عند المستشرق الأمريكى «جون فول».. فهذه الحركات «هى أسلوب للرد على فشل برامج سياسية حديثة، وعلى أساليب حياة وقناعات تندرج في هذا السياق».

وهى عند المستشرق الايطالي «سلفاتورى بونو»: ثمرة «خيبة الأمل، بسبب عدم انطلاق التطور الاقتصادي والاجتماعي، بعد انتهاء المرحلة الاستعمارية، لذا اعتبرت العودة إلى تطبيق المبادىء الاسلامية وسيلة للانعتاق الاقتصادى والاجتماعى، وأحدث هذا التفسير الجديد تغييراً في الحركات الدينية، محولا إياها إلى تنظيمات ذات برنامج سياسى».

أما المستشرق الروسى «فيتالى ناودمكين» فيرى هذه الظاهرة الاسلامية: الطريق الاسلامى للأصالة القومية، ولحماية المصالح الوطنية، بعد فشل التحديث في حل المشكلات الاجتماعية، وتزايد حدة الفوارق الاجتماعية، والتبعية الاقتصادية للغرب.. إنها «تعود، قبل كل شيء، إلى أسباب اجتماعية، وفي درجة أقل إلى أسباب سياسية.. إنها تنشط أكثر ما تنشط حيث تجرى محاولات لتحديث أعمق، لم يسفر عن نتائج فيتسلح النشطون الاسلاميون بأفكار الأصالة القومية، وحماية المصالح الوطنية.. وما دامت هناك هوة كبيرة بين الأغنياء والفقراء في إطار البلد الواحد، وفي مستويات التطور بين مختلف البلدان.. وما دامت الرساميل العربية تجلب الازدهار للغرب، وتلعب دورا في تطوره من دون اهتمام بتنمية مجتمعاتها، فستبقى الأسباب المولدة للتطرف الذى يجد في شعارات الاسلام السياسى ملجأ له».

وعند المستشرق الإسبانى «بيدرومارتينيث مونتانيث»: هى «نتيجة حتمية لأخطاء كثيرة تتراكم منذ عقود. وهى الخيار الطبيعى أمام الإحباطات والإخفاقات السابقة. فالإسلام هو المسوغ الهيكلى والجوهرى لجميع الشعوب والدول والمجتمعات العربية».

وفي رأي المستشرق الهولندي «رودولف بيترز»، فإن هذه الحركات الاسلامية تمثل الرفض الجماهيري لخيار المؤسسة الاستعمارية الغربية ـ في الديمقراطية والليبرالية والاشتراكية ـ الذي طرحته على يد أقليات منتقاة ـ وهو خيار مقطوع الصلة بجذور المجتمع وأصوله العربية والاسلامية.. فجذور المشكلة تمتد إلى الثلاثينيات والاربعينيات من هذا القرن، عندما طرحت المؤسسة الاستعمارية الغربية خيارها الخاص في العالم العربى على يد أقليات منتقاة، وليس عبر الغالبية الواسعة من السكان، متبنية أهدافا مثل الديمقراطية والليبرالية والاشتراكية، وهى قوالب لم تكن لها جذور أو أصول في المجتمع الاسلامى والعربي».

> ***** «الحركات الأصولية هي حركات احتجاج نتجت من خيبة الأمل في الأنظمة العربية التى طبقت الانظمة الليبرالية والقومية والاشتراكية»**
>
> ***«آرثور سعادييف»***

ولا يختلف الأمر عند المستشرق الروسي «الكسندر سميرنوف»، الذى يراها: الرد على التشويه الغربي العنيف للأصول الروحية والثقافية الاسلامية، والمواجهة للإذلال القومى والتشويه الاقتصادي الذى مارسه الاستعمار الغربي في العالم الاسلامي.. «فالعنف والارهاب يقويان في البلدان التي استعمرها الغرب بالقوة، أو جعلت ذات طابع غربي بالقوة، فتشوهت أصولها الروحية وثقافتها، وفي كثير من النواحى اقتصادها أيضا.. فكان نمو التطرف

الاسلامي كرد فعل حتمي على الإذلال القومي».

وحتى ظاهرة العنف في الحالة الإسلامية، تراها **المستشرقة الايطالية «إيزابيلا كاميرا دافليتو»** ناشئة عن: السياسة الاستعمارية الغربية.. والامبريالية الثقافية.. والاستعمار الجديد.. وغياب الديمقراطية والحرية.. وأخطاء الزعامات العربية.. «فالظاهرة الأصولية العنيفة، هي وليدة للمصاعب التي تجتازها بعض البلاد العربية، وبالذات على الصعيد الاقتصادي لكن حتى هذه المصاعب الاقتصادية ليست وليدة اليوم، وإن كان للزعامات الحالية دور في تعميقها، فهي وليدة السياسة الاستعمارية والامبريالية الثقافية، والاستعمار الجديد. لذا، ففي اعتقادي ان مسئولية الغرب في هذا الإطار كبيرة وثقيلة.. فأخطاء الزعامات العربية، وغياب الديمقراطية والحرية في العديد من البلدان العربية، من العوامل التي تساهم في شق الطريق أمام صعود تيارات عنيفة تستفيد من غضب الناس».

ودون خروج عن جوهر الموقف الاستشراقي - الذي عكسه «ملف» [الوسط] - في تحديد أسباب بروز الحركات الاسلامية.. **يرى المستشرق الألماني «أودوشتاينباخ»** أنها ثمرة لتراجع شرعية النظم الحاكمة بسبب الأزمة العميقة في ميادين الثقافة والاجتماع والاقتصاد.. واخلاقيات الغرب المزدوجة في التعامل مع القضايا الاسلامية، التي أدت الى هزيمة قيمه، وهزيمة المثقفين الباحثين عن حلول للأزمة مؤسسة على هذه القيم الغربية.. هذه الأسباب قد أكسبت الحركات الاسلامية شرعية نسبية، عندما وعدت الناس بحلول تخرجهم من أزمتهم العميقة.. إنها «الأزمة الثقافية والاجتماعية العميقة التي يتخبط فيها العالم العربي.. أعطت شرعية نسبية للحركات الإسلامية التي قدمت وعودا بحلول للمشاكل المطروحة.. ويتحمل الغرب عامة، وأوربا على وجه التحديد، جزءا من المسئولية. فالغرب مطالب بإظهار مصداقيته أكثر من اي وقت مضى، وهو مطالب أيضا بتجنب الأخلاقية المزدوجة.

إن استمرار الحرب في البوسنة مثلا، يعطي الفرصة للمتطرفين الإسلاميين كي يعمقوا الهوة بين شعوبهم وقيم الغرب، ويهزموا المثقفين الساعين الى إيجاد حلول واقعية وعقلانية للأزمات الراهنة».

ويرى المستشرق الاسباني «قرناندودي أغريدا»، أن الظاهرة الاسلامية هي الرد على الأزمة الاقتصادية والسياسية.. وتدخلات القوى الكبرى في شئون العالم العربي.. وانقطاع الحوار الثقافي بين الشرق والغرب «إنها تعود الى أسباب عدة، أهمها الأزمة العامة التي يعيشها العالم العربي والاسلامي وتكاد تشمل كل المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وهي تعتبر أيضا ردا على تدخلات بعض الدول الكبرى.. وانقطاع الحوار الثقافي بين الشرق والغرب».

> ***** «الاسلام هو المسوغ الهيكلي والجوهري لجميع الشعوب والدول والمجتمعات العربية»**
>
> ***«بيدرومارتنيت»***

وتذكر المستشرقة الألمانية «أردموته هيللر» من أسباب بروز المد الاسلامي: أزمة الثقة بين المحكومين والحكام.. وتعميق الجراح القديمة بين الشرق والغرب.. وذلك بسبب: عجز نظم ما بعد الاستقلال عن تحقيق الآمال.. وتحول الحركات التي قادت التحرير الوطني إلى اجهزة قمع للحريات ونهب للثروات.. والهزائم المتتالية في الصراع العربي - الاسرائيلي.. «فالاستقلال لم يحقق الآمال المنشودة. وفي أغلب البلدان العربية، تحولت الاحزاب والحركات التي قادت النضال التحرري إلى أجهزة للقمع والإرهاب والرقابة بالإضافة إلى هذا وقع نهب شبه منظم من قبل الطبقات الحاكمة، والفئات الاجتماعية الموالية لها لخيرات البلاد، مما عطل حركة النمو الاقتصادي، وأهدر الطاقات وتسبب في أزمات خطيرة.. والهزائم

المتتالية التى منيت بها الجيوش العربية في الصراع العربي الاسرائيلي، فتحت أبواب اليأس على مصراعيها، وعمقت الجراح القديمة بين الشرق والغرب، وخلقت حالة من انعدام الثقة بين المحكومين والحكام.. وأعتقد أن ظاهرة الأصولية هي نتيجة طبيعية لهذا الوضع المتأزم الذي يعيشه العالم العربي منذ ما يزيد على العشرين عاما».

وعلى هذا الدرب، الذي اجتمع فيه المستشرقون وأجمعوا على أن بروز هذه الظاهرة الإسلامية إنما هو نتيجة طبيعية لأزمة حضارية وثقافية واقتصادية واجتماعية زلزلت هوية العرب والمسلمين، وشارك في صنعها الغرب واستعماره واستغلاله وايديولوجياته، مع النظم التي حكمت العرب في حقبة ما بعد الاستقلال، والأقلية المثقفة التى تولت التبشير بأيديولوجيات غربية مرفوضة من الجمهور.. على هذا الدرب سار **المستشرق الهولندي «بان بروخمان»** عندما رأى في الظاهرة الأصولية: «محاولة الاصلاح الثالثة، بعد فشل المحاولة القومية، والمسار الاشتراكي».. والمستشرق الأمريكي «روجر أوين» الذى أرجعها الى «خيبة الأمل من جراء فشل حكومات ما بعد الاستقلال في خلق نظام سياسي واجتماعي ـ اقتصادي عادل وغني وسليم».. والمستشرقة الاسبانية «مرثيدس ديل آمو» التى أرجعتها إلى «الفقر والجهل.. والافتقار الى علاقات دولية عادلة.. وإغلاق طريق الحصول على التعليم والصحة أمام العالم الثالث.. والاعتقاد بامتلاك الحقيقة دون الآخرين».

وبمناسبة «الاعتقاد بامتلاك الحقيقة دون الآخرين» ـ كسبب من أسباب هذه الظاهرة ـ هل للمرء أن يسأل أساتذة الاستشراق الذين نسبوا إلى «الآخرين» كل هذا الفشل.. والمسئولية عن الأزمات التى زلزلت هوية الأمة، وشوهت تاريخها، وأذلت كبرياءها القومى، وحرمتها من مقومات الحياة.. هل يعتقدون أن لدى هؤلاء «الآخرين» «حقيقة» يدعون إلى الاعتراف بها وإلى احترامها؟! أم أن هؤلاء «الآخرين» هم أيضا المسئولون عن «اعتقاد الأصوليين بامتلاك الحقيقة دون الآخرين»؟!.

على هذا النحو كان حديث المستشرقين عن أسباب بروز الظاهرة الإسلامية.. مع إضافة المستشرق الفرنسى «بيارتييه»: «انتصار الثورة الاسلامية في إيران» إلى هذه الأسباب.. وإضافة المستشرق الهولندى «يوهان يانسن» «الخوف من التطور التكنولوجي الزاحف الذى يحكم سيطرته على كل مرافق الحياة في المجتمع المعاصر» وإن كان المدقق لحال العالم العربي والإسلامى يلاحظ إنه وإن خاف من الاغراق الثقافي الغربي، فإنه فقير ومشوق الى «التطور التكنولوجي الغربي»، ولا يخاف منه زحفا؟!.

لقد تفاوتت مواقف المستشرقين في الإيجاز والتفصيل لأسباب بروز الظاهرة الاسلامية.. وكذلك في التركيز على بعض جوانب وعوامل بروز هذه الظاهرة، تبعا لتنوع مناهج ومذاهب وتخصصات كل منهم.. لكنهم جميعا اتفقوا على ان هذه الظاهرة هى ثمرة طبيعية تماما لأزمة حضارية صنعها الغرب والنظم التى حكمت بأيديولوجياته في مختلف ميادين حياة وفكر وثقافة العرب والمسلمين.

لقد أدان هؤلاء المستشرقون الغربيون ما صنعه الغرب بالعرب والمسلمين، على النحو والمستوى الذى لا يفعله كثير من «المتغربين» العرب والمسلمين.. وهذا هو الفارق بين «العلماء الأئمة» وبين «التلاميذ المقلدين»، لقد اجتمعت كلمة هؤلاء المستشرقين على أن الاصولية الاسلامية هى التعبير عن البديل الرافض للنموذج الغربي العلماني، الذى فشل في إنهاض العرب والمسلمين.. والرافض للإذلال الاستعماري للقوميات الاسلامية.. والرافض للتغريب الذى هدد هوية الأمة وثقافتها وتاريخها.. وبغير هذا «الملف» الذى قدمته (الوسط) ما كان لنا أن نرى هذه الموضوعية التى تستحق كل الاحترام.

«للحديث صلة»

رعاية الطفولة والأمومة في التراث الطبي

تعتبر الرعاية الصحية للطفولة والامومة من أهم منجزات الطب في العصر الحديث.. ولا شك أن رعاية الطفولة التى تشكل نسبة عالية من السكان في العالم النامي ومنه البلاد الاسلامية (عربية وأعجمية)، تعتبر حجر الزاوية في الرعاية الصحية الاولية والطب الوقائى.. ففي البلاد الاسلامية (باكستان، بنجلاديش، اندونيسيا... الخ) والبلاد العربية (مصر - العراق - السودان - المغرب - الجزائر - اليمن - السعودية) يشكل الاطفال أقل من ١٥ سنة حوالي ٤٥ بالمئة من السكان[١] وتشكل الامهات اللائى لديهن أطفال أقل من ١٥ سنة) أو هن في مرحلة الحمل مالا يقل عن ٢٠ بالمئة من السكان في هذه المناطق[٢].

وهذا ببساطة يعنى أن رعاية الطفولة والأمومة تمثل رعاية مالا يقل عن ٦٥ بالمئة من جميع السكان.

لهذا نجد أن الاسلام بتعاليمه الشمولية قد اعتنى عناية فائقة برعاية الأمومة والطفولة عناية لا تدانيها النظم الحديثة على ما قدمته هذه النظم من انجازات باهرة في القرن العشرين خاصة.

ولذا نجد أن القرآن الكريم وهو المصدر الأول للتشريع في الاسلام قد اعتنى عناية فائقة بالامومة والطفولة ووضع التشريعات التى تكفل حقوقهما في إطار تشريعات الاسرة.. ولم يكتف القرآن الكريم بوضع هذه التشريعات التى تلزم المجتمع والافراد بتنفيذها وهو ما يعرف لدى الفقهاء بوجوبها قضاء (أى أن التقاعس في تنفيذها يجعل الحق للقاضي في تنفيذها عنوة)، بل تعدى ذلك الى ما يمس شغاف القلب فوضع تشريعات تلزم المجتمع بتنفيذها ديانة، أى أن التقاعس عن تنفيذها يؤدى الى المساءلة في يوم الحساب العسير. وهو أمر

بقلم : د. محمد على البار
مستشار الطب الاسلامى - جدة

يضطرب له كيان كل من داخل الايمان شغاف قلبه.

كما نجد المصدر الثاني للتشريع وهو السنة المطهرة حافلة برعاية الامومة والطفولة، حاثة على تنفيذ ما جاء بها من تعليمات راقية قضاء وديانة.

ولم يكتف علماء الاسلام الاجلاء بتوضيح ما جاء في الكتاب والسنة في مؤلفاتهم العديدة بل أفردوا لرعاية الطفولة والامومة كتبا كاملة أو ألوانا كاملة من كتبهم الفقهية والدينية العامة والطبية.

أطباء المسلمين ورعاية الامومة والطفولة:

ولعل ابا بكر محمد بن زكريا الرازي (٢٥٢ - ٣١٣هـ/ ٨٦٥ - ٩٢٥) كان أول من الف رسالة كاملة عن أمراض الاطفال والعناية بهم. وقد تم تأليف هذه الرسالة في حدود سنة ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م وقد ترجمت هذه الرسالة الى العديد من اللغات وترجمها الى اللغة الانجليزية صامويل رادبل ونشرها في مجلة أمراض الاطفال الامريكية (عدد ٥ مجلد ١٢٢ سنة ١٩٧١) عن اللغة الايطالية. وقد قام الدكتور محمود الحاج قاسم بترجمتها الى اللغة العربية (المؤتمر القطرى للطفولة ٩ - ١٣ كانون الأول ١٩٧٩م بغداد)[٣] كما أفرد الرازي فصولا ضافية لرعاية الطفولة والامومة في كتابه الموسوعي الحاوي الذي قالت عنه المستشرقة الالمانية «زيغريد هونكه» في كتابها «شمس العرب تسطع على الغرب» إنه ظل المرجع الاساسي للطب في أوربا لمدة أربعة قرون[٤].

وجعل الرازي المقالة الرابعة من كتابه المنصوري في تدبير الاطفال وتكلم فيها عن كيفية العناية بالوليد ثم كيفية الرضاعة والنظام واختيار المرضعة وتدبيرها.. الخ[٥].

وألف الرازي أيضا كتابه المشهور: «كتاب في الجدرى والحصبة» الذي ترجم الى اللغات الأوربية منذ عهد بعيد. وكان هذا الكتاب كما تقول «زيغريد هونكه» آية من نوعه وقد نشر في أوربا أربعين مرة ما بين عام ١٤٩٨ - ١٨٦٦م[٦] وفي هذا الكتاب الذي لم يتجاوز ٦٨ صفحة من القطع الصغير فرّق الرازي تفريقا تاما بين الحصبة والجدرى. وكان بذلك أول من استطاع التفريق بينهما.

وقد سبق الرازي مجموعة من الأطباء كتبوا عن طب الاطفال ورعاية الأمومة ولكنهم لم يفعلوا مثله بافرادها بكتب مستقلة نذكر منهم **عليّ بن سهل الطبري** المروزي (ومدينة مرو في تركمستان في الاتحاد السوفيتى حاليا). كان - يهوديا وقيل بل كان نصرانيا - فأسلم على يد الخليفة العباسي المعتصم فقربه اليه وجعله من خاصته. وقد اشتهر باسم ابن ربن الطبري نسبة الى جده. وله كتاب فردوس الحكمة الذي يعتبر أقدم تأليف جامع لفنون الطب باللغة العربية.

وقد خصص ابن ربن الطبري الباب الأول والثاني من المقالة الرابعة عن تربية الاطفال وحفظ صحتهم..



وله أيضا كتاب حفظ الصحة وكتاب منافع الاطعمة والأشربة والعقاقير وكتاب في ترتيب الأغذية. وفي هذه الكتب تحدث عن الحامل والمرضع وغذائهما كما تحدث عن أغذية الاطفال المناسبة لهم.

وقد عاش ابن ربن الطبري في القرن الثاني والثالث الهجري ١٥٣ - ٢٤٧هـ (٧٧٠ - ٨٦١م)[٨]. وكان مقربا للمعتصم ثم للمتوكل واشتهر بالحكمة والطب.

ويعتبر يوحنا بن ما سويه (١٦١ - ٢٣٤هـ) (٧٧٧ - ٨٥٧م) المعاصر لابن ربن الطبري أحد الاطباء القلائل الذين أفردوا الجنين بمقالة مستقلة. وتعتبر هذه المقالة أول مؤلف مستقل في علم الاجنة باللغة العربية. وتبدأ الرسالة بهذه الجملة: «إن اول ابتداء الانسان نطفتان يجتمعان في الرحم من الرجل والمرأة»[٩]، وهذا أمر لم يكن معروفا في الطب حيث كان الاعتقاد السائد هو أن الجنين انما يتكون من دم الحيض كما كان أرسطو يقول. والقرآن الكريم والسنة المطهرة هما اللذان أوضحا بكل جلاء أن الجنين انما يتكون من نطفة الرجل ونطفة المرأة حينما يمتشجان ويختلطان فيكونان بذلك النطفة الامشاج[١٠، ١١].

وكتب ثابت بن قرة المتوفَّى سنة ٢٨٨هـ/ ٩٠٠م مجموعة من التآليف المتعلقة بطب الاطفال وهي:

١) - جوامع كتاب جالينوس في المولودين لسبعة أشهر.

٢) رسالة في الجدري والحصبة.

٣) مقالة في صفة كون الجنين.

٤) الذخيرة في عالم الطب وفيه فصل عن أوصاف الحليب وحفظ الصحة ابتداء من الجنين الى المولود فالطفل فالصبي فالبالغ.

ويعتبر حنين بن اسحاق العبادي (١٩٤ - ٢٩٠هـ/ ٨١٠ - ٨٧٣م) أحد العلماء الاعلام الذين قربهم المأمون واشتغلوا له بالترجمة والتأليف[١٢]. وقد كتب في طب الاطفال عدة كتب منها كتاب المولود لسبعة أشهر وكتاب فيمن يولد لثمانية أشهر ومقالة في كون الجنين وكتاب في اللبن[١٣].

وقد ساهم أحمد بن محمد الطبري (٣٢٠ - ٣٦٦هـ) بكتابه المسمى المعالجات البقراطية «نسبة الى ابي قراط»، حيث ساهم في الكتابة عن رعاية الاطفال وعلاجهم. وقد تحدث في كتابه هذا عن علل الاطفال وتدبيرهم حين يولدون وآداب المرضعة.. وتحدث عن أنواع الجرب الذي يصيب الطفل.. ويعتبر أول من اكتشف حشرة الجرب حيث يقول: «اعلم أن الجرب أنواعه كثيره: منها رطب يسيل مدّة وصديداً واكثر حدوده للرأس.. شديد الوجع شبيه بالسعفة وربما يتولد منها حيوان مثل الصبيان (أى مثل صبيان القمل) وهى مختلفة الصور»[١٥].. ويتحدث كذلك عن حالات صرع الاطفال وأنها قابلة للبرء والشفاء بعكس حالات الصرع في الكبار التي تكون مزمنة.. وتحدث كذلك عن الكزاز (الاصطكاك) وهو التتانوس ووصفه وصفا جيداً في الاطفال.

وقد قسم الطبرى حالات استرخاء الاطفال الى نوعين مكتسب ووراثي. كما تحدث عن مختلف الامراض التي تصيب الأطفال ابتداء من الجهاز الهضمي الى الجهاز التنفسى الى الأنف والأذن الى أمراض العيون الى النواحي النفسية.. الى غذاء الطفل في مختلف مراحل عمره من حين ولادته حتى تنبت أضراسه.

وظهر ابن الجزار القيرواني (ابو جعفر أحمد بن ابراهيم بن خالد) كأحد الاطباء البارزين في المغرب في القرن الرابع الهجري (٢٨٥ - ٣٦٩ وقيل وفاته سنة ٣٧٧هـ) وله كتاب سماه «سياسة الصبيان وتدبيرهم» وهو من الكتب الهامة في رعاية الطفولة. وقد حقق هذا الكتاب ونشره الدكتور محمد الحبيب الهيلة عام ١٩٦٨. وقد قال ابن الجزار في مقدمة كتابه هذا ما يلي: «إن معرفة سياسة الصبيان وتدبيرهم باب عظيم الخطر جليل القدر ولم أر لأحد من المتقدمين من ذلك كتابا كاملا شافيا بل رأيت ما يحتاج من علمه ومعرفته من ذلك متفرقا في كتب شتى».. وقد قسم المؤلف الكتاب الى اثنين وعشرين بابا تناول فيها تدبير الأطفال عند خروجهم من الرحم ثم صفة المرضعة

وصفة لبن الظئر.. وأطعمتها وأشربتها وسبب قلة لبنها وكيفية تدبيرها ثم تناول الامراض التي تصيب الاطفال حسب أعمارهم والامراض الخلقية وأنواعها.. وأنهى كتابه بالتحدث عن طباع الصبيان وتربيتهم.

وقد وضع عريب بن سعد الكاتب القرطبي الذي عاش في عهد المستنصر بالله (٣٥٠ ـ ٣٦٦هـ) كتابه «خلق الجنين وتدبير الحبالي والمولودين» وذلك عام ٣٥٣هـ باشارة من المستنصر بالله.

ويعتبر هذا الكتاب من الكتب القيمة التى جمعت رعاية الامومة في فترة الحمل والرضاعة ورعاية الطفولة منذ بداية الحمل الى الولادة ثم مراحل الطفولة المختلفة.

وقد نشر هذا الكتاب في كلية الطب والصيدلة بالجزائر سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦ وحققه وترجمه الى الفرنسية الاستاذ نور الدين عبد القادر وهنري جاييه.

وكتب علي بن العباس المجوسي (المتوفَّي نحو سنة ٤٠٠هـ/ ١٠١٠م) كتابه المشهور باسم كامل الصناعة الطبية وخصص ثلاثة ابواب لطب الاطفال وهي: الباب العشرون: ويبحث في تدبير أبدان الاطفال، والباب الحادي والعشرون: ويبحث في تدبير الظئر (المرضعة) والثانى والعشرون ويبحث في تدبير الصبيان الذين جاوزوا الرضاع وكيفية العناية بهم حتى سن الثانية عشرة.

ملحوظة:

لم يكن عليّ بن العباس مجوسيا بل كان جده كذلك وغلب عليه اللقب وكان هو وأبوه مسلمين.

وظهر أحمد بن ابي الأشعث في الموصل واشتهر كطبيب ومعلم. وله في طب الاطفال «كتاب في الجدرى والحصبة والحميقاء»[١٦] وكانت وفاة ابن ابي الأشعث في سنة ثلاثمائة ونيف وستين للهجرة.

ويعتبر أحمد بن محمد البلدي العراقي من مدينة بلد (إسكى موصل الحاليه) من أبرز تلامذة أحمد بن الأشعث المتقدم ذكره. ويتميز البلدي بأنه كان أحد القلائل الذين اهتموا برعاية الطفل منذ فترة الحمل الأولى ويعتبر كتابه «تدبير الحبالي والاطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم» من أهم الكتب التى ساهم بها الاطباء المسلمون في رعاية الامومة والطفولة. وقد قام الدكتور محمود الحاج قاسم بتحقيق الكتاب ونشره في عام ١٩٨٠ عن وزارة الثقافة والاعلام العراقية (دار الرشيد للنشر) وكانت وفاة البلدى عام ٣٨٠م وتنبه البلدى الى أهمية الرضاع من الأم حيث يقول: «وفي ملاءمة لبن الأم للطفل نفع له ونفع لها في الرضاع منها وحفظ صحتها»[١٧].

وقد اهتم أبو القاسم خلف بن العباس الزهراوي (٣٢٥ ـ ٤٠٤هـ/ ٩٣٦ ـ ١٠١٣م) أعظم جراح في القرون الوسطى وصاحب الكتاب المرجع في علم الجراحة لعدة قرون «التصريف لمن عجز عن التأليف»، اهتم الزهراوي بجراحة الاطفال وأفرد لها فصولا خاصة من كتابه العظيم.

واشترك أحمد بن عبد الرحمن بن مندويه الاصفهاني المتوفَّي سنة ٤١٠هـ/ ١٠١٩م بمؤلف في طب الاطفال أسماه رسالة في أوجاع الاطفال[١٨].

ويعتبر ابن سينا (أبو على الحسين بن عبد الله) بحق أشهر أطباء المسلمين وأكثرهم نبوغا وتأليفا حيث بلغت مؤلفاته ٢٧٦ كتابا في مختلف فنون المعرفة ابتداء من اللغة ومروراً بالفلسفة والفقه والشعر وانتهاء بالطب. ويعتبر القانون في الطب أشهر مؤلفات ابن سينا. ولقد بقى هذا الكتاب الفذ المرجع الاول للاطباء لمدة سبعة قرون في معظم جامعات العالم بما في ذلك جامعات أوربا.

وابن سينا من مواليد بخارى في أوزبكستان في الاتحاد السوفيتى سابقا. وأبوه من بلخ في شمال أفغانستان. ولقد عاش ابن سينا في القرنين الرابع والخامس الهجريين (٣٧٠ ـ ٤٣٢هـ/ ٩٨٠ ـ ١٠٣٦م)[١٩] وكانت حياته مليئة بالاضطراب حيث

تولى الوزارة في همدان (ايران) ثم ثار عليه الجند واستقر في اصفهان وتفرغ فيها للعلم والكتابة والتأليف فأثرى المكتبة العربية والانسانية أيما إثراء.

وقد خصص ابن سينا عدة فصول من كتابه الموسوعي في الطب «القانون» لرعاية الاطفال وجعل في الجزء الاول من القانون أربعة فصول لرعاية الطفولة وهي:

- فصل في تدبير المولود كما يولد الى أن ينهض.
- فصل في تدبير الارضاع والنقل.
- فصل في الامراض التى تعرض للصبيان وعلاجاتها.
- فصل في تدبير الاطفال إذا انتقلوا الى سن الصبا.

ثم اتبع ذلك بقسم آخر سماه التدبير المشترك للبالغين وهو سبعة عشر فصلا «معظمها في الرياضة والغذاء وبدأ ذلك بقوله: لما كان معظم تدبير حفظ الصحة هو أن يرتاض ثم تدبير الغذاء ثم تدبير النوم وجب أن نبدأ الكلام بالرياضة»[٢٠].

وفي الجزء الثالث من القانون وضع ابن سينا فصلا في الحصبة والجدرى وآخر في الحميات وفصلا في تشنج الاطفال.

وذكر ابن سينا أهمية الرضاعة من الأم فقال: «أن يرضع ما أمكن بلبن أمه فإنه أشبه الأغذية بجوهر ما سلف من غذائه وهو في الرحم» ولابن سينا لفتات لطيفة في رعاية الطفل حيث يقول: «فانه من الواجب أن يلزم الطفل شيئين نافعين أيضا لتقوية مزاجه أحدهما التحريك اللطيف، والآخر الموسيقى والتلحين الذي جرت به العادة لتنويم الاطفال»[٢١].

ولابن سينا ايضا أرجوزة في الطب عدد أبياتها ١٣٢٦ بيتا خصص منها أربعين بيتا للأم والطفل هي الابيات ٩١٣ الى ٩٥٢ وقد قسمها ايضا كما فعل في القانون الى أربعة أقسام:

١ - تدبير الطفل في بطن أمه: حيث يتحدث فيها عما يجب على الحامل من الاحتياط في تناول الطعام. ومنع من فصد دم الحامل كما منع من اعطاء الحامل مسهلات قوية وإذا كان لديها إمساك فعليها بالملينات الخفيفة.

٢ - تدبير المخاض والولادة: وفيها ينصح ابن سينا بتدليك الحامل قبيل الوضع في حمام ساخن ويأمر بالغذاء الجيد والمرق الدسم ويحذر من إزعاج الحامل، ويأمر القابلة بأن تجعل الحامل تقوم بتمرينات رياضية قبل الوضع حتى تقوي عضلات البطن.

٣ - اختيار الظئر (المرضعة) ويصف فيها صفات المرضعة الجيدة من امتلاء الجسم وتوسط السن غير مترهلة معتدلة المزاج خالية من الأمراض. كما يصف تغذية المرضع وعدم ازعاجها وتفريغها لمهمة الارضاع.

٤ - تدبير الطفل في خاصته: ويشرح فيها ابن سينا كيفية العناية بالطفل حديث الولادة من حيث دهن جلده والتوسط في إرضاعه وكيفية تنظيفه وشد قماطه.. ومعاملته لينام نوماً هادئا ثم تغذية الطفل باضافة العسل كما ينصح بمناغاة الطفل بصوت منغّم ملحّن ويتحدث عن تأثير الموسيقى عليه.. كما يتحدث عن أهمية تعليمه الكلام.

ولا يكتفي ابن سينا بذلك بل يتحدث عن التشوهات في الجنين والمولود ويرجعها الى الرحم الرديء أو ماء الرجل أو الولادة السيئة.. أو نتيجة سوء رعاية المولود من ناحية تقميطه أو وقوع الطفل حيث تتكسر ساقه أو يده. ثم يتحدث ابن سينا بعد ذلك عن ارتخاء العصب والتشنج وميل الرقبة. ويختم ذلك بأثر الأورام والقروح في إفساد الشكل الظاهري للأعضاء.

وقد تُرجمت أرجوزة ابن سينا الى اللاتينية في القرن الثالث عشر الميلادي.. ونشر الدكتور محمود الحاج قاسم الابيات الأربعين المختصة برعاية الاطفال والحوامل في مجلة العربي العدد ٢٧٢[٢٢] كما نشرها كذلك في كتابه القيم: تاريخ طب الاطفال عند العرب[٢٣].

ولم يكتف ابن سينا بذلك كله ولكنه وضع رسالة في سياسة الرجل ولده وقد شملت هذه الرسالة:

١ ـ اختيار الاسم الحسن والمرضعة الجيدة حيث يقول: إن من حق الولد على والده إحسان تسميته ثم اختيار ظئره كي لا تكون حمقاء ولا ذات عاهة.

٢ ـ تأديب الطفل وعقابه منذ الصغر.

٣ ـ تعليم الطفل واختيار المؤدب الصالح: حيث يقول: وينبغي أن يكون مؤدب الصبي عاقلا ذا دين بصيراً برياضة الأخلاق، حاذقا بتخريج الصبيان وقوراً رزيناً غير كزّ ولا جامد بل حلواً لبيبا ذا مروءة ونظافة ونزاهة.

ويقول: «ينبغي البدء بتعليم القرآن». «وصُوِّر له حروف الهجاء ولُقِّنَ معالم الدين. وينبغي أن يروى الصبي الرجز ثم العقيدة.. ويبدأ من الشعر بما قيل في فضل الأدب ومدح العلم وما حث على بر الوالدين واصطناع المعروف وغير ذلك من مكارم الأخلاق».

ويحث ابن سينا على تعليم الصبي مع أقرانه لا منفردا «فإن الصبي عن الصبي ألقن وعنه آخذ وبه آنس».

كما يهتم ابن سينا بميول الصبي وتوجيهه بعد إعطائه الثقافة الدينية الأولية حسب رغباته وميوله حيث يقول: «وإذا فرغ الصبي من تعلم القرآن وحفظ أصول اللغة نظر عند ذلك الى ما يراد أن تكون صناعته فوجه لطريقه، فاذا أراد به الكتابة اضاف الى دراسة اللغة دراسة الرسائل والخطب ومناقلات الناس وما أشبه وطورح الحساب ودخل به الديوان. وإن أريد أخرى أخذ به فيها بعد أن يعلم مدبر الصبيان أن ليس كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له مواتية لكن ما شاكل طبعه وناسبه.. فلذلك ينبغي لمدبر الصبي إذا رام اختيار الصناعة أن يزن أولا طبع الصبي وسَبَرَ قريحته، ويخبر ذكاءه فيختار له الصناعات بحسب ذلك. فإذا اختار له إحدى الصناعات تعرّف قدر ميله اليها ونظر هل جرت منه على عرفان أم لا؟ وهل أدواته وآلاته مساعدة عليها أم خاذلة؟ ثم يبتُّ العزم.

وبهذه الطريقة الفذة يكتب ابن سينا عن رعاية الامومة والطفولة في مراحلها المختلفة رعاية شاملة كاملة.. وإن كان ذلك متفرقا في كتبه ورسائله.

ولذا فإن من أتى بعد ابن سينا وخاصة من الاطباء كان عالة عليه الى حد كبير.. ولم يأت بالجديد منهم الا القليل وخاصة في موضوع رعاية الطفولة والامومة اللذين نحن بصددهما. أما الفقهاء وعلماء الدين فقد توسعوا في هذا الباب من زوايا كثيرة لم يطرقها ابن سينا، وإن طرقها لم يتوسع فيها كما توسعوا.

وسنكملُ أولا ما أضافه الاطباء الى رعاية الامومة والطفولة ثم نلتفت بعد ذلك الى ما كتبه علماء الدين والفقه.

يحى بن عيسى بن جزلة البغدادي المتوفَّى سنة ٤٩٣هـ/ ١٠٩٧م:

لم يضع يحى بن عيسى بن جزله كتابا مستقلا لرعاية الطفولة والامومة ولكنه تناول ذلك بشيء من الاسهاب في كتابه: «تقويم الابدان في تدبير الانسان» وفي هذا الكتاب فرّق بين أمراض الاطفال والشباب والشيوخ وكيفية علاجها وقارن بينها مقارنة جيدة.

علي بن رضوان (المتوفَّى سنة ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م بمصر). وقد كتب في موضوع طب الاطفال ما يلي:

١ ـ مقالة في أن جالينوس لم يخلط في أقاويله في اللبن على ظن قوم.

٢ ـ رسالة في علاج صبي أصابه المرض المسمى بداء الفيل وداء الاسد.

أبو الحسن على بن هبل البغدادي: المتوفَّى سنة ٦١٠هـ/ ١٢١٢م

صاحب كتاب «المختارات في الطب» الذي عقد في الجزء الاول منه أربعة فصول عن تدبير المولود وتغذيته ومداواة أمراض الاطفال، ووضع فصلا بعنوان «خلق الانسان» لخص فيه معلومات علم الاجنة الى زمنه.

أبو مروان عبد الملك بن زهر الاندلسي: ٤٨٧ ـ ٥٥٨هـ/ ١٠٩٤ ـ ١١٦٢م.

ورغم شهرة ابن زهر في الطب الا أنه لم يفرد طب الامومة والطفولة بشيء من تآليفه بل تحدث عن

ذلك باختصار في كتابه الاغذية حيث ذكر ما يحفظ الاجنة في الاجواف ثم القول في تدبير الطفل.

ابن النفيس (علاء الدين ابو الحسن علي بن ابي الحزم القرشي المشهور بابن النفيس) ٦٠٧ - ٦٨٧هـ/ ١٢١٠ - ١٢٨٨م.

أحد أعلام الطب البارزين في التاريخ الاسلامي. صاحب التصانيف الكثيرة في الطب والفقه وغيرهما.. وأشهر كتبه في الطب شرح كتاب التشريح من قانون ابن سينا وموجز القانون. ولم يكتف فيه بايراد أقوال ابن سينا وجالينوس وغيرهما من الاطباء ولكنه انتقد بعض أخطائهم. ويعتبر ابن النفيس أول من وصف الدورة الدموية الصغرى. كما كان أول من وصف الشرايين التاجية المغذية للقلب وأول من أوضح أن القلب له بطينان لا ثلاثة كما زعم ابن سينا. وأول من كشف خطأ جالينوس في قوله «أن الجدار الفاصل بين البيطنين في القلب له فتحة ومسام.

ورغم أن مساهمات ابن النفيس في الطب كانت رائدة وهامة الا أن مساهماته في طب الاطفال ورعايتهم كانت محدودة برسالة في أوجاع الاطفال.. ويبدو أن المنية عاجلت ابن النفيس حيث لم يتم سوى ١٨ جزءاً من كتابه الموسوعي «الشامل في الطب» الذي كان يزمع كتابته في ثلاثمائة جزءا.

ابن القف (ابو الفرج بن موفق الدين بن اسحاق بن القف) كان جده من نصارى الكرك بالشام ثم اسلم وصار ابوه من أعلام الدين ولد سنة ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م. تتلمذ على ابن ابي أصيبعة صاحب عيون الانباء في طبقات الاطباء وترجم له.

وله من الكتب الشافي في الطب وشرح الكليات من كتاب القانون لابن سينا في ستة مجلدات. وله مقال في حفظ الصحة.. وكتاب «العمدة في صناعة الجراح» وهو كتاب فذ في علم الجراحة.

وقد جمع في كتبه هذه فصولا تتعلق برعاية الامومة والطفولة. ففي كتابه «جامع الغرض في حفظ الصحة ودفع المرض» تكلم عن تكوين الجنين وحفظ صحة الحبالى وحفظ صحة الرضيع والمرضع، وحفظ صحة الطفل قبل الفطام وبعده، وفي أيام الصبا والشباب والكهولة.

وتكلم في كتاب العمدة في صناعة الجراح عن علاج الحصبة، وعلاج الماء الذي يجتمع في رؤوس الصبيان، وعلاج من يولد من الاطفال وكمرته ومقعدته غير مثقوبة. كما تكلم عن ختان الاطفال وأمور أخرى تتعلق بجراحة الاطفال مثل الاصابع الزائدة والملتصقة .. الخ.. وكانت وفاة ابن القف عام ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م.

داود الانطاكي المتوفَّى سنة ١٠٠٨هـ/ ١٦٠٠م:

داود بن عمر الانطاكي.. ولد في انطاكية وحفظ القرآن الكريم ودرس الادب والطب حتى صار من الاعلام.. له مؤلفات عديدة في الطب والأدب أشهرها كتاب: «تذكرة أولى الالباب والجامع للعجب العجاب المعروف باسم تذكرة داود (مطبوع).. وقد تحدث في هذا الكتاب عن كيفية العناية بالمولود وتحدث عن الرضاعة والمرضع وشروطها وصفات الحليب الجيد وكمية اللبن التى ينبغى أن يرتضعها الطفل حيث يقول: «وأقل ما يرتضع الطفل في اليوم والليلة مائة وخمسين درهما. والاكثر فيما قالوا خمسمائة درهم».

ويساوى الدرهم ٣٫٠٨٩٨ جراماً. وينصح داود المرضعات بأن يتوقفن عن الرضاعة إذا اضطررن لاستخدام الأدوية القوية التى تفرز في لبن الثدي حيث يقول: وتعالج المرضع إن لم يكن ولابد من دواء قوي فلا ترضع يومه»[٢٥].

ويهتم داود باضافة طعام آخر للطفل لعدم الاكتفاء بالرضاع وخاصة قبيل الفطام والغريب حقا أن داود الانطاكي كان ضريراً ورغم ذلك انتهت اليه رياسة الاطباء في زمنه وله بجانب التذكرة المشهوره كتاب «نزهة الاذهان في اصلاح الابدان»، و«الفية في الطب» و«كفاية المحتاج في علم العلاج» و«رسالة في

علم الهيئة»، و«شرح عينية ابن سينا»، و«زينة الطروس في أحكام العقول والنفوس» و«غاية المرام في تحرير المنطق والكلام» و«النزهة المبهجة في تشحيذ الاذهان وتعديل الأمزجة[٢٦].

الهوامش:

(١) د. حسن بله الأمين: مجلة الفيصل الطبية، العدد ١٣ صفر - ربيع الثاني ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

(٢) المصدر السابق.

(٣) د. محمود الحاج قاسم: رسالة في أمراض الأطفال والعناية بهم، تأليف أبي بكر محمد بن زكريا الرازي. المؤتمر القطري للطفولة ٩ إلى ١٣ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٩م، بغداد وزارة العمل والشؤون الاجتماعية.

(٤) زيغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب. ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٩٦٤ (ص ٢٤٣ - ٢٥٧).

(٥) د. محمود الحاج قاسم: تاريخ طب الأطفال (الطبعة الثانية) تهامة، جدة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ص ١١٣.

(٦) زيغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب ص ٢٥.

(٧) ابن أبي أصيبعه: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، منشورات دار الحياة بيروت ، تحقيق د. نزار رضا ص ٤١٤.

(٨) خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت ، الطبعة الخامسة ١٩٨٠ ج٤/ ٢٨٨.

(٩) د. محمود الحاج قاسم: تاريخ طب الأطفال ص ١١٠.

(١٠) د. محمد علي البار: خلق الانسان بين الطب والقرآن، الدار السعودية، جدة ، الطبعة العاشرة ١٤١٥/ ١٩٩٥.

(١١) د. محمد علي البار: الوجيز في علم الأجنة القرآني، الدار السعودية، جدة، الطبعة الثانية ١٤٠٧/ ١٩٨٦م ص ١٨ - ٢٢.

(١٢) د. محمود الحاج قاسم: تاريخ طب الأطفال ص ١١١.

(١٣) خير الدين الزركلي: الأعلام ج ٢/ ٢٨٧.

(١٤) محمود الحاج قاسم: تاريخ طب الأطفال ص ١١١.

(١٥) أحمد بن محمد ا لطبري: المعالجات البقراطية، مخطوطة بدار الكتب المصرية، نقلا عن المصدر السابق.

(١٦) د. سامي حمارنة: فهرس المخطوطات العربية في الطب والصيدلة المحفوظة في المكتبة البريطانية.

(١٧) أحمد بن محمد البلدي: «كتاب تدبير الحبالى والأطفال والصبيان، وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم». تحقيق د. محمود الحاج قاسم، وزارة الثقافة والاعلام العراقية، بغداد، ١٩٨٠ ص ٧٨.

(١٨) أحمد بن عبد الرحمن بن منديه الاصفهاني: رسالة في أوجاع الأطفال في مكتبة المتحف العراقي، بغداد.

(١٩) د. محمد على البار: المسلمون في الاتحاد السوفييتي، دار الشروق جدة ، ١٩٨٣، ج٢/ ٤٣٦ - ٤٤٩.

(٢٠) أبو على الحسين بن على بن سينا: القانون في الطب، دار صادر (طبعة مصورة) ج١/ ١٥٠ - ١٧٧.

(٢١) المصدر السابق.

(٢٢) د. محمود الحاج قاسم: الأم والطفل في أرجوزة ابن سينا، مجلة العربي العدد ٢٧٢، يولية ١٩٨١ ص ١٣٤ - ١٣٧.

(٢٣) محمود الحاج قاسم: تاريخ طب الأطفال عند العرب، الطبعة الثانية، تهامة، جدة، ١٩٨٣م ص ١٣٣ - ١٣٧.

(٢٤) د. محمود دياب: الطب والأطباء ص ٢٧٢.

(٢٥) داود الأنطاكي: تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجاب ص ٣٥.

(٢٦) خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة ١٩٨٠ ، ج٢/ ٣٣٣ - ٣٣٤.

سَرْيَةُ الهوى إلى دم

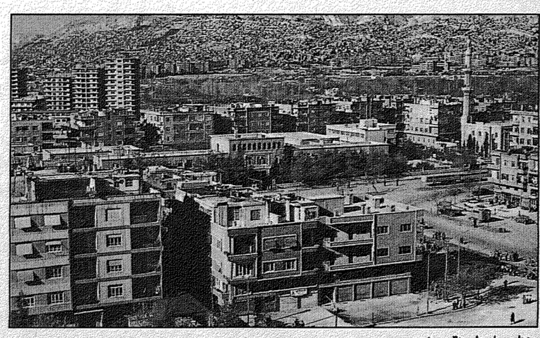
لَعَرْشُك هذا مجدُه أمويٌّ
وتحفظُهُ الأسادُ كي لا يُبدَّدا
أطالعُهُ منْ مهْبط الوحي مُكبراً
ومروانُهُ يُعْليه صرْحاً مُجدَّدَا
أرى في بُروج الكوْن مسْراك كوْكباً
أضاءَ بنُور الله للكون فاهْتدى
أرى جحْفلا قدْ هبَّ منْك بصُبْحه
ولمْ يُمْس إلا والنجاحُ لهُ الصَّدى
أغذَّ شمالا ثُمَّ غرْباً ومشْرقاً
وجدَّ على درْب النَّبيِّ مُؤيَّدا
وإنَّك لَلمجْدُ الذي يعرفُ الورى
وإنَّك لَلتَّاريخُ سفراً مُخلَّدا
نطالعُهُ نسْتلْهمُ العبر التي
حوى ذُخرها بيْن الصَّحائف مُرشدا
وقدْ يُسْعفُ التَّاريخُ طُلاب عبرة
وقدْ يخذُلُ التاريخُ عقلا تبلَّدا
وهلْ تُقرأُ الأسفارُ إلا لغاية
تُوَجِّهنا علماً وتصنعُ سُؤددا
وتسمُو بنا ديناً وتصهرُنا هوى
فنأتي بها نصراً ونُدْنيه موعدا

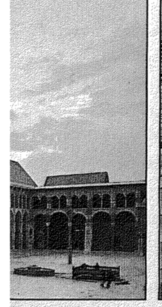
* * *

تأمَّلْتُ أجلو عبْرة بعد عبرة
فلمْ أر ذا لهو أطال تسوُّدا
وما نال مجداً غيرُ من جدَّ عزمُهُ
وأوغل في علم الزمان وجدَّدا
وسار بقلب قدْ وعى من زمانه
تجاربهُ إنْ جاد فيها وإنْ كدى

* * *

وأرنو وإذ حُلمٌ سنا بشعاعه
أنار ظلاماً واعتلى وتجسَّدا
لعمرُك إنَّا قد خبرْنا مُلُوكنا
ومنهُمْ ومنَّا ثار حُبٌّ فوحَّدا
وشدنا بناء يعتلي من أساسه
على المجد إسلاماً مُنيراً ومحْتدا





منظر عام لمدينة دمشق

دمشق [*]

شعر :

د. بهاء بن حسين عزّي - جدة

فذي قبْلَةُ الإسلام أجمعُ وجْهة
وذا مسجدُ الهادي فمنْ نُوره الهُدى

وذي هضبُ نجْد أنجبتْ أسد الشّرى[1]
مُوحِّد أقطار وبعثاً مُسدَّدا[2]

وهذي رُبى الظّهران في الشّرق تزْدهي
وهذي وهذا، زدْ، فذا موْطنُ النّدى

لعمرُك إنّا منْ بلاد عظيمة
أرى الصّنْعة العُظْمى لها اليوْم أو غدا

فُديْتِ بصفو يا دمشْقُ وهُمْ فدوا
ومن يفدهمْ يستهْد منْ رُوحنا الفدى

فلا تعْجبي فالصَّبُّ يفدي كأنّهُ
على مذْبح الأحباب يرجُو تشهُّدا

* * *

وأنتِ غرامٌ يا دمشقُ وإنَّ لي
ككُلِّ مُحبٍّ دعوة وتوجُّدا

رفعتُ على «قسيُون»[3] كفّي ضراعة
وإذ بك في كفّيَّ حُسناً تفرّدا

عُذُوبة أطفال، شموخ سرية،
تبتُّل عُبَّاد أجدُوا تعبُّدا

وما أنتِ إلا دعوة مستجابة
دعوتُ بها ربّي فجاد وأسعدا

فهمتُ، وإذ نهرُ تغيّظ فيضُهُ
فيا بردى ما أنت إلا من الجدا

لعمْرُكَ إنَّ القلب عُمرانُه الهوى
وليس هوى ما لا يفيضُ توقُّدا

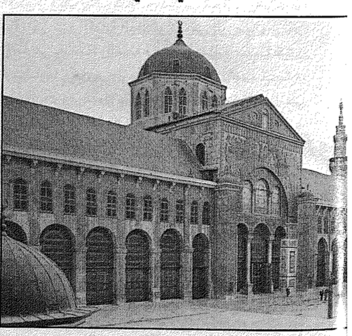
وإنّي لَفيضٌ يعْرُبيٌّ نجارُهُ
أسيرُ بوقد الشّوق من حيثُما ابتدا

وإذ جئتُ مُشتاقاً فإنّي لفي هوى
يشُدُّ إلى رَبْعي، فما الوقدُ منْ سُدى

وإن هاج بي شوقُ السُّرى منْ سراتهمْ
فقدْ كُنتُ أخفيه، وها هُو قد بدا

وهذا هوانا يا دمشقُ تَرَيْنَهُ
يفيضُ بوقد يستجيشُ مع المدى

يُضيفُ لهُ مَنْ بالحجاز سلامهُ
وكُلٌّ بنجد بالتّحيّات زوّدا



المسجد الاموي في دمشق

الهوامش:

[*] هذه القصيدة.. أهديها تحية لمدينة دمشق العظيمة، عاصمة الخلافة الأموية وعرين الأسد، التي أزورها لأول مرة تلبية لدعوة كريمة تلقيتها من الأديبة المبدعة الشاعرة ابتسام الصمادي.

وهي دعوة لإحياء أمسية شعرية في مجلسها الأدبي في دمشق بتاريخ ١٤١٩/٣/١٣ الموافق ١٩٩٨/٧/٧م.

(١) أسد الشرى.. جلالة المغفور له الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، موحد المملكة العربية العربية السعودية.. أسكنه الله فسيح جناته.

(٢) بعثاً .. جيشاً.

(٣) «قسيُون».. جبل «قاسيون» الشهير المطل على دمشق.

أهمية الصورة للقطعة الأدبية

يُعنى النقد الأدبي بالأدب شعراً ونثراً فنياً، أما علم الجمال أو فلسفة الفن أو الاستطيقا فتعنى بالفنون الجميلة سائرها وتركز على المشترك بينها، وتتوقف عندما يميز الفن عن العلم والفكر، لقد ظهرت مضامين هذا العلم وأسسه وبغير تسمية ولا تنظير كثير عند أفلاطون وأرسطو وفي عالمنا الإسلامي عند الفارابي وحازم القرطجاني وعبد القاهر الجرجاني وغير هؤلاء من مفكري المسلمين، وفي أوربا العصر الحديث تمت التسمية على يد الكسندر بومجارتن (١٧١٤ - ١٧٦٢م). ولكن المسلَّم به أن (كانت) Kant هو المؤسس الحقيقي لعلم الجمال بمعناه الدقيق، وذلك في كتابه القيم (نقد الحكم) أي الحكم الجمالي، وعرفنا بعده هيجل وكروتشه وبوزانكت وجون ديوي وكولنجوود ولوكاتش وصمويل الكسندر وسارتر، ولكل منهم فهمه الخاص للتذوق أو الحكم الجمالي، فهمه المنغرس في أرض فكره الميتافيزيقي.

وأرى أن دراسة قضايا علم الجمال وموضوعاته خاصة في صورته الغربية عند مفكري العصر الحديث أمر ضروري لدراسة الأدب وفهمه ونقده، فالأدب نوع من جنس هو الفن الجميل ولا يفهم النوع فهماً جيداً عميقاً إلا إذا فهم الجنس، وثمة - بطبيعة الحال - قضايا مشتركة بين حقل النقد الأدبي وحقل علم الجمال وبسبب هذا الاشتراك وجدنا من نقاد الأدب مفكرين يدخلون بقوة من باب علم الجمال. مثالان لهؤلاء: أ.س. ريتشاردز صاحب كتاب (مبادىء النقد الأدبي) وعبد القاهر الجرجاني صاحب كتابي: (أسرار البلاغة) و(دلائل الإعجاز).

الصورة تتعلق بالكيان المادي للعمل الفني:

من أهم القضايا المطروحة في كتب علم الجمال ودراساته قضية التمييز بين المضمون والصورة، والحق أن للصورة في العمل الفني مكاناً متميزاً، إنها جوهره وأساسه. فماذا نقصد بالصورة؟ نقصد الكيان المادي للعمل الفني والعلاقات أو النظم بين الأجزاء المادية.. بين الألفاظ بالنسبة للشعر أو بين الألوان بالنسبة لفن التصوير الزيتي، وفي كل الأحوال فإن ما يصنع الصورة هو ذلك البعد الذي يضيفه الفنان من ذاته.. أو من شخصه، وهو بُعد لا يُعلَّم ولا يُورَّث، وبسببه يفقد العمل الأدبي الكثير إذا تُرجم إلى لغة أخرى، وبسببه أو بسبب الصورة التى هى منحته وناتجه يعجز التلخيص والتحليل عن أن يغنياك عن مشاهدة أو قراءة، أو الاستماع للعمل نفسه، فإن حدث وأغنياك فالعمل ضعيف وليس جديراً بصفة فن.

ولنعالج الأمر في تؤدة:

الفن حدث فردي، وقدرة خاصة لا يستطيع نقاد الفنون وعلماء الجمال أن يمنحوها بدراساتهم لشخص لا يمتلكها، وما استطاعت دروس الشعر أن تخلق شاعراً، يستطيع الأستاذ أن يعلم تلميذه المجتهد من خلال كراسة الإنشاء: كيف يكتب كتابة جيدة مستقيمة سوية واضحة بينة، لكن هذه الكتابة الجيدة، لا ترقى إلى مستوى الفن وإنما هي صنعة، والصنعة تُعلَّم، للصنائع مهما كانت أسماؤها مدارس واتجاهات وأشكال وتصميمات، وجماعات وحرفيون يتفقون ثم ينفنون ما اتفقوا على خطوطه ومعالمه أما الفن فواقعة فردية، والفنان لا يتعمد في نية مبيتة وإصرار مسبق أن يدخل في زمرة جماعة يحذو حذوها ويقلد خطوطها، قد يتأثر بفنان أو أكثر، لكنه لا يتعمد.

يمتلك الشعر صفتي الوزن والقافية لكنه يمتلك سمات أخرى أساسية، هى التى تجعله شعراً، تتلخص

بقلم: د. عبدالرزاق حجاج محمد
جامعة الامام محمد بن سعود - الرياض -

كل تلك السمات في كلمة واحدة: الصورة، أو النظم بتعبير عبد القاهر الجرجاني.

لكننا دائماً وفي كل العصور - وبصفة خاصة في عصرنا لغلبة الدافعية للربح والشهرة - نجد أعمالا موزونة ومقفاة ويسمي أصحاب هذه الكتابات ما يكتبون شعراً، ويقبل الناس عليها حينا من الزمن ثم ينسونها تماماً بل لا يريدون لأحد أن يذكرهم بها.

غير أن فاجعة النثر الجميل في هذا المجال أكبر ذلك لأن الظاهر للناس أن مدخله أسهل، فالوزن والقافية أمران عسيران ولا يحسنهما الجميع، يكتب الرجل حدثا إلى جوار حدث ويسمي ما كتب قصة، ويضع تشبيها إلى جوار تشبيه وجملة مسجوعة إلى جوار أخرى مثلها ويسمى ذلك مقالا أدبياً... كذا يحاكي مستخدم الألوان الوردة والشجرة والسوق في القرية والفلاحات على شاطيء النيل، والمسافرين عند باب القطار محاكاة دقيقة ويستخدم ألوان هذه الأشياء نفسها، وكما هي في الطبيعة، ويسمي ذلك تصويراً.

ويشترى شخص اللوحة من هذه اللوحات ويعلقها على الجدار، وينظر إليها اللحظة أو اللحظتين، ثم يغفل عنها ثم لا يعاقب طفله على عبثه بها أو تمزيقه لها.

ذلك أننا نشعر جميعاً أن هذه الأعمال ليست هي ما نريد، خاصة إذا كنا قد شاهدنا أعمالا من الفن الجميل بحق شعراً وتصويراً. أو موسيقى.. ويغير وجود معايير واضحة محددة عند غالب الناس نجدهم يزهدون فيما نسميه صنائع أو موضوعات مهارة ويقبلون على ما نسميه بحق فنا جميلا.

ومن حق القارىء أن يتساءل عما يميز الصنعة مهما حاولت خداعنا عن الفن بحق؟ لكننا نقدم سؤالا آخر هو: ما الفرق بين العلم والفن؟

احتواء الصورة في العمل الفني واشتمالها على المضمون:

أول ما يتسم به الفن الجميل هو احتواء الصورة للمضمون وانتشار المضمون وتخلله في كل نسيج الصورة وإتيانه للقارىء أو المشاهد رويداً رويداً ومن خلال كل جزئيات الصورة، أما العلم فأمره مختلف ذلك أن موضوعه، هو الحق أو الحقائق وما دام الأمر كذلك، فالمضمون أو الفكرة هي الأساس، ولذا فإن العلم قابل للنقل من لغة إلى لغة، دون أن يتغير أو يفقد شيئاً، لأن الذي يتغير في حالة النقل هو الصورة.. والصورة ليست موضع احتفال العلم، فالعلم تعنيه الفكرة، والفكرة يعبر عنها بأكثر من لغة بل تنقلها الرموز بشكل أرق من الألفاظ.

الفن مرماه وهدفه الجمال، والجمال يتعلق بالصورة، والصورة هي التي فيها وبها ومن خلالها يتحقق الجمال، إذا تغلب المضمون وبرزت الفكرة بروزا وارتفع صوتها، لم يتسلل تسللا وإنما ينكشف انكشافاً، هنالك لا تستوعبه الصورة في نسيجها كما يستوعب الوجه المشرق لون الحمرة، وإنما يظهر انفصالهما منذ اللحظة الأولى، فالمكتوب إعلامي تعريفي إرشادي وعظي خطابي، واللوحة تجارية مشخصة لا معبرة، ناقلة مقلدة، ليست هامسة موحية، إنما مباشرة تماماً.

لذا فإن العمل الفني الأصيل يأبى إلا أن تتعرف عليه هو نفسه، لا يغني عنه تلخيص ولا يزهدك فيه تحليل، ذلك لأن التلخيص والتحليل يتعاملان مع الأفكار يلخصانها ويحللانها، لكن العمل الفني صورة أساسا، والصورة لا تُلَخص ولا تحلل ولا تجزأ أو تفتت فهي العمل نفسه، لذا وجب على المشاهد أو المستمع أو القارىء أن يقبل على العمل الفني كله وبنفسه، فيتلقاه بذاته كلها: بقلبه وعقله وإحساسه، بروحه ووجدانه وفهمه، ومن ثم فإن ملاقاتنا للعمل الفني من أهم المناسبات التى تتوحد عبرها شخصيتنا.

إزاء العمل العلمي يبرز دور الفهم، أما إزاء العمل الفني فيعمل القلب والإحساس والفهم معاً وفي ارتباط وتلاحم.



وعلى نفس المستوى كانت الترجمة مهما بلغت دقتها وجودتها مضيعة لشيء ما في الصورة، أرأيت إلى القاص أو الشاعر وهو يبذل الجهد عبر لحظات طوال في اختيار كلمة واحدة، كلمة يشعر بأنها من بين مترادفات كثيرة (هي) المعبرة - وحدها - عما يريد إخراجه لنفسه

**** القلب والاحساس والفهم أدوات تلقي الفن والجمال**

**** الشكل والمضمون توأمان في خارطة الابداع.**

**** في العمل الفني الألفاظ تمتزج بالفكرة**

**** العمل الفني قراءة وإبداع لما انطبع في المخيلة**

وغيره من فكرة أو أفكار.. فكيف بالكلمة لم يكتبها هو وجاءت بلغة أخرى غير التي كتب بها؟.. إنها أبداً لن تكون ما أراد ولا كذلك الجملة والعبارة.

ومعيار العمل الفني - وما فيه من قوة وعظمة - أن الترجمة والتلخيص والتحليل لا يغنون عنه، والعمل الفني الدعي: هو الذي لا تجد فارقاً بينه وبين ترجمته أو بينه وبين تلخيصه.

في العمل العلمي تكون الألفاظ «مشيرة» إلى شيء خارجها هو الفكرة أو الأفكار.. إنها محض مشيرات أو مؤشرات إنها لا تمتزج بالفكرة، وإنما تبقى خارجها دالة عليها؛ ولذا فإن تحويل الألفاظ في العلم إلى ألفاظ لغة أخرى أو تحويلها إلى رموز لن يضيع شيئا من المقصود، أما في العمل الفني فالألفاظ (تمتزج) بالفكرة امتزاجاً، وتحيط بها إحاطة، وتلتف حولها التفافاً، فإذا أنت مع الفكرة من هذه الألفاظ بعينها ومن نظمها على هذا النحو وليس من ألفاظ غيرها ولا على نحو من النظم (والوشي) غير ما نظمت به.

إن الألفاظ في العمل الفني ليست مجرد إشارات، وإنما هي (ممتزجة) بالفكرة، وأنت غير قادر على فصلهما وأخذهما متباعدين، كذا أنت على يقين من أن القصيدة لو حولت نثراً لما عادت هي ولو ترجمت لفقدت شيئا بل أشياء.

أما الأعمال التي ترتدي زي الفن ليقال عنها إنها شعر أو تصوير أو قصة، فإن الكلمات والألوان فيها ليست إلا إشارات لمعان تقع خارجها، ليست إلا مشخصات؛ ولذا فإنك تستغني عن الشجرة التي في لوحة من هذا النوع، وتتجه إلى الأصل: الشجرة الواقفة هناك على حافة الترعة، تهمل نظماً قال عنه صاحبه: إنه شعر في وصف الربيع مثلا لتكتفي بالربيع نفسه.

هنا نضع أيدينا على سمة أساسية أخرى من سمات العمل الفني الجميل الأصيل، وهي أن **الفنان في عمله يضيف شيئاً من ذاته**، فالشجرة في القصيدة الجيدة لم تعد الشجرة الخارجية، لا يتعلق الأمر بكونها في الخارج تهتز، وتتمايل فروعها، فحتى الرسام الحرفي يستطيع أن يقدمها لك على الورق وهي تهتز، وذلك بحيل وتقنيات يعرفها الصناع، وإنما يضيف الفنان الأصيل شيئاً آخر، شيئاً تلقاه فتدركه مباشرة ثم تعجز عن نقله لغيرك، ويقف كلاكما أمام اللوحة فتبتسمان ابتسامة واحدة وينظر كل منكما لصاحبه بعين ملؤها الرضا... وتعجز الكلمات!!

ثمة ثلاثة مستويات للتعبير:

أ - التعبير العادي العملي أو الفرضي المباشر وهو ما تؤديه لنا اللغة أو الألوان أو الأصوات في حياتنا اليومية.

ب - التعبير العلمي: وهنا النظرية أو الفرضية غير المباشرة، ويشترك هذان التعبيران العملى والعلمي في أن المضمون هو الأساس عندهما.

جـ - التعبير الجمالي: وهنا تكون الصورة بتفردها وتميزها في كل عمل فني هي الأساس[١].

وقد وجدنا بذور هذه التفرقة لدى نقادنا المسلمين فهذا (أبو حيان التوحيدي) يفرق بين حد الإفهام وحد البلاغة فيقول: (... ولا يكتفى بالإفهام كيف كان، وعلى أي مرجع وقع، والبلاغة زائدة على الإفهام الجيد بالوزن والسجع والتقضية، والحلية الرائعة، وتخير اللفظ، وهذا

الفن لخاصة الناس، لأن القصد فيه الإطراب بعد الإفهام)[٢].

كذلك ميز سيبويه بين لغة الشعر ولغة الكلام في أحد فصول الكتاب مستعرضا بعض الجوازات التى تسوغ للشاعر ولا تجوز لغيره وهو ما كان يتفق مع رأى الخليل بن أحمد الفراهيدي) الذي ينسب إليه هذا القول: (الشعراء أمراء الكلام، يصرفونه أنَّى شاؤوا، وجائز لهم مالا يجوز لغيرهم من إطلاق المعنى وتقييده، ومن تصريف اللفظ وتعقيده، .. والجمع بين لغاته، والتفريق بين صفاته واستخراج ما كلت الألسن عن وصفه ولغته، والأذهان عن فهمه وإيضاحه فيقربون البعيد، ويبعدون القريب)[٣].

ونجد عند الفيلسوف الانجليزي صمويل الكسندر متوفي ١٩٣٩م التفرقة التي أشرنا إليها بين مستويات الكلام، ويحدد السمة الأساسية للتعبير الجميل بأنه لا يستخدم فحسب للدلالة أو الإشارة أو كما ذكر التوحيدي للإفهام، وإنما تعالج المواد في الفن لذاتها، ويقول عن الكلمات: **إنها بصفة عامة إشارات ولا تصبح جمالية إلا عندما تصبح محملة بالمعنى ممتزجة به، وكأنه يشع منها هي نفسها، وليست هي المشيرة إليه.**

هذا المعنى أو تلك الفكرة هى ما قصده (جان بول سارتر) بقوله: **«إن الفنان أبعد الناس عن اعتبار الأصوات أو الألوان لغة.. لا يريد الرسام أن يخط إشارات على قماش لوحته، وإنما يريد أن يخلق شيئا.. إن صرخة ألم هي إشارة ألم يثيرها غريق مثلا.. لكن نشيد ألم هو في آن واحد الألم نفسه وشيء آخر غير الألم»[٤].**

ولنأخذ مثلا من شعر البحتري لنتبين أهمية المادة.. أهمية اختيار الألفاظ ووضعها في نسق معين.. لنتبين كيف أن البحتري قد اكتشف الربيع في اللغة العربية، كما قيل عن شكسبير إنه قد اكتشف هاملت في اللغة الانجليزية.

لست حيال قصيدة (البحترى) عن الربيع مع علاقات لفظية تشير الى بهجة وإنما الكيان اللفظي نفسه مبهج، لقد تحققت (الصورة) وارتسمت ملامح المعالجة الفنية الجميلة فامتزجت البهجة والخضرة والحسن وانصهرت مع الألفاظ، فتضوعت بها تلك، فإذا أنت أمام ربيع آخر، تغنيك به القصيدة عن الربيع الخارجي.. ربيع الطبيعة، تقرؤها في برد الشتاء، فإذا أنت في الربيع، أو تقرؤها في الصيف وشدته فإذا الربيع محيط بك.

إن القارىء هنا أو المستمع أو قل المشاهد لا يقبل على الموضوع، وإنما يقبل على الصورة.. على نظم الألوان وتركيبها.

فلنطالع معاً وصف البحتري للربيع، وقد عرض له في خاتمة قصيدة مدح، ولنتأمل «الصورة» بكل ما تعنيه من حسن اختيار للألفاظ، ومن تقديم وتأخير، ومن ظلال وألوان، ومن تجسيد للبهجة التى تلحق الكون، فإذا أنت تكاد تلمسها بأصابعك أو تسمع حفيفها بأذنيك، وتخيل .. تخيل ذلك الربيع الداخلي .. ربيع القصيدة نفسها، فإذا أنت أمام ربيع أكثر حضوراً في نفسك من ربيع الكون:

أتاك الربيعُ الطلقُ يختال ضاحكا
من الحسن حتى كاد أن يترنما
وقد نبه النيروز في غلس الدجى
أوائل ورد كنَّ بالأمس نوماً
يفتقها برد الندى فكأنه
يبثُ حديثاً كان أمسُ مُكتَّماً
ومن شجر ردَّ الربيع لباسه
عليه كما نشرت وشياً منمنما
أحلُ فأبدى للعيون بشاشة
وكان قذى للعين إذ كان محرماً
ورق نسيم الريح حتى حسبته
يجيء بأنفاس الأحبة نُعماً[٥]

هل من لفظ تكلفه الشاعر بسبب من الوزن أو القافية - وغيره أكثر تحقيقا للموسيقى الداخلية والخارجية، ولتجسيد معنى البهجة منه..؟

أرأيت أوائل الورد اللاتى كن بالأمس (نُوماً) فلما جاء الربيع استيقظت ونشرت شذى حديث كان مخبوءا (مكتماً)؟ هل من لفظين أقوى وقعاً ودلالة من كلمتي: (نُوَّماً) و(مكتماً)؟ وهل من اختيار أفضل من كلمة (منمنماً) مع كلمة (وشياً) أو من كلمة (نسيم) مضافة للريح، مع كلمة (أنفاس) مضافة للأحبة.

لندر عيوننا الآن ناحية نص للصنوبري في وصف الربيع:

ما الدهر إلا الربيعُ المستنيرُ إذا
جاء الربيع أتاك النَّوْر والنور
فالأرض ياقوتة والجو لؤلؤة
والنبت فيروزج والماء بلور
لا تعدم الأرض كأساً من سحائبه
والنبت ضربان سكران ومخمور
فيه جنى الورد منضود موردة
به المجالس والمنثور منثور
هذا البنفسج هذا الياسمين وذا النـ
ـسرين ذا سوسن بالحسن مشهور

تأمل وقارن، البحتري يصف لنا الربيع فيجعله ضاحكا وأنت تمضي بعد تعبير (يختال ضاحكا) فتستشعر في كل تعبير ومع كل تشبيه أن الربيع يضحك ويبتسم، أما في مقطوعة الصنوبري فالشاعر هو الذى يضحك.. هو صبي - أو غلام - يطربه الربيع بمقدمه ونوره وزهره ونَوْره؛ فيمضى منشداً، ويعلو صوت الشاعر أو الغلام الطروب بثنائيات (النَّوْر والنُّور) (ياقوتة.. لؤلؤة) (فيروزج ... بلور) (سكران ومخمور) (منضود ومنثور)، وانظر إلى مادة (نور) ترد ثلاث مرات، لكنك تستشعر أمام كل لفظ شعوراً خاصاً: المستنير.. النَّوْر.. النُّور.

وانظر إلى حرف السين في البيت الأخير وما انبعث عنه من موسيقا حلوة عذبة إذ تكرر في هذه الكلمات: البنفسج.. الياسمين.. النسرين.. سوسن.. بالحسن، لقد تكرر مصحوباً باسم الإشارة، فتخيلنا الشاعر الضحوك الطروب صبياً يشير بأصبعه هنا وهناك.

الربيع الخارجي.. ربيع الكون واحد، لكن الربيع الذي جسدته قصيدة البحتري مختلف عن الربيع لدى الصنوبري.

وكذا في فن التصوير: لوحات الزهور والورود، تختلف كل لوحة عن الأخرى مع أن الزهرة واحدة، وإنما يعمل المصور بريشته ويضيف من ذاته ما يجعلك ترمى بعيدا أى صورة (فوتوغرافية) لزهور وورود!، أت بألف شاعر أو مصور واعطهم موضوعا واحدا وسوف يقدمون لك اعمالا مختلفة أو قل أعمالا فنية متباينة.

أهمية المعانى للصورة:

وعندما نقول إن الصورة هي جوهر العمل الفني، فإننا لا نعني إقلالا من شأن المعاني، إذ لا مقابلة أساساً بين الصورة والمعاني، وكأننا أمام طرفين متباعدين، فليس ثمة جهد بشرى فيه قصدية وإرادة ومعاناة إلا كان محتويا على معنى، وليس ثمة عمل فنى إلا ويتضمن معنى صغر هذا المعنى أو كبر، كان فكرة في كلمة أو فكرة في جملة من ثلاث كلمات أو أكثر، لذلك فإننا نجد كبار البلغاء والأدباء متفقين على أهمية الصورة للفن الجميل دون أن يعنى ذلك القول بخلو العمل من المعنى أو الإقرار بمشروعية الغموض والظلام، فرق بين اللامباشرة - أى لا مباشرة المضمون - مطلباً جمالياً، والغموض شراً شيطانياً تسعى إليه أنواع من الخفافيش تنتحل ثوب الشعر.

**الفنان أبعد الناس عن اعتبار الأصوات أو الألوان لغة

وعبارة الجاحظ: (المعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع، وجودة السبك[٦]، يحسن أن تفهم على أنه تجب التفرقة بين نوعين من المعاني: معان قبل العمل الفني، ومعان بعد العمل الفني: معان عامة مطروحة في الطريق أى يعرفها الجميع، وترد حينا في كتب الأخلاق والفضيلة وحينا آخر في كتب القانون والجريمة، أو قد نجدها خارج الكتب متداولة على ألسنة الناس هذه المعانى تمثل مادة للعمل الفني أو مخزونا، شأنها شأن الألفاظ بالنسبة للشاعر والألوان لدى المصور، **أما المعانى بعد العمل الفني فهي تلك التي لا تنقلها التراكيب اللفظية أو تشير إليها - في حالة الشعر - وإنما هي والتراكيب اللفظية شيء واحد.**

إن ما يقصده علم الجمال الأوربي من استخدام تعبير الصورة ومن اهتمام بالجانب المادي للعمل الفني، ليظهر واضحاً في مرامي عبد القاهر من فكرة النظم

أليس المقصود بالصورة هو تلك العلاقات الدلالية بين أجزاء الكيان المادي للعمل الفني.. الألفاظ بالنسبة للشعر مثلا بحيث يصعد من مجموعها معنى معين، معنى ينفرد به هذا العمل عن غيره من أعمال تحمل عنوانه نفسه.

يقول عبد القاهر في شرحه لمعنى النظم عنده: (هل تجد أحداً يقول: هذه اللفظة فصيحة، إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها؟ وهل قالوا: لفظة متمكنة مقبولة، وفي خلافه: قلقة نابية، ومستكرهة إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما؟).

ويرى - مثلا - أن كلمة (شيء) قد حَسُنت في بيت أبي **حيّة النميري:**

إذا ما تقاضى المرء يوم وليلة
تقاضاهما شيء لا يمل التقاضيا

لكن كلمة (شيء) نفسها تتضاءل في بيت **المتنبي** (من قصيدة في مدح كافور):

لو الفلكُ الدّوارُ أبغضت سعيه
لعوقه شيء عن الدوران

القصيدة لا تنشأ من أفكار:

لقد قال (مالارميه): إن **القصيدة لا تنشأ من أفكار وإنما تنشأ من ألفاظ،** وهو يعني تخير اللفظ الملائم للفظ آخر ملائم فإذا أنت أمام (تجمع) أو صورة أو كيان مادي ملائم للمعنى الذي أراده الشاعر.. وقد تكون الفكرة بسيطة للغاية ووردت عند عشرات الشعراء من قبل، لكنها تأتي في نظم أو صورة عظيمة فتعظم بدورها.

إننا لا نفضل بيتاً على بيت، أو قل بصفة أعم لا نفضل عملا فنياً على آخر، لمجرد المعنى، فهذا يدخل في مجال النثر العادي، ولو قيل موزوناً مقفى فهو ليس شعراً، لأن الشعر لا يحيا بالوزن والقافية وحدهما، وانما يتم التفضيل على أساس مقدار جودة النظم أو الصورة ومقدار تميزها على غيرها في حمل معنى نشعر أن الشاعر - أو الفنان عامة - يريد له الخروج من ثنايا النظم أو الصورة اللفظية، لا يأتي المعنى في العمل الفني الحقيقي منعزلا عن الكيان المادي المقدم فيه، ولو ترجم هذا العمل إلى كيان مادي آخر - في حالة الشعر أو النثر الأدبي - لخسرنا الكثير ولما بقي منه إلا القليل، وهل تترجم اللوحة من لوحات فن التصوير الراقي، وهل تترجم قطعة الموسيقى العذبة؟!.. كذلك يجب أن نحرص على قراءة الأعمال الأدبية بلغتها الأصلية. وقد استخدم صمويل الكسندر تعبير (معان نغمية) ليؤكد به بروز المعاني في الفن الأصيل من الكيان المادي نفسه بشخصه وصورته ونظمه.

اللغة في الشعر ليست مجرد إشارات إلى معان وإنما تمتزج المعاني بها، فلا نكون أمام صورة مستقلة عن المعاني، وهذا هو ما يقصده صمويل الكسندر بقوله: (... فشكسبير اكتشف هاملت في اللغة الانجليزية كما يكتشف النحات الشكل الذي يبحث عنه في الصخر) ويتساءل في موضع آخر.. (لكن من الذي يكتشف هاملت في اللغة الانجليزية ومن الذي يكتشف العبيد في الصخرة؟ إنهما شكسبير ومايكل أنجلو وليس أحد غيرهما[٧] وهو بذلك يريد الإشارة إلى أهمية موهبة الفنان ومدى حساسيته في اختيار الكلمات الملائمة، والكسندر بتركيزه على أن الفن اكتشاف إنما أراد تأكيد فاعلية المادة، وإبراز دور إمكاناتها التي تظهر أثناء فعل الإبداع، وأنها ليست مجرد أداة (اللغة في حالة الشعر - مثلا) لتحقيق غرض التوصيل كما فهم كروتشه، وإنما يظهر العمل الفني أثناء التنفيذ المادي الخارجي، أي أثناء بروز الصورة، وليس قبل ذلك.

ليس السرور والإحساس بالبهجة اللذان نعايشهما ونحن إزاء هذه اللوحة أو تلك سروراً بالبقع اللونية في حد ذاتها: بهائها ونصوعها وجاذبيتها الحسية، وإنما هو سرور بتحقيق معنى أرسله المصور من خلال أسلاك الألوان، وهمسنا لأنفسنا إنه يقصد كذا، كذا السرور الذي نعايشه ونحن إزاء قصيدة ليس سرورا بجرس الألفاظ أو رقتها، بل ليس سروراً من الاستعارة أو التشبيه ذاتيهما، وإنما هو سرور وبهجة من النظم أو الصورة أو قل طريقة السبك والصياغة.

نجد عند عبد القاهر الجرجاني أمثلة لهذا فهو يذكر قول **ابن المعتز:**

سالتْ عليه شعابُ الحي حين دعا
أنصاره بوجوه كالدنانير

ويوضح أن الاستعارة في البيت على لطفها وغرابتها، إنما تم لها الحسن وانتهى الى حيث انتهى، بما توخى في وضع الكلام من التقديم والتأخير. وإن شككت فاعمد إلى الجارين والظرف فأزل كلا منهما عن الموضع الذي وضعه الشاعر فيه، فقل: سالت شعاب الحي بوجوه كالدنانير عليه حين دعا أنصاره، ثم انظر كيف يكون الحال وكيف يذهب الحسن والحلاوة.. وكيف تذهب النشوة التى كنت تجدها.

ويعرض عبد القاهر لقول المتنبي:

وقيدتُ نفسي في ذراك محبة
ومن وجد الإحسان قيداً تقيدا

فيذكر أن الاستعارة الواردة في أصلها مبتذلة معروفة، فأنت ترى العامي يقول: قيدني - فلان - بكثرة إحسانه إليَّ وجميل فعله معي، حتى صارت نفسي لا تطاوعنى على الخروج من عنده، وإنما كان ما ترى من الحسن بالمسلك الذي فيه سُلك النظم والتأليف[٨].

ومن مجال الإعجاز - القرآن الكريم - يتوقف أمام قوله تعالى: واشتعل الرأسُ شيبا فيذكرنا بأن أصل الاشتعال إنما هو للشيب، إنما قُدم الرأس وتأخر الشيب وجيء به منصوباً، لتتحقق دلالة الشمول أي شمول الشيب للرأس كلها، فالاستعارة وحدها أو بذاتها ليست موضع قوة المعنى، وإنما هو التقديم والتأخير، أو بتعبير أعم: النظم، وهو ما يشبه قوله تعالى: **{وفجرنا الأرض عيوناً}**.

الدلالة العادية والدلالة الجمالية:

يدخل في إطار موضوع الصورة، وكون العمل الفني أساساً صورة: تفرقة علماء الجمال ومفكريه بين الدلالة الجمالية والمعنى التعريفي أو الإشاري ونحن نجد هذه التفرقة عند عبد القاهر الجرجاني، إذ يفرق بين المعنى والغرض في قوله: (لا يغرنك قول الناس: قد أتى المعنى بعينه، وأخذ معنى كلامه - أى معنى كلام شاعر آخر مثلا - فأداه على وجهه، فإنه تسامح منهم، والمراد أنه قد أدى الغرض، فأما أن يؤدى المعنى بعينه على الوجه الذي يكون عليه في كلام الأول حتى لا تعقل ها هنا إلا ما عقلته هناك.. ففي غاية الإحالة ظن يفضي بصاحبه إلى جهالة عظيمة.. ذلك أن ليس كلامنا فيما يفهم من لفظتين مفردتين نحو: قعد وجلس، ولكن فيما فهم من مجموع ومجموع كلام آخر، نحو أن ننظر في قوله تعالى: {ولكم في القصاص حياة} وقول الناس: قتل البعض إحياء للجميع، وإن كان قد جرت عادة الناس بأن يقولوا في مثل هذا إنهما عبارتان معبرهما واحد، فليس هذا القولُ قولا يمكن الأخذ بظاهره أو يقع لعاقل شك أن ليس المفهوم من أحد الكلامين المفهوم من الآخر)[٩].

كذلك نجد في أحد طرائق إيضاح عبد القاهر لفكرة النظم ما يذكرنا بتفرقة علماء الانجليز بين (الشكل) و(الصورة)، فمجرد التجميع والاتساق لا يؤدى إلا إلى مجرد شكل، أما الصورة في الفن فتعنى بروز معنى مقصود من بين أجزاء العناصر المادية للعمل الفني، معنى يوجه الفنان كل طاقاته لإبرازه حسيا، أقصد من ثنايا المعطيات المحسوسة نفسها، كذلك نجد في النص التالي لعبد القاهر ما يفيد التفرقة بين الفن والصنعة:

(من الكلام ما ليس سبيله إلا ضم بعضه إلى بعض، كمن عمد إلى لآلىء، فخرطها في سلك، لا يبغي أكثر من أن يمنعها التفرق وكمن نضد أشياء بعضها على بعض لا يبغى لنضده ذلك أن تجيء له منه هيئة أو صورة، بل ليس إلا أن تكون مجموعة في رأى العين وذلك إذا كان هناك معنى لا يحتاج أن تصنع فيه شيئاً، غير أن تعطف لفظاً على لفظ، مثله كقول الجاحظ: جنبك الله الشبهة، وعصمك من الحيرة وجعل بينك وبين المعرفة نسبا، وبين الصدق سبباً.. انه مجرد (شكل)، أو (النظم الذى معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق)[١٠].

فالكلام المجمعُ مجرد تجميع المنسق مجرد تنسيق: هو الكلام الخالي من الصورة، والمنفلت في الوقت نفسه من المعنى الخاص الفني الجميل.

الحكم الجمالي ذاتي - موضوعي:

الفن الجميل يحتاج إلى تذوق جمالي، وكلمة استطيقا التى صارت دالة على علم الجمال تعني أصلا الإحساس الدقيق الرقيق وخصصت عند «باو مجارتن»

للإحساس الجمالي ثم أطلقت فصارت اسماً لكلتا العمليتين: الخلق الفني والإحساس الجمالي سواء جمال الطبيعة أو جمال الأعمال الفنية.

وليس المتذوقون سواء، فنهض القول بذاتية الحكم أو التقدير الجمالي، أي أنه ذاتي تماماً، لكن الرأي الصحيح هو أن الحكم الجمالي ذاتي - موضوعي، ذاتي لأنه يعتمد على ذوق الشخص الذي يتوقف، ويتأمل، فيستشعر ويحس. وموضوعي لأن ثمة صورة أو نظما يجهد الفنان نفسه في تصميمها وإخراجها، ولولاها لما كان ثمة ذاتية ولا تذوق.

يشير عبد القاهر إلى دقة الحكم الجمالي: إذ يرى أننا في مجال النظم نكون (في أمور تدرك بالفكر اللطيفة، ودقائق يوصل إليها بثاقب الفهم، فليس درك صواب دركا فيما نحن فيه، حتى يشرف موضعه، ويصعب الوصول إليه).

ليس الأمر في تذوق المعنى المنبثق المتفجر الصاعد من ثنايا صورة أمر إدراك مباشر كإدراك الصواب أو الحق العلمي أو الرياضي وإنما هو إدراك من نوع خاص ما دام الابتعاد عن المباشرة سمة أساسية للانشاء الفني.

وفي موضع آخر يشير عبد القاهر إلى دور الناقد فيصف سمات المتذوق الأصيل، فالمعاني التى يعالجها الأديب (أمورٌ خفية، ومعان روحانية، أنت لا تستطيع أن تنبه السامع لها وتحدث له علماً بها، حتى يكون مهيأ لإدراكها، وتكون فيه طبيعة قابلة لها، ويكون له ذوق وقريحة يجد لهما في نفسه إحساساً بأن من شأن هذه الوجوه والفروق أن تعرض فيها المزية على الجملة[١١].

ليس عبد القاهر وحده هو من عني بمفهوم الصورة وبروز المعنى من خلالها في العمل الفني، وإنما نجد ذلك لدى الجاحظ، وإن كان بصورة ضمنية غير بارزة بألفاظنا وتعبيراتنا، يذكر الجاحظ: أن الشيخ أبا عمرو الشيباني كان يستحسن المعاني، وقد بلغ من استجادته لهذين البيتين:

لا تحسبنَّ الموت موت البلى
إنما الموتُ سؤال الرجال
كلاهما موتٌ ولكن ذا
أشدُّ من ذاك على كل حال

أنه كلف رجلا - ونحن في المسجد الجامع - حتى أحضره قرطاساً ودواة حتى كتبهما.

ويعلق الجاحظ بقوله (المعانى مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك). المعاني المطروحة في الطريق هي تلك المعانى العادية السابقة على (جودة السبك) أو قل الموجودة في الخارج قبل براعة التصوير وحسن النظم، فإذا أخذها شاعر وقدمها كما هي لم يضف إلا الوزن، كان جديراً بأن تحكم عليه حكم الجاحظ على البيتين المذكورين، قال عنه: وأنا أزعم أن صاحب البيتين لا يقول شعراً أبداً.

الهوامش:

(١) صمويل الكسندر (الجمال وأشكال أخرى للقيمة) ص ٨ - ١٠.

(٢) أبو حيان التوحيدى: (المقابسات) تحقيق السندوبي ص ١١٧.

(٣) د. عز الدين إسماعيل: (قراءة جديدة لتراثنا النقدي)١/٤٣٥ - ٤٣٦.

(٤) جان بول سارتر (مواقف - ما هو الأدب).

(٥) ديوان البحتري. تحقيق حسن كامل الصيرفي، المجلد الرابع ص ٢٠٩٠، دار المعارف.

(٦) الجاحظ - الحيوان ٣/١٣١.

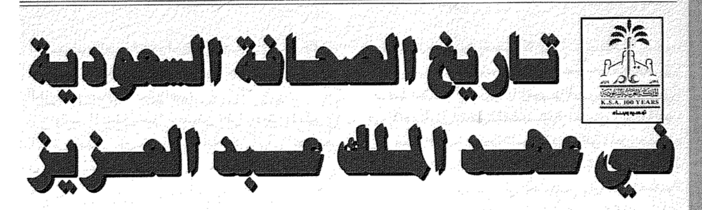
(٧) صمويل الكسندر: (مقالات فلسفية وأدبية) ص ٢٢٨، ٢٢٩ وكذلك الكسندر: الجمال وأشكال أخرى للقيمة ص ٢٣٥ - ٢٣٧.

(٨) عبد القاهر الجرجاني (دلائل الإعجاز) ص ١٣٨ - ١٤١.

(٩) عبد القاهر. مرجع سابق ص ٢٧١. وقد عرض مصطفى صادق الرافعى في كتابه (وحي القلم) الجزء الثالث ص ٣٩٧ - ٣٠٦ للتفرقة بين العبارتين وذكر نقاطا كثيرة يفرضها إعجاز النظم القرآنى على كل ذى حس دقيق، ولم يشر الرافعى في الموضع المذكور إلى عبد القاهر الجرجاني وتعرضه لنقد من يسوي بين قوله تعالى {ولكم في القصاص حياة} وقول بعض الناس (قتل البعض إحياء للجميع) فلعله توارد خواطر.

(١٠) عبد القاهر - مرجع سابق ص ٩٨.

(١١) مرجع سابق ص ٤٩٩.



تاريخ الصحافة السعودية في عهد الملك عبد العزيز

** الصحافة السعودية منذ نشأتها كان لها دورها الفاعل المشهود في رصد حركة التنمية في المجتمع السعودي، من كل جوانبها ومعطياتها..

وهذه الدراسة الموثقة لـ (تاريخ الصحافة السعودية في عهد الملك عبد العزيز) تُسجل وتُدَوِّن لتاريخ هذه الصحافة ودورها في دفع حركة التنمية.

الصحف السعودية في عهد الملك عبد العزيز:

إن مفهوم الصحافة Journalism يجمع بين الصحيفة Newspaper (Journal) والمجلة Magazine (Review)، ولذلك هناك قواسم مشتركة بين الصحيفة والمجلة، فالصحيفة والمجلة هما دوريتان أو مطبوعتان تصدران عن مؤسسة أو شركة أو أفراد بهدف الأخبار والنشر، ولكن ما يميز الصحيفة عن المجلة هو أن الصحيفة تتابع الأخبار ثم تعلق عليها، أما المجلة فإنها تهتم بالتعليق أكثر من اهتمامها بالأخبار[١].

الصحيفة (الجريدة) هي مطبوعة دورية، غالباً يومية، تتضمن مواد تدور وتتعلق أساساً بالوقائع والأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والرياضية.. الخ، وتتضمن الصفحة الواحدة عدداً من الأعمدة[٢].

ويعرّف المعجم الوسيط الجريدة بأنها: «صحيفة يومية تنشر أخباراً ومقالات» وهي إضمامة (مجموعة) من الصفحات تصدر يومياً أو في مواعيد منتظمة بأخبار السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة، وما يتصل بذلك».

ولقد شهدت منطقة الحجاز (منطقة مكة المكرمة) قبل العهد السعودي الزاهر صدور عدد من الصحف في العهدين العثماني والهاشمي، ومعظم هذه الصحف لم يكتب لها البقاء طويلا بسبب ظروفها المالية، ففي العهد العثماني صدرت في غضون ثلاثة أعوام ١٣٢٦ - ١٣٢٨هـ، في كل من مكة المكرمة ثم جدة فالمدينة المنورة ما يربو على الخمس صحف هي «**حجاز**» وهي أول مطبوعة تصدر في الحجاز، «**شمس الحقيقة**»، «**الإصلاح**»، «**صفاء الحجاز**»، «**المدينة المنورة**».

وفي العهد الهاشمي صدرت أربع مطبوعات في مقدمتها جريدة «القبلة» التي كان يصدرها ويشارك في تحريرها الشريف حسين بن علي، ثم مجلة «جرول الزراعية»، و«الفلاح»، و«بريد الحجاز». ولقد استمرت «القبلة» نحو تسع سنوات[٣]، وتوقفت بعد دخول الملك عبد العزيز طيب الله ثراه إلى مكة المكرمة. وهكذا، فلقد بدأ تاريخ الصحافة في المملكة العربية السعودية من مكة المكرمة في عام ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م ثم مدينة جدة فالمدينة المنورة، وظلت الصحف تصدر من هذه المدن الثلاث لفترة تزيد عن الأربعين عاماً، وبعد هذه الفترة الطويلة بدأت المدن الأخرى - كما سنرى - تصدر الصحف والمجلات.

وفي يوم ٧ جمادى الأولى ١٣٤٣هـ الموافق ٤ كانون الأول ديسمبر ١٩٢٤م دخل الملك عبد العزيز مكة المكرمة معتمراً. وبعد أن بايعه أهالي مكة ملكاً شرعياً على الحجاز أمر بإصدار أول صحيفة سعودية حكومية باسم: **(أم القرى)**[٤].

وصدر العدد الأول من أم القرى في يوم الجمعة ١٥



بقلم :
د. أمين ساعاتي - جدة



جمادى الأولى ١٣٤٣هـ الموافق ١٢ ديسمبر ١٩٢٤م وشعارها منذ صدورها حتى الآن - الآية الكريمة {وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها}. وكان المدير المسئول عن الجريدة الشيخ يوسف ياسين، وبقي اسم الشيخ يوسف ياسين مديراً للجريدة حتى ١١ صفر ١٣٤٥هـ/ ٢٠ أغسطس ١٩٢٦م، ثم حل محله الأستاذ رشدي ملحس، وكان الشيخ يوسف ياسين يتولى رئاسة الشعبة السياسية التي أصبحت فيما بعد قسماً من أقسام وزارة الخارجية وكان قلم المطبوعات والنشر من مسئولية وزارة الخارجية قبل قيام المديرية العامة للصحافة والنشر، ثم تولى تحريرها الأستاذ محمد سعيد عبد المقصود[٥] مدير مطبعة الحكومة ومدير إدارة الجريدة، وفي عام ١٣٥٥هـ تولى رئاسة تحريرها الأستاذ فؤاد شاكر، ثم أسندت رئاسة تحرير أم القرى للأستاذ عبد القدوس الأنصاري وذلك في ربيع الأول عام ١٣٥٩هـ، وفي عهده صدر أمر سمو نائب جلالة الملك الأمير فيصل (الملك فيصل) بإلحاق رئاسة تحرير أم القرى بديوان سموه إدارياً وتحريريا، ثم عيّن الأستاذ أحمد ملائكة مشرفاً على جريدة أم القرى ثم عهد للسيد هاشم يوسف الزواوي بالإشراف عليها، وتولى محمد خليفة شعبان تحرير أم القرى بالوكالة ثم عهد بتحريرها للأستاذ الطيب الساسي[٦].

وحينما أنشئت المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر في عام ١٣٧٤هـ - ١٩٥٣م تولت المديرية الإشراف على أم القرى حيث كلفت الأستاذ هاشم عزوز بالإشراف على تحرير أم القرى وما زالت تحت إشراف وزارة الإعلام[٧]، حتى تم تعيين الأستاذ فائق أحمد جمال حريري لرئاسة التحرير.

ولقد بدأت أم القرى حكومية متخصصة فكانت في البداية تهتم بنشر الأخبار الرسمية للدولة من خطابات ملكية وبيانات وأوامر ملكية ومراسيم ومعاهدات وإعلانات وتعيينات، وافتتاحياتها تعبر عن سياسة الدولة مع نشر بعض الأخبار العالمية والاخبار المحلية.

ومنذ بداية عام ١٣٥٤هـ - ١٩٣٤م اهتمت بالنواحي الأدبية والاجتماعية والنقدية مع التوسع في نشر الأخبار الخارجية والداخلية، وفتحت صدرها للمفكرين والناقدين من الأدباء والشعراء، وكانت تنافس صوت الحجاز فيما تنشره من علم وأدب وشعر ونقد[٨].

وصدرت أم القرى في أربع صفحات على الحجم الكبير وفي ثماني صفحات على الحجم الصغير. وعندما اندلعت نار الحرب العالمية الثانية وقل الورق في المملكة صدرت أم القرى في صفحتين فقط وكان ذلك بموجب البلاغ الرسمي الصادر من قلم المطبوعات في ٢٤ جمادى الآخرة ١٣٦٠هـ - ١٨ يوليه ١٩٤١م بتوقيف جميع الصحف في المملكة ما عدا أم القرى التى كانت تصدر في صفحتين فقط بنصف حجمها، ثم توقفت بغياب الورق من سوق الورق السعودي.

وحينما علم جلالة المغفور له الملك عبد العزيز يرحمه الله بذلك أمر معالي الشيخ عبد الله السليمان يرحمه الله

وزير المالية آنذاك بسرعة إحضار ورق للجريدة من بعض البلدان العربية المجاورة، ووصل الورق وصدرت الجريدة على ورق ابيض صقيل وحجم صغير[٩].

ولقد كان الإشتراك في العدد الواحد من جريدة أم القرى بنصف جنيه استرليني للسنة الكاملة، وثلاثة أرباع الجنيه في الخارج، وسعر البيع في السوق قرشاً واحداً، ثم خفض الإشتراك من العدد الثالث إلى ربع جنيه، وتحول الاشتراك من الجنيه الاسترليني إلى (المجيدي) العثماني اعتباراً من ١٥ رجب ١٣٤٤هـ، حيث أصبح الاشتراك (٣) مجيدي عثماني في الداخل و(٦) مجيدي عثماني في الخارج وقرشاً واحداً ثمن البيع في السوق ثم تحول الإشتراك إلى الريال السعودي اعتباراً من عام ١٣٥٩هـ ـ ١٩٤١م فأصبح (٣) ريالات سعودية في الداخل، و(٧) ريالات سعودية في الخارج[١٠] ثم زاد الاشتراك السنوي في عام ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م الى (١٠٠) ريال وسعر النسخة (٢) ريال.

ولقد بدأت أم القرى طباعة (٨٠٠) نسخة أسبوعياً، ثم قفز العدد الى (١٥٠٠) نسخة بعد عام من صدورها، ولكن تراجعت الكمية المطبوعة الى (١٢٠٠) نسخة بعد أن صدرت صوت الحجاز في عام ١٣٥٠هـ لتنافس أم القرى، ثم عاد العدد وقفز الى (٢٠٠٠) نسخة، وتطبع أم القرى في عام ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م كمية تصل إلى (٥٠٠٠) نسخة يوميا[١١].

وواضح من دراستنا لصحيفة أم القرى أنها كانت ومازالت مصدراً يحمل في صفحاته الخطوط العريضة لتاريخ التطورات السياسية والاجتماعية والثقافية في المملكة العربية السعودية ذلك لأنها كانت وعاءاً وحيداً يرصد تطورات مجتمع المملكة العربية السعودية الذي كان في ظل حكومة الملك عبد العزيز يرحمه الله يعاد تشكيله باتجاه الوحدة والتقدم والبناء.

ويمكننا ـ في ضوء ما سبق ـ أن نجمل دور صحافة أم القرى في المحاور التالية:

١ ـ تعتبر صحيفة أم القرى الجريدة الرسمية للحكومة، ونشرت بها جميع الأوامر والمراسيم الملكية، وكذلك الأنظمة التي تصدر عن الحكومة.

٢ ـ تعتبر إحدى المراجع الهامة في دراسة تاريخ المملكة العربية السعودية السياسي والثقافي والاقتصادي.

٣ ـ تعتبر أم القرى لسان حال الحكومة ـ قبل الإذاعة والتلفزيون ـ تجاه المجتمع المحلي والمجتمع الدولي.

٤ ـ تعتبر الأساس الأول الذي بنى العلاقة بين المليك المفدى وشعبه المخلص بالبيعة الشرعية، وكذلك تعتبر أم القرى الأرضية المشتركة لبناء علاقات المجتمع السعودي الموحد تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله.

٥ ـ شهدت مرحلة صحافة أم القرى صدور أول نظام للمطابع والمطبوعات، أي أن أم القرى شهدت أولى مراحل أنظمة الإعلام السعودي.

٦ ـ تعتبر ورشة العمل الأولى التي تم فيها تدريب الكوادر السعودية على العمل الصحفي.

٧ ـ وضعت أسس قيام النهضة الأدبية ـ شعراً ونثراً ـ في المملكة العربية السعودية[١٢].

صوت الحجاز:



صدرت صوت الحجاز من مكة المكرمة يوم الأثنين ٢٧ ذي القعدة ١٣٥٠هـ ـ ١٤ ابريل ١٩٣٢م، وهي أول جريدة صدرت في ظل الامتيازات الفردية أو ما يعرف باسم صحافة الأفراد، وأصدرها الشيخ محمد صالح نصيف[١٣]، ولقد صدرت في البداية اسبوعياً في يوم الاثنين من كل أسبوع، ثم صدرت مرتين في الأسبوع يومي الأحد والأربعاء اعتباراً من ٢ ذي الحجة ١٣٥٧هـ ـ ٢٥ يناير ١٩٣٩م، وصدرت صوت الحجاز في ثمان صفحات من الحجم الصغير، ثم صدرت في أربع صفحات بحجم كبير.

ومما جاء في افتتاحية صوت الحجاز:

لذلك كله يدفعنا الواجب الوطني المقدس إلى أن نرفع صوتنا بهذه الصحيفة جهورياً، كي نحدث العالم عن حياتنا.. وعن حياة بلادنا، ولنعرض على بساط البحث آلامنا وآمالنا لنستأصل جذور الأولى ونتعهد غراس الأخرى حتى تثمر لنا ثمراً جنياً من السعادة، ولننقي أيضاً ما تلصقه بنا المزاعم، ونثبت للناس أننا أمة مازالت دماؤها زكية، ونفوسها شريفة وخصالها كريمة، وأن بلادنا كما شرفها الله بمركزها الديني كذلك شرفها طيلة الأعصر الخالية والحاضرة باستقلالها وطهارتها من

كل شوائب الاستعباد والاستعمار، وأن تلك الشعلة التي برزت من جبالها وصحاريها وسهولها فأضاءت العالم ما يزيد عن خمسة قرون متواليات لا تزال جمراتها كامنه، ولسوف تعود إن شاء الله أشد ما كانت ضواءاً وإشعاعا[١٤].

وكان لصدور صوت الحجاز دور هام في تاريخ الصحافة والأدب السعودي، فقد كانت ميداناً لنشر آراء الأدباء والمفكرين والنقاد، وقد ظهرت على مسرح صوت الحجاز مواهب وكفاءات أدبية وفكرية كان لها الأثر الكبير في تطوير حركة الأدب والشعر السعودي. وتوقفت صوت الحجاز بسبب أزمة الورق أثناء الحرب العالمية الثانية، واستأنفت صدورها بعد الحرب العالمية الثانية في ١/٤/١٣٦٥هـ.

ولقد كان الإشتراك السنوي عند صدور صوت الحجاز (٤) ريالات في الحجاز ونجد، ونصف جنيه استرليني في سائر الأقطار ثم خفضت قيمة الاشتراك إلى (٣) ريالات من ١٧ ذي الحجة ١٣٥٢هـ - ٢ ابريل ١٩٣٤م وتباع النسخة الواحدة في الأسواق بقرش واحد. وبعد أن أصبحت تصدر مرتين في الأسبوع في عام ١٣٥٧هـ ارتفعت قيمة الاشتراك السنوي الى (٥) ريالات في الداخل، و(٩) ريالات في الخارج، وارتفع بدل الاشتراك الى (٢٠) ريالا في الداخل و(٣٠) ريالا في الخارج بصدورها ثلاث مرات في الاسبوع، وتباع في السوق بمبلغ (٣) قروش، وبعد أن أصبحت يومية زاد الاشتراك الى (٤٠) ريالا في الداخل، و(٦٠) ريالا في الخارج، ثم ارتفع الاشتراك الى (٨٠) ريالا داخل المملكة وإضافة أجرة البريد للخارج وذلك في عام ١٣٧٨هـ بعد دمجها مع «عرفات» و«الأضواء»، وصدورها باسم «البلاد»، ثم خفض إلى (٤٠) ريالا في الداخل مع إضافة أجرة البريد للخارج. وبعد صدورها عن مؤسسة البلاد للصحافة في عام ١٣٨٣هـ أصبح الاشتراك بـ (٦٠) ريالا في الداخل مع اضافة أجرة البريد في الخارج وقيمة العدد (٤) قروش في الأسواق. وفي عام ١٣٨٨هـ زادت قيمة الاشتراك فأصبح (٩٠) ريالا في الداخل وفي الخارج تضاف أجرة البريد وقيمة العدد (٦) قروش، أما في عام ١٤١٩ - ١٩٩٨م وصل الاشتراك إلى (٦٠٠) ريال سنوياً و(٨٠) ريالا للخارج وسعر بيع النسخة في السوق السعودي (٢) ريال سعودي.

كانت صوت الحجاز تهتم بالأدب والشعر أكثر من اهتمامها بالخبر المحلي، والخبر الخارجي، على أن الخبر المحلي على قلته كان يطغى على الخبر الخارجي. ويرجع قلة وجود الخبر الخارجي في صوت الحجاز الى عدة عوامل منها صعوبة الاتصالات والمواصلات، وضعف الإتصال بالعالم الخارجي بالوسائل السريعة التي تهيأت الآن ثم عدم استطاعتها الاشتراك في وكالات الأنباء، والتوسع في تعيين مراسلين لها في بقية المدن السعودية وفي العواصم العربية والعالمية، لأن ذلك يتطلب نفقات كبيرة قد لا تتحملها إمكانيات الجريدة. كما كانت تهتم بالشئون الرياضية ولعبة كرة القدم فتنشر تعليقاً لما يجري من مباريات رياضية ونقد الناقدين الرياضيين وتنقل أخبار الأندية الرياضية ومبارياتها، ولم تكن هناك مسابقات رياضية منظمة كما هو اليوم وكانت تجري هذه المباريات في فترات قريبة أو بعيدة خلال السنة[١٥] وكان اهتمام صوت الحجاز بالشعر كبيراً فلا يكاد يصدر عدد من أعدادها إلا وفيه قصيدة أو اثنتين لشعراء سعوديين. غير أن الكثير من المقالات التي كانت تنشر لم تكن موقعة بالتوقيع الصريح للكاتب بل كثيراً ما كان يرمز إليها بالأحرف أو بأسماء مستعارة ، فمثلا كان الاستاذ حمزة شحاته يستخدم رمز هول الليل، وكان الأستاذ محمد حسن عواد يستخدم رمز المنتج الفسيح، والأستاذ محمد عمر توفيق يستخدم رمز (راصد) والأستاذ محمد حسن فقي (ابن جلا)، والشيخ محمود شويل (الصحفي العجوز) و(أبي الأشبال)، ومحمد سعيد عبد المقصود (الغربال).

وكان أول من تولى رئاسة تحرير «صوت الحجاز» الأستاذ عبد الوهاب إبراهيم آشي[١٦] ولم تطل مدة رئاسته للتحرير بل بقي فيها حوالي ثلاثة شهور، ثم تولى الشيخ محمد صالح نصيف صاحب امتياز الجريدة مديرية التحرير، وكان يقوم بمساعدته في التحرير الأستاذ السيد محمد حسن فقي، وفي ٨ رمضان ١٣٥٢هـ عيّن السيد حسن كتبي رئيساً للتحرير، ثم تولى الشيخ محمد صالح نصيف مرة ثانية رئاسة التحرير فأصبح (صاحب امتياز الجريدة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول) ثم تعاقب على رئاسة تحرير «صوت الحجاز» أحمد بن ابراهيم الغزاوي[١٧] ومحمد حسن فقي ومحمد سعيد العامودي ومحمد حسن عواد[١٨] وأحمد السباعي.

واعتباراً من ٢٧ شوال ١٣٥٢هـ ـ ١٣ فبراير ١٩٣٤م عيّن الأستاذ محمد علي رضا رئيساً للتحرير، ثم حل محله الأستاذ فؤاد شاكر، ثم أسندت رئاسة تحرير «صوت الحجاز» إلى الأستاذ احمد قنديل، وتولى كذلك رئاسة تحرير صوت الحجاز الأستاذ محمد علي مغربي، وبقي الأستاذ المغربي في رئاسة التحرير إلى أن توقفت الجريدة عن الصدور في عام ١٣٦٠هـ ـ ١٩٤١م، بأسباب الحرب العالمية الثانية ـ كما سبق أن أوضحنا ـ وهكذا بتاريخ ٢٧ جمادى الآخرة ١٣٦٠هـ انتهت الفترة الأولى من تاريخ «صوت الحجاز» التي دامت حوالي عشر سنوات.

وبالنسبة للصحافة الرياضية السعودية، فقد بدأت تاريخها من أم القرى، وكانت أم القرى تنشر أخباراً رياضية خاطفة للأندية والمباريات التي كانت تنظمها الفرق الرياضية. ولكن أم القرى ظلت تنشر أخباراً رياضية في السنوات الأولى من تاريخها ولم تهتم بنشر تعليق رياضي على المباريات، بل تركت هذه المهمة لصحيفة صوت الحجاز التي أعطت مباريات كرة القدم اهتماماً واسعاً، وأخذت تتابع أخبارها وتكتب عن منافساتها وتنشر تعليقات على مبارياتها.

ولقد كانت «صوت الحجاز» ميداناً للكثير من المعارك الأدبية والفكرية وكانت أرضاً خصبة للمساجلات بين مواهب الأدباء والشعراء. ولعل من أشهر المعارك الأدبية والشعرية في تاريخ صوت الحجاز.. هي المعركة التي نشبت شعراً بين الشاعر المفكر محمد حسن عواد والشاعر الفيلسوف حمزة شحاته، واستطاع هذان الشاعران المبدعان أن يتباريا بالقصائد ذات النفس الطويل، التي كانت كل واحدة تغطي صفحة كاملة، وكانت تلك القصائد تقدم ـ وربما لأول مرة ـ مستوى الشعر السعودي الذي ثبت من خلال العواد وشحاته أنه يضاهي الشعر في أي بلد عربي آخر.

ولقد اتسع حجم المعركة وتطاير الشرر الى البعض الآخر من مؤيدي العواد ومن مناصري حمزة شحاته، فانضم الى العواد الشاعران محمود عارف وعبد الحميد مشخص، كما انضم الي شحاته أحمد قنديل ومحمد علي مغربي. وكانت بالفعل معركة شعرية رأينا من خلالها عيون الشعر السعودي تتبارى لتقدم نفسها الى العالم العربي كقمم شعرية واعدة، لا تقل عن قصائد أحمد شوقي، وحافظ ابراهيم، وبدوي الجبل، وايليا أبو ماضي، التي تنشر في المجلات الأدبية في مصر وفي سوريا ولبنان والمهجر، ولكن المعركة لم تستمر فوق صفحات «صوت الحجاز» إذ ما لبثت أن أوقفت «صوت الحجاز» نشر هذه الحمم التي انحرفت فيما بعد لتطال العورات والمحارم.

ولقد كانت الكمية المطبوعة عند صدور «صوت الحجاز» في عام ١٣٥٠هـ لا تتعدى الألف نسخة، ولكن مع التوسع في نشر المعارك الأدبية والتعليق على المباريات الرياضية زيدت الكمية المطبوعة الى (٣٠٠٠) نسخة، ثم قفز العدد بعد تغيير اسم «صوت الحجاز» الى اسم «البلاد السعودية» الى (٥٠٠٠) نسخة، وتطبع البلاد في عام ١٤١٩هـ نحو (٢٥٠٠٠) نسخة يومياً.

البلاد السعودية:

بعد انتهاء الحرب الكونية الثانية، وبعد أن توقفت «صوت الحجاز» لمدة خمس سنوات، استأنفت صدورها باسم «البلاد السعودية» في ١ ربيع الآخر ١٣٦٥هـ / ٤ مارس ١٩٤٦م، بالعدد (٥٩٣) ويأتي هذا الاسم تعبيراً عن تغيير اسم البلاد الى المملكة العربية السعودية بدلا من المملكة الحجازية النجدية وملحقاتها[٢٠].

وتولى رئاسة تحرير البلاد السعودية في فترتها الثانية الأستاذ عبد الله عريف[٢١]، وقد تطورت البلاد السعودية في عهد الاستاذ عريف، وصدرت «البلاد السعودية» يومياً في ١ ربيع الآخر ١٣٧٣هـ ـ ٢٧ ديسمبر ١٩٥٢م مرتين في الأسبوع (الأحد والأربعاء) ثم ثلاث مرات (الأحد والثلاثاء والخميس) وقد بقي الأستاذ عريف في رئاسة تحرير «البلاد السعودية» حوالي عشر سنوات، واعتباراً من ٥ ربيع الآخر ١٣٧٥هـ الموافق ٢١ نوفمبر ١٩٥٥م، صدرت «البلاد السعودية» دون أن يذكر بها اسم رئيس التحرير، وكان يدير تحريرها الاستاذ محمد صالح جمال، وكان مشرفاً على التحرير والإدارة.

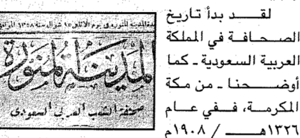
ومن غرة محرم ١٣٧٦هـ تولى رئاسة التحرير الأستاذ فؤاد شاكر، وفي عهده تم دمج «البلاد السعودية، وعرفات، والأضواء» في جريدة واحدة تحت اسم (البلاد) وتولى رئاسة تحرير «البلاد» كلٌ من الأستاذ فؤاد شاكر

عن الشركة العربية للطبع والنشر والأستاذ حسن عبد الحي قزاز صاحب «عرفات».

وفي عام ١٣٨١هـ عيّن الأستاذ حسن قزاز رئيساً للتحرير والأستاذ عبد الغني قستي مديراً للتحرير، والأستاذ حامد مطاوع مديراً للإدارة وبقي هذا الوضع إلى ٢٩ شوال ١٣٨٣هـ - ١٣ مارس ١٩٦٤م، حيث انتقل امتياز جريدة «البلاد» إلى مؤسسة البلاد الصحفية.

وبعد انتقال امتياز البلاد للمؤسسة انتخبت الجمعية العمومية للمؤسسة الاستاذ عبد المجيد شبكشي رئيساً لتحريرها كما اختير الاستاذ عبد الغني قستي مديراً للتحرير وفي غرة ذي القعدة ١٣٨٣هـ - ١٤ مارس ١٩٦٤م، صدرت جريدة «البلاد» جريدة يومياً في ٨ صفحات عن مؤسسة البلاد للصحافة.

جريدة المدينة المنورة:



لقد بدأ تاريخ الصحافة في المملكة العربية السعودية - كما أوضحنا - من مكة المكرمة، ففي عام ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م صدرت في مكة المكرمة في العهد العثماني جريدة «حجاز» ثم عرفت المدينة المنورة الصحافة في عام ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م، عندما صدرت جريدة «الحجاز» في آخر العهد العثماني.

ولقد صدرت جريدة «المدينة المنورة» في ٢٥ محرم ١٣٥٦هـ ٨ ابريل ٧ ١٩٣م، أسبوعياً وكان لصدورها صدى عميقا في الأوساط الأدبية والصحفية في المدينة المنورة، ثم صدرت مرتين في الأسبوع (الأثنين، والخميس) اعتباراً من غرة جمادى الآخرة ١٣٧٩هـ ثم صدرت يومياً عدا يوم السبت اعتباراً من ٢٠ جمادى الآخرة ١٣٨٢هـ، وذلك حينما نقلت طباعتها إلى مدينة جدة.

ولقد أصدر جريدة المدينة المنورة الأديبان الشقيقان علي وعثمان حافظ، بعد أن هيألها مطبعة مجهزة بالمستلزمات الطباعية اللازمة.

وجريدة «المدينة المنورة» أول صحيفة سعودية تدخل الصورة الفوتوغرافية في الصحافة السعودية فقد صدر العدد الأول متوجاً بصورة الملك عبد العزيز آل سعود طيب الله ثراه[٢٢].

ولقد كان السيد أمين مدني أول رئيس لتحرير جريدة المدينة، وكانت تشرف على التحرير هيئة مكونة من الأساتذة أمين مدني، ضياء الدين رجب، محمد حسين زيدان، علي حافظ، وكانت هذه الهيئة تجتمع كلما دعت الظروف لدراسة المواد الصحفية وتقرير ما ينشر وما يحفظ. وقد استمر السيد أمين مدني في رئاسة التحرير حتى ١٩ ربيع الآخر ١٣٥٦هـ - ٨ يوليه ١٩٣٧م، ثم حل محله الأستاذ عثمان حافظ كرئيس للتحرير وبذلك أصبح صاحب الجريدة ومحررها المسئول.

واعتباراً من ٢٧ رجب ١٣٨٢هـ - ٢٤ ديسمبر ١٩٦٢م أسندت رئاسة التحرير لمحمد بن علي حافظ ومديرية الإدارة لخالد حافظ، ويومذاك صدرت «المدينة» يومية ونقلت طباعتها لمطابع شركة الطباعة والصحافة بجدة، ثم أسندت رئاسة التحرير لهشام بن علي حافظ ومديرية التحرير لمحمد بن علي حافظ اعتباراً من ٤ صفر ١٣٨٣هـ - ٢٥ يونية ١٩٦٣م، وفي ١٠ شوال ١٣٨٣هـ - ٢٤ فبراير ١٩٦٤م أسندت رئاسة التحرير لمحمد بن علي حافظ مرة أخرى[٢٣].

وفي ظل مرحلة المؤسسات الصحفية انتخبت الجمعية العمومية محمد بن علي حافظ لتولي رئاسة التحرير، ثم أسندت رئاسة التحرير للأستاذ عبد الحميد عنبر في ٢٨ ربيع الآخر ١٣٨٤هـ، وبعد شهرين تنحى الأستاذ عنبر وعيّن الأستاذ عزيز ضياء مسئولا عن التحرير، ولم يمكث عزيز ضياء سوى أربعين يوماً. وفي محرم ١٣٨٥هـ أسندت رئاسة التحرير للأستاذ محمد عبد القادر علاقي، وفي جمادى الآخرة ١٣٨٦هـ اسندت رئاسة التحرير للمؤسس عثمان حافظ ثم تعاقب على رئاسة التحرير الأستاذ أحمد محمود، غالب حمزة أبو الفرج، عبد الله الحصين، جمال خاشقجي (بالإنابه)، أسامة السباعي، د. مازن عبد الرزاق بليلة.

ولقد بدأ سعر الاشتراك في جريدة المدينة بـ (٣) ريالات في الداخل ونصف جنيه استرليني في الخارج، وبعد أن عادت الصحف السعودية الى الصدور بعد الحرب الكونية الثانية أصبح الإشتراك بـ (٦) ريالات داخل المملكة وجنيهاً إسترلينياً خارج المملكة. وبعد صدورها مرتين في الأسبوع في عام ١٣٧٩هـ ارتفع

سعر الاشتراك إلى (٢٠) ريالا في الداخل و(٤٠) ريالا في الخارج، وحينما أصبحت الجريدة تصدر يومياً صار الاشتراك فيها بـ (٤٠) ريالا داخل المملكة وفي الخارج تضاف أجرة البريد. واستمر بدل الاشتراك (٤٠) ريالا وقيمة النسخة (٣) قروش حتى صدور جريدة المدينة عن مؤسسة المدينة للصحافة.

وفي اجتماع عقده المديرون العامون للمؤسسات الصحفية بجدة في ١٤ رجب ١٣٨٥هـ، قرروا رفع قيمة الاشتراك السنوي من أربعين ريالا الى ستين ريالا، وزيادة قيمة العدد/ النسخة (٣) قروش إلى (٤) قروش. كما قرر المديرون العامون في اجتماعهم في عام ١٣٨٨هـ رفع قيمة الاشتراك الى (٩٠) ريالا سنوياً في الداخل مع إضافة أجرة البريد في الخارج. وفي عام ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م بلغ الاشتراك السنوي (٤٥٠) ريالا عدى أجرة البريد كما أن سعر بيع الصحيفة في الأسواق وصل الى ريالين.

وكانت جريدة المدينة تطبع (٨٠٠) نسخة عند بداية صدورها في عام ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م، ولكن بعد انتهاء الحرب الكونية وعودة الصحف الى الصدور ارتفعت الاعداد المطبوعة إلى (١٠٠٠) نسخة لكل عدد، ثم قفز المطبوع بعد صدورها يومية من جدّة الى (٧٠٠٠) نسخة يومياً، وفي إحصائيات عام ١٤١٩هـ ١٩٩٨م تطبع المدينة (٢٧٠٠٠) نسخة يومياً.

(للدراسة صلة)

الصحف

م	اسم الصحيفة	مكان الاصدار	التاريخ	
			الهجري	الميلادي
١	أم القـــري	مكــة المكــرمة	١٣٤٣	١٩٢٤
٢	صـــوت الحجـــاز	مكــة المكــرمة	١٣٥٠	١٩٣٢
٣	المدينـــة المنـــورة	المدينـة المنـورة	١٣٥٦	١٩٣٧

المجـــلات

م	اسم المجلـــة	مكان الاصدار	التاريخ	
			الهجري	الميلادي
١	الاصــــلاح	مكــة المكــرمة	١٣٤٧	١٩٢٨
٢	المنهـــــل	المدينـة المنـورة	١٣٥٥	١٩٣٧
٣	النـــداء الإســـلامي	مكــة المكــرمة	١٣٥٦	١٩٣٧
٤	التضامن الإسلامي «الحج»	مكــة المكــرمة	١٣٦٦	١٩٤٧
٥	التجارة «الغرفة التجارية والصناعية»	جـــدة	١٣٦٧	١٩٤٨
٦	اليمـــامـــة	الريــــاض	١٣٧٢	١٩٤٨
٧	قـــافلـــة الزيـــت	الظهـــران	١٣٧٣	١٩٥٣
٨	الـــريـــاض	جـــدة	١٣٧٣	١٩٥٣

الهوامش:

(١) د. أديب خضور، مدخل إلى الصحافة نظرية وممارسة، دمشق: المكتبة الإعلامية، ١٩٩١م، ص١١.

(٢) د. هاشم عبده هاشم، الاتجاهات العددية والنوعية للدوريات السعودية، جدة: تهامة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص ١٩ - ٢١.

(٣) د. امين ساعاتي، السياسة الإعلامية في المملكة العربية السعودية بين النظرية والتطبيق، القاهرة: المركز السعودي للدراسات ١٩٩٢م، ص ٧٣.

(٤) د. أمين ساعاتي، الشورى في المملكة العربية السعودية، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ص ٦٣.

(٥) ولد الأستاذ محمد سعيد عبد المقصود بمكة المكرمة وتعلم بها، وألف مع الوزير عبد الله بلخير كتاب وحي الصحراء، وكان يوقع بعض مقالاته باسم «الغربال».

(٦) بمراجعتنا للكثير من اعداد ام القرى لاحظنا ان هناك بعض الاختلاف مع ما ذكره الأستاذ عثمان حافظ في كتابه (تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية)، وقد قمنا بالتصحيحات اللازمة.

(٧) د. بكري شيخ أمين، الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، بيروت: دار صادر ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م ص ١١٠ - ١١١.

(٨) عثمان حافظ، تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية، جدة: شركة المدينة للطباعة والنشر، بدون تاريخ ص ١١٥.

(٩) عثمان حافظ المرجع السابق، ص ١٢٠ - ١٢١.

(١٠) عثمان حافظ، المرجع السابق ص ١٢٢.

(١١) اخذت هذه المعلومات باتصال هاتفي مع إدارة الجريدة في ضحى يوم ٢١ جمادى الآخرة ١٤١٩هـ - ١١ اكتوبر ١٩٩٨م.

(١٢) د. منصور إبراهيم الحازمي، معجم المصادر الصحفية لدراسة الأدب والفكر في المملكة العربية السعودية (صحيفة أم القرى)، الرياض: جامعة الرياض، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ص ١٧ - ٢٠.

(١٣) كان عميداً لبيت نصيف أحد البيوتات العريقة في مدينة جدة، وكان رئيساً للبلدية، ثم مديراً للأوقاف، وكانت له اهتمامات صحفية واسعة.

(١٤) صوت الحجاز، العدد(١)، ٢٧ ذي القعدة ١٣٥٠هـ - ١٤ ابريل ١٩٣٢م.

(١٥) د. امين ساعاتي، الإعلام الرياضي في المملكة العربية السعودية، جدة: دار المدني، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص ١٢.

(١٦) ولد الاستاذ عبد الوهاب ابراهيم آشي بمكة المكرمة في عام ١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م، ودرس بمدارس الفلاح، وكان من ادباء الرعيل الأول وعمل في آخر حياته موظفاً بالبنك الأهلي التجاري بجدة.

(١٧) ولد الاستاذ احمد بن ابراهيم الغزاوي بمكة المكرمة في عام ١٣١٨هـ - ١٩٠٠م، ودرس بمدارسها واشتغل في عدة وظائف رفيعة حتى اصبح نائباً لرئيس مجلس الشورى، ونال لقب شاعر الملك (حسان جلالة الملك)، وله عدة مؤلفات شعرية، ورأس تحرير «أم القرى، والاصلاح، وصوت الحجاز»، وله انتاج نثري وشعري غزير نشره في مجلة المنهل.

(١٨) ولد الاستاذ محمد حسن عواد بمدينة جدة، وهو من أدباء الرعيل الأول البارزين شعراً ونثرا وله الكثير من المؤلفات منها خواطر مصرحة ونحو كيان جديد وآماس وأطلاس، وكان العواد أول من رأس نادي جدة الأدبي، واشتهر العواد بمعاركه الأدبية الواسعة التي كانت احدى المنازلات الفكرية الهامة في تاريخ الأدب السعودي، ومن معاركه الأدبية معركته مع الشاعر الكبير حمزة شحاته التي قفزت بتوزيع «صوت الحجاز»، ومعركته مع محمد حسين زيدان، وعبد الله بن ادريس، وعبد العزيز الربيع حول امارة الشاعر الكبير احمد شوقي.

(١٩) أم القرى، العدد (٦٥٥)، ١٦ ربيع الآخر ١٣٥٦هـ - ٢٥ يونية ١٩٣٧م.

(٢٠) صدر الأمر الملكي الكريم رقم ٢٧١٦ وتاريخ ١٧ جمادى الآخرة ١٣٥١هـ - ١٨ سبتمبر ١٩٣٢م، بتوحيد البلاد تحت اسم المملكة العربية السعودية، واعتبار اليوم الأول من الميزان يوماً لإعلان توحيد المملكة (اليوم الوطني).

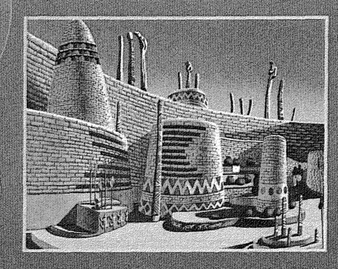
(٢١) ولد الاستاذ عبد الله عريف بمكة المكرمة وكان من أدباء الشباب الذين يمثلون مرحلة جديدة في تاريخ «صوت الحجاز»، وكان عموده اليومي «وجهة نظر» من المواد الصحفية التي شدت انتباه قراء «البلاد السعودية»، وقد تولى أمانة العاصمة بمكة المكرمة، كما رأس نادي الوحدة بمكة المكرمة.

(٢٢) قابلت الأستاذ عثمان حافظ مرات عديدة في مكتب جريدة المدينة بجدة بعد أن نقلت الصحيفة إلى جدة لتصدر يوميا، ولقد قصّ عليّ قصّة تأسيس جريدة المدينة بما لا يخالف كل ما ذكره في كتابه «تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية».

(٢٣) عثمان حافظ، مرجع سابق، ص ١٦٤ - ١٦٦.

مجلة السائح العدد (١١٣)

في البلدان والعمران ..
في التقاليد والأعراف
في تقاطيع وجوه الناس
السائح يستقري:
الملامح ويرسم اللوحة



زمبابوي القديمة

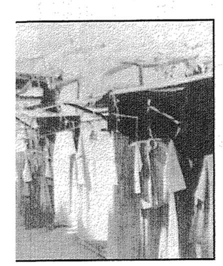


التنوع والجمال في سلوفاكيا

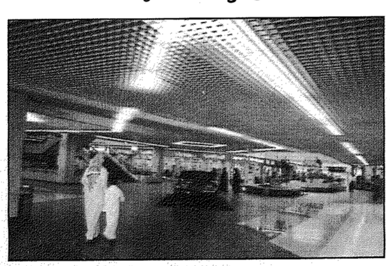
السائح

SAFAR, 1420 H -- MAY / JUN, 1999 C

أسواق المملكة بين جيلين


سوق بالرياض قبل ٤٣ عاما


كل شيء تحت سقف واحد


تسوق ومتعه

.. خليط من البشر والأنعام والبضائع، هكذا كان السوق في سالف الزمان.

أصوات الباعة وهم ينادون على بضائعهم. والبضاعة ذاتها ما تيسر من صناعات يدوية، وألبان وسمن، وأقمشة، وبعض أشياء أخرى، كلها على الأرض.

والماشية والاغنام والإبل تثير الغبار هنا وهناك ..

وجاءت النهضة الزاهرة لتغيّر لون الحياة وطعم الحياة، فكستها بهجة، وألبستها نضارة.

والتطور الذي شمل كل شيء في المملكة كان للأسواق نصيبها الأوفي.

الأسواق، لجمال تصميمها، وروعة معمارها، وحسن ترتيبها وتنظيمها، وما تضمه معارضها من كل صناعات العالم، أصبحت معلماً من معالم مدن المملكة.

والتسوق فيها تحول إلى متعة.

واحدة من اسواق الرياض الحديثة



سوق في الرياض وليست لوحة خيالية

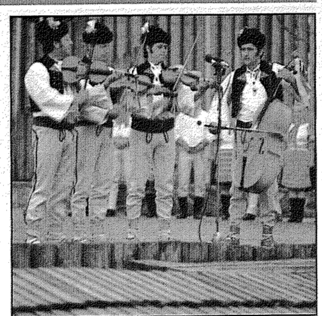


سوق الخميس بالاحساء

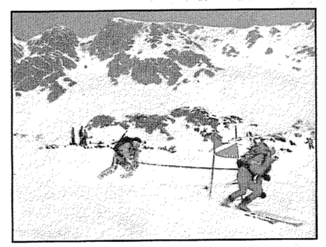
التنوع والجمال في سلوفاكيا

الحسان الرزاقي
- المغرب -

في وسط أوربا بجوار النمسا والجمهورية التشيكية وبولونيا وأوكرانيا والمجر تمتد بلاد تسمى بسلوفاكيا، وعلى مساحة ٤٤ الف كلم٢ يعيش حوالي ٥ر٥ ملايين من السكان من قوميات مختلفة، فبجانب السلوفاك (٨٦ في المائة) نجد أقليات عرقية من المجريين والألمان والأوكرانيين والروثينيين والبولنديين والتشيك والغجر.



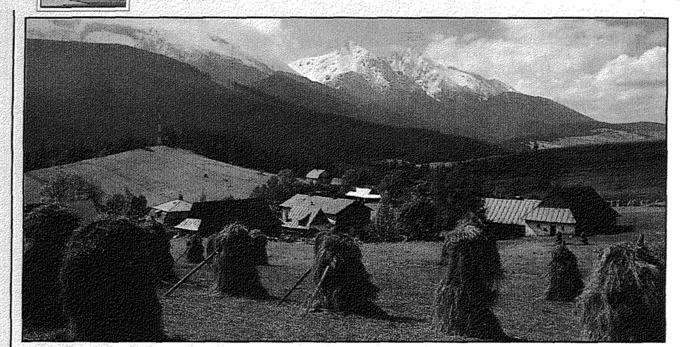
- فرقة موسيقية شعبية.



- التزلج على الجليد في جبال سلوفاكيا.

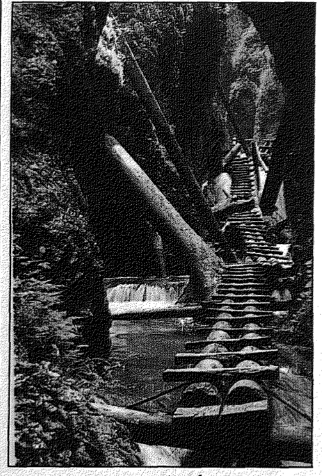
نبذة تاريخية:

بعد تفكيك المجريين لورافيا الكبرى وانضمام سلوفاكيا الى الامبراطورية المجرية في القرنين العاشر والثاني عشر الميلاديين اتخذ كل من التشيك والسلوفاك مسارين تاريخيين منفصلين، وشهد القرن الرابع عشر ازدهارا كبيرا للتعدين والفن الحرفي عززه تدفق العديد من المستوطنين الألمان الذين وجهوا مسار الحياة في براتيسلافا العاصمة وأسهموا في تطور فن البناء القوطي بها، وفي القرنين الخامس عشر والسادس عشر ابتليت البلاد بقلاقل اجتماعية عنيفة زاد من شراستها ظهور المذهب اللوثري لينضاف الصراع الديني الى أشكال الصراع الاخرى، وبعد سقوط مدينة موهاكس امتدت سيطرة آل هابسبورغ من المجر الى سلوفاكيا ولم يمنع ذلك المذهب البروتستانتي من

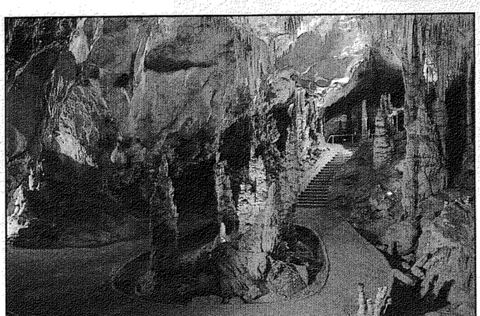


- الريف السلوفاكي وجمال الطبيعة.

الانتشار في المنطقة، أما القرن السابع عشر فهو قرن عودة الكاثوليكية انطلاقا من الجامعتين اليسوعيتين في ترنافا (١٦٣٦) وكوشيسي (١٦٥٧)، وكذلك الوقوف في وجه الأتراك والمجريين، وفي القرن الثامن عشر شهدت سلوفاكيا انتعاشا اقتصاديا تزامن مع استتباب السلام مما نتج عنه بروز الشعور القومي لدى السلوفاك، فقد أنشئتْ سنة ١٧٩٣ جمعية العلوم السلوفاكية التي أعلت من شأن الماضي السلافي للبلاد رغم المعارضة القوية للمجر، وأمام رفض الثورة المجرية لسنة ١٨٤٨ للمطالب السلوفاكية تحولت المشاعر الشعبية ضد المجريين، وحتى عام ١٨٦٠ خضعت البلاد للحكم المركزي النمساوي وانتعشت الآمال بالحصول على درجة ما من الحكم الذاتي لكن اتفاقية ١٨٦٧ أوقعت السلوفاك تحت نير بودابست، وكنتيجة لهذه الوضعية اتجهت الآمال صوب القوميين التشيك، وفي



- جسر خشبي على أحد الانهار.



- من كهوف سلوفاكيا.

سنة ١٩١٨ شكلت كل من بوهيميا وسلوفاكيا اتحادا بينهما فنشأت بذلك دولة: تشيكوسلوفاكيا، وبمساندة من المانيا النازية حصل جوزيف تيتو سنة ١٩٣٨ على حكم ذاتي لسلوفاكيا تميز بطابعه الفاشي فتحولت البلاد في السنة الموالية الى محمية ألمانية، ولم تتوحد سلوفاكيا مع التشيك مجددا إلا سنة ١٩٦٩ وهذه المرة تحت النظام الشيوعي، لكن انهيار حلف وارسو والكتلة الشرقية سمح للسلوفاك بالانفصال وتكوين دولتهم المستقلة سنة ١٩٩٣ سلميا ودون إراقة دماء.

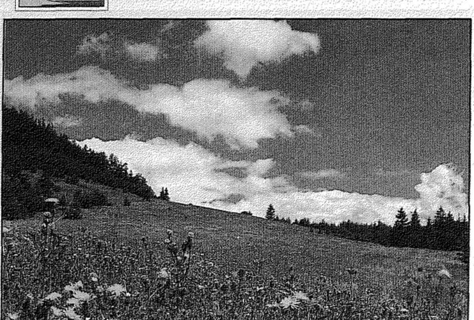
تنوع وجمال:

نتيجة لتنوع التضاريس في سلوفاكيا، توفر الطبيعة مجالا خصبا للسائح لاختيار مكانه المفضل حيث يمكنه تسلق الجبال الشاهقة أو التنزه في الغابات الدائمة الخضرة أو ارتياد الكهوف التي تزينها الصواعد والهوابط الكلسية أو الصخور الجليدية الناصعة كما تشتهر البلاد ايضا بعيونها المعدنية وينابيعها التي تقصد للتمتع بجمالها أو للاستشفاء.

أما محبو الرياضة فيمكنهم ممارسة رياضة التزلج على الجليد في جبال التاترا والفاترا وكذا في جبال كريمنيكي ڤرشي وروهاشي المكسوة بالثلوج على غرار عشرات الالوف من الرياضيين الذين يؤمونها كل سنة، كما تمكن الانهار الدائمة الجريان والبحيرات الهواة من ممارسة رياضات عديدة ومتنوعة كالسباحة وسباق القوارب والتزلج على الماء.

وينعكس غنى الطبيعة على الفلكلور السلوفاكي الذي يعتبر بمثابة فسيفساء لفرط غناه وتنوعه، فالأزياء التقليدية شديدة التنوع الى حد لا يصدق، وقس على ذلك المصنوعات الحرفية والقطع الفنية التي لا يخلو منها بيت من البيوت، وتعتبر الفنون الشعبية من موسيقى ورقص وتمثيل عامل جذب سياحي إضافي على قدر كبير من الاهمية، فسلوفاكيا من الدول التي تعيش في انسجام تام مع تراثها الشعبي بشكل بيِّن، فتناغم المبدع الشعبي مع الطبيعة في سعيه الدائب الى الجمال والكمال يدفعه إلى تحويل الطين والخشب والنسيج والقطن

والصوف الى آيات من الفن الرفيع، وبهذا تتميز الفنون الشعبية في هذه المنطقة من العالم بالبساطة والتنوع اللامحدود المستوحيين من الطبيعة المحلية ذاتها: فالجبال تتقابل مع الوديان والتلال تتجاور مع الغابات في تشكيل فني بديع، وتعتبر كل منطقة - بل كل قرية - عالما قائما بذاته هنا، فلكل جهة أزياؤها وهندستها المعمارية وأغانيها وعاداتها التي تميزها عن غيرها.

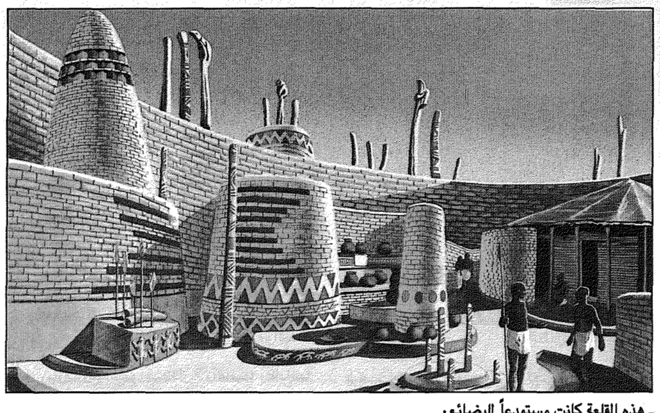


- الزهور الغناء والسماء الزرقاء

ويساهم كل هذا التنوع والغنى في ازدهار الثقافة السلوفاكية فالعاصمة براتيسلافا كمثال - زاخرة بالمعالم الثقافية والتاريخية العريقة وأهمها على الاطلاق قلعة براتيسلافا التي شهدت أحداثا تاريخية مهمة، فقد تم توسيعها وإعادة بنائها في القرن الخامس عشر وعبر العصور تم تخريبها وإعادة ترميمها مرات عديدة،، وفي سنة ١٨١١، اشتعلت النيران في القلعة فأحرقتها بالكامل وبقيت أطلالا خربة لما يزيد عن قرن ونصف قرن، وبعد ترميم كلف ميزانية ضخمة سنة ١٩٦٨ استعادت هذه المعلمة التاريخية رونقها وجمالها الأصيل لتصبح متحفا ورمزا لسلطة الدولة السلوفاكية، ولا تقل كاتدرائية سان مارتن شهرة عن قلعة براتيسلافا، فهي شاهد حي على عبق الماضي حيث شهدت رحابها تتويج الملوك المجريين الذين حكموا المنطقة لمدة طويلة.

وبجانب الكنائس الاخرى المتعددة ككنيسة الثالوث المقدس والكنيسة الاليزابيثية المبنيتين على طراز الباروك والمزينتين بالفريسكو، تعتبر بوابة ميكائيل البوابة الوحيدة التي مازالت على حالها من أصل أربع بوابات تستخدم كمداخل إلى المدينة عندما كانت التحصينات تحيط بكل ارجاء براتيسلافا.

أما مبنى البلدية القديم الذي يشرف على الساحة الرئيسية للمركز التاريخي للمدينة فهو من أقدم المباني الحجرية في براتيسلافا، ويشكل برج هذا المبنى الذى شيد أصلا لأغراض دفاعية جزءا من مبنى البلدية، ويشتمل هذا الموقع التاريخي اليوم على متحف يعرض مراحل من التاريخ التليد للمدينة.



ـ هذه القلعة كانت مستودعاً للبضائع.

زمبابوي القديمة ـ قلب إفريقيا الذهبي

عندما وصلت أخبار الاكتشاف المدهش في الجنوب الإفريقي إلى آذان الغربيين في سبعينيات القرن التاسع عشر، انتشر طوفان من التقارير عن أطلال قلعة ذات جدران هائلة وأبراج حجرية وقصور وتماثيل ومقابر، وفوق ذلك كميات غير محدودة من الذهب، وكل هذا في أرض كان الغربيون يعتبرون أن الحضارة فيها لم تتجاوز أكواخ الطين. وعلى هذا استمرت هذه المنطقة مركزاً لصورة مصغرة لحمى البحث عن الذهب التى حدثت في أمريكا، ومرّت عقود قبل أن يدرك الأثريون أنهم عثروا على حقيقة إفريقية ذات مغزى أكبر من مجرد الذهب، إنها المدينة القديمة لزمبابوي الكبرى.

مصطفى غنيم
ـ مصر ـ

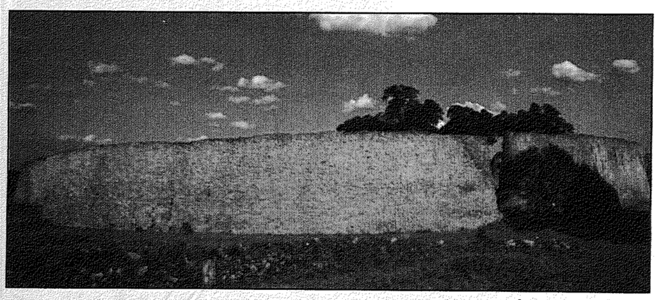
إن آثار هذه المدينة فريدة من نوعها، كما أن أصلها والغرض المحدد من إنشائها ظل لغزاً لأمد طويل؛ إنها سلسلة من الجدران الحجرية بنيت من كتل جرانيتية مستطيلة تغطي مساحة ١٧٨٠ فداناً، وتتنوع ألوان هذه الجدران بين الفاتح والداكن بأنماط عشوائية وحليات معمارية وممرات متعرجة وأبراج من الصخور الصلبة ذات أشكال قمعية ملغزة. والمدينة قلعة على ربوة تقع تحتها منطقة مسيّجة بيضاوية الشكل ومجموعة من أطلال المساكن، ولكن هذه المدينة ليس بها أى أثر للأشكال الهندسية، فهي تتعرج فوق الأرض فلا يوجد هناك مربع ولا دائرة، وعنصر عدم التماثل في البناء هذا هو ما يعطى هذه المدينة خصوصيتها المعمارية. وجدران القلعة تحتوى على فتحات علوية يمكن منها مراقبة الوادى الذى تطل عليه، ولكن هذه القلعة غير محمية من الجانب الآخر، وهناك كهف يشكل مكبر صوت طبيعي يوجه الصوت إلى أطلال الوادى وخاصة المنطقة المسيجة.

وهناك أبراج من الجرانيت الصلب يصل ارتفاع الواحد منها إلى عشرة أمتار، ولا يُرى أى أثر لمدخل في قمتها، وليس هناك دليل على أنها كانت ذات أسطح، الجدران هناك تبدأ وتنتهي بلا سبب معروف والممرات لا تؤدي إلى شيء، وباختصار: إنها لغز كبير لعلماء الآثار.

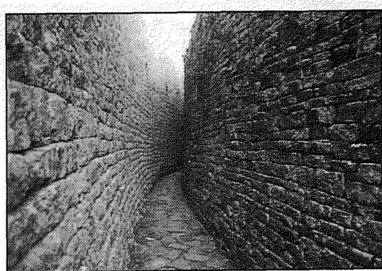
وأول ما افترضه الأوروبيون الذين شاهدوا هذه المدينة أنه لم يكن في مقدور شعب إفريقي أن يشيد هذه المدينة؛ فالمباني الحجرية لم يسمع بها الأفارقة الذين قابلهم هؤلاء الأوروبيون، كما أن سكان المنطقة أنصاف بدو لا يقضون في مكان واحد أكثر من سنوات قليلة يستهلكون فيها المراعى ثم يتحركون إلى مكان آخر، وبالتالى فالمنشآت الدائمة عديمة القيمة بالنسبة لهم.

ولكن الدارسين الأوائل لأطلال هذه المدينة صادفوا قليلا من المبانى الإفريقية التى بنيت بالحجارة وذلك لسبب وجيه وهو وجود حجارة مناسبة للبناء، فزمبابوي الكبرى كانت مغطاة ببروزات حجرية عبارة عن طبقات يتراوح سمكها بين ثمانية إلى ثمانية عشر سنتيمتراً، وبالتالى كان من الطبيعى للسكان أن يستخدموا هذه المادة المتاحة.

وهناك افتراض خاطيء آخر وهو أن رعي الماشية كان دائماً هو النشاط الإقتصادى الرئيسي لزمبابوي، ففي الواقع كانت هذه المنطقة مركزاً تجارياً في وقت كانت فيه أوروبا لا تزال على وشك الخروج من العصور



- جدران من الحجارة وأكواخ من الطين.



- ممر ضيق يفصل بين جدران القلعة.



- حليات معمارية قديمة.

قبل الميلاد عندما تعامل تجار الهند مع نظرائهم في بلاد الرافدين أيام السومريين، ولكن هذه الحركة التجارية وجدت دعما قوياً في القرن السابع الميلادي عندما ظهر الإسلام، وهو دين حضارى نشطت في ظله حركة التجارة ووصل التجار المسلمون إلى سواحل افريقيا الشرقية، وفي البداية لم يصلوا إلى أبعد من شمال مدغشقر ولكن في القرن العاشر الميلادى غامروا بالإبحار إلى كل مكان مجهول.

وكانت الأخبار التى أتى بها التجار المسلمون مشجعة، تتحدث عن أرض بعيدة يجد فيها الإنسان كل ما يريد، وسرعان ما أبحرت سفن عديدة إلى هذه الأماكن، ومن ثم ولدت زمبابوى الكبرى رغم أنها لم تكن مكاناً يسهل الوصول إليه، فهي تقع على ارتفاع يتراوح بين ٦٠٠ إلى ١٢٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر، والطريق إليها كان باستعمال الأنهار فقط وهذه الأنهار لا تمتلىء بالمياه إلا في مواسم المطر علاوة على أنها محاطة بمناطق تكثر فيها ذبابة التسي تسي التى تسبب مرض النوم، والبعوض الذى يسبب الملاريا، ولكن رغم ذلك كانت الرحلة إليها تستحق المغامرة، ففيها مساحات شاسعة ترعى فيها الماشية ورصيد وافر من المعادن مثل الحديد والنحاس والزنك علاوة على الذهب وبكميات كبيرة.

وبدأ سكان هذه المنطقة الذين كانوا بدواً فيما سبق يشاهدون مزايا الاستقرار، ولذلك بدأت منذ بداية القرن الحادى عشر الميلادي الجدران الحجرية في الظهور، هذه الجدران لم تكن جزءاً من المنازل التى كانت لا تزال تبنى من الطين ولكنها كانت تحيط بالمنشآت الحيوية مثل حظائر الماشية وصفوف المنازل وأماكن إقامة الشعائر الدينية، ففى منطقة انيانجا الجبلية مثلا نشأت مجموعة مدهشة من صفوف المنازل

المظلمة. ومثل هذا المجتمع التجارى كان في حاجة لمنشآت دائمة، وقبل وصول أول رجل أبيض إلى سواحل إفريقيا الشرقية كان التجار من الشرق الأوسط والهند واندونيسيا والصين في زيارات دائمة لها لمقايضة البضائع المصنعة بالمواد الخام؛ فقد كان الأفارقة يأخذون الأقمشة والخرز الملون في مقابل المعادن والعاج والرقيق.

ومن المعروف أن الطرق البحرية عبر المحيطات كان قد بدأ استعمالها لقرون خلت ربما منذ عام ٢٠٠٠

والقنوات والقلاع تغطى مساحة تزيد عن ٣٩٠ كيلومتراً مربعاً، استطاع مشيدوها أن يعيدوا ترتيب حوالي ٢٦٠ مليون طن من الأحجار بأيديهم. وقد اندهش كلفورد ادوارد وهو مهندس مناجم زار هذا الموقع عام ١٨٩٨م حيث لاحظ أن مستوى البناء قد تم بدقة تعادل الدقة التى تنجز بها المبانى التى تستخدم فيها أفضل الأدوات الحسابية.

ولقد اكتشفت آثار حجرية في زمبابوي وموزمبيق ومناطق واسعة من جنوب افريقيا، ورغم أن ما تمت معرفته عن سكان هذه المناطق شيء قليل، فقد تركوا سجلات تبين الشعوب التى تاجروا معها، فالرسوم الموجودة داخل كهف في جبال سوتبانسبرج تبين أربعة تجار من بلاد فارس بلحاهم المميزة وسراويلهم الواسعة وأغطية الرأس المدببة.

وحتى هذه الأيام هناك أشجار النخيل تنتشر على خط الساحل، هذه الأشجار نبتت من النوى الذى ألقى به التجار المسلمون منذ قرون وهم يأكلون التمر على هذا الساحل.

وكانت القلعة هي التى تتحكم في كل أنواع النشاط الإنتاجي في المدينة، ومن المحتمل أن زمبابوي الكبرى كانت مقراً ملكياً ومستودعاً للمنتجات حتى تأتى فترة المطر حيث تمتلىء الأنهار ويأتى التجار عن طريقها. ولكن من كان يحكم هذه المدينة الكبرى؟ - لا أحد يعرف، ولكن هؤلاء الحكام كانوا يعيشون في رفاهية كبيرة حيث كانوا يستعملون الأوانى المصنعة في الصين والمجوهرات القادمة من اندونيسيا والهند، والزجاج الملون من حلب، بل كانت لديهم معرفة بطريقة الحصول على الزنك النقى الذى لم يعرف سر تصنيعه في أوروبا حتى القرن الثامن عشر.

وفجأة توقف كل هذا، ربما بسبب عدو دمَّر هذه الحضارة وربما زاد عدد السكان فأنهك مصادر المنطقة وربما الجفاف أو المرض أو حرائق الغابات المجاورة. وفي عام ١٨١٨م تحرك شعب الزولو بأعداد هائلة إلى زمبابوي فدمروا قلعتها القديمة، وعندما وصل الأوروبيون كانت زمبابوي الكبرى تاريخاً لا يذكره سوى القليلون.

واليوم أصبحت حضارة زمبابوي الكبرى أكبر من مجرد لغز أثرى، إنها تجلب لزمبابوي المعاصرة أعداداً هائلة من السياح لزيارة هذه الآثار المدهشة.



- أنظمة قديمة لحماية القلعة.

- جدار ضخم لحماية المنشآت الملكية.

الاستخارة الشرعية

الإنسان في هذه الدنيا ضعيف محتاج، معرض للمخاطر والمخاوف، لا يملك لنفسه جلب نفع ولا دفع ضر، ولا يعرف أين يوجد الخير له، فهو بحاجة - دائما - إلى الله سبحانه في أموره كلها، ليعينه ويوفقه ويسدده ويلهمه ما فيه الخير له.

والاستخارة مظهر من مظاهر الرجوع الى الله تعالى وطلب التوفيق منه والاستعانة به والاعتماد عليه والثقة به والرضى بحكمه وقدره.

إن الاستخارة تعلم المسلم كيف يرتبط بالله في كل أحواله ويعيش في دائرة العبودية الحقة بتحقيق ما يحب الله ورسوله من قول اللسان وعمل القلب والجوارح. وهل هناك عبادة ألذّ وأطيب من أن يختلي الانسان بربه ويناجيه بقلب خاشع متذلل ويطلب منه في أدب جم وتفويض صادق أن يختار له ما يعرف أنه الأصلح له في الدنيا والآخرة.

وأيضاً «لما كانت الدلائل والبينات تتعارض في بعض الأمور والترجيح بينها يتعذر في بعض الأحيان، فيريد الإنسان الشيء فلا يستبين له، أالإقدام عليه خير أم تركه؟ فيقع في حيرة، جعلت له السنة مخرجا من ذلك بالاستخارة حتى لا يضطرب عليه أمره ولا تطول غمته»[١].

ونظراً لأن الناس قد أهملوا سنة الاستخارة في هذا الزمن، وقلّ من يعمل بها أو يعرفها بل ابتدع بعض الناس عمل الاستخارة بأنواع شتى لم يرد شيء منها في الكتاب والسنة ولم يقُل به أحد من علماء السلف والخلف مثل ضرب الحظ والاستقسام بالسبحة وقراءة الكف والفنجان والعبث بعلبة الكبريت وقصد المنجمين والعرّافين والسحرة.. نظراً لهذا كله اخترت الكتابة في هذا الموضوع مستعيناً بربيّ سبحانه وتعالى.

تعريف الاستخارة:

الاستخارة: طلب الخير في الشيء، وهي استفعال منه، والخير ضد الشر. وخار الله لك: أي اعطاك ما هو خير لك، والخيْرة: بسكون الياء. الاسم من ذلك، ومنه دعاء الاستخارة: «اللهم خرلي واخترْلي».

واستخار الله: طلب منه الخيرة، وخار لك في ذلك: جعل لك فيه الخيرة، والاختيار: الاصطفاء، ويقال: استخر الله يخر لك، والله يخير للعبد إذا استخاره[٢].

وقال النووي:[٣] «الخير ضد الشر. تقول منه: خرت يا رجل فأنت خائر.. والاستخارة طلب الخير، وخيرته بين الشيئين: أي فوضت اليه الخيار، وفلانة خير الناس، ولا تقل خيرة الناس، وفلان خير الناس، ولا تقل أخير، لا يثنى ولا يجمع لأنه في معنى «أفعل» وقال الحافظ ابن حجر:[٤] «واستخار الله: طلب منه الخيرة، والمراد: طلب خير الأمرين لمن احتاج الى أحدهما».

وفي المرقاة:[٥] الاستخارة: طلب تيسير الخير في الأمرين من الفعل أو الترك.

والاستخارة شرعا: هي صلاة ركعتين من غير

بقلم: د. محمد طاهر حكيم
فرع جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية
- موريتانيا -



فريضة مع دعاء مخصوص فيه سؤال واستعانة بالله تعالى بطلب خير الأمرين من الفعل أو الترك مما يريد الإقدام عليه.

هدى النبي {صلى الله عليه وسلم} في الاستخارة:

كان هدي النبي {صلى الله عليه وسلم} في الاستخارة أوضح الهدى وأكمله وأتمه فكان {صلى الله عليه وسلم} يعلم أصحابه الاستخارة ويحضهم عليها ليربطهم بالله تعالى في جميع أحوالهم، ومن أشهر الاحاديث الواردة عنه في ذلك حديث جابر رضي الله عنه قال: «كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول: «إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم يقول: «اللهم إني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم. فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ـ أو قال ـ عاجل أمري وآجلة فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه. وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ـ أو قال ـ عاجل أمري وآجله فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به» قال: ويسمى حاجته[٦].

وقد رُوي نحو حديث جابر هذا من حديث ابن مسعود وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة وأبي أيوب وابن عباس وابن عمر وغيرهم ـ رضي الله عنهم ـ [٧]

نماذج من التزام العلماء والصالحين بالاستخارة:

**** استخارة زينب بنت جحش رضي الله عنها:**

عن انس رضي الله عنه أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال لزيد ـ لما انقضت عدة زينب رضي الله عنها «اذكرها عليّ» قال زيد ـ رضي الله عنه ـ فانطلقت فقلت: يا زينب أبشري، أرسلني إليك رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يذكرك فقالت: «ما أنا بصانعة شيئا حتى استأمر ربي».

فقامت الى مسجدها ونزل القرآن الكريم، الحديث[٨].

قال النووي «ولعلها استخارت لخوفها من تقصير في حقه {صلى الله عليه وسلم}[٩].

**** استخارة عمر رضي الله عنه:**

عن عروة أن عمر رضي الله عنه أراد أن يكتب السنن فاستفتى أصحاب النبي {صلى الله عليه وسلم} في ذلك فأشاروا عليه بأن يكتبها، فطفق عمر يستخير

الله فيها شهرا، ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له، فقال: «إني كنت أريد أن أكتب السنن وإني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله، وإني - والله - لا أشوب كتاب الله بشيء أبدا[١٠].

**** استخارة الامام البخاري - رضي الله عنه -**

قال البخاري «صنفت كتابي «الجامع» في المسجد الحرام، وما أدخلت فيه حديثاً حتى استخرت الله تعالى وصليت ركعتين وتيقنت صحته»[١١].

قال الحافظ ابن حجر: المراد من قوله «في المسجد الحرام» أنه ابتدأ تصنيفه وترتيبه وأبوابه في المسجد الحرام، ثم كان يخرج الأحاديث بعد ذلك في بلده وغيرها لأنه لم يجاور بمكة هذه المدة كلها[١٢].

**** استخارة الأمام ابن خزيمة - رضي الله عنه -**

نقل الذهبي[١٣] عن الامام محمد بن اسحاق بن خزيمة قوله: «كنت إذا أردت أن أصنف الشيء دخلت في الصلاة مستخيرا حتى يقع لي فيها ثم ابتدىء».

**** استخارة الإمام أبي زكريا النووي - رحمه الله**

ذكر في مقدمة «الأربعين» من صنف في «الاربعينات» ثم قال: «وقد استخرت الله تعالى في جمع أربعين حديثا اقتداء بهؤلاء الأئمة الأعلام وحفاظ الاسلام»[١٤].

**** الامام ابن تيمية - رضي الله - يوصى بالاستخارة:**

قال في وصيته الجامعة[١٥] التى كتبها جواباً لمستوص منه في صلاح دينه ودنياه.. وأن يبين له أرجح المكاسب: «فأما تعيين مكسب على مكسب من صناعة أو تجارة أو بناية أو حراثة أو غير ذلك فهذا مختلف باختلاف الناس، ولا أعلم في ذلك شيئا عاماً، لكن إذا عَنَّ للإنسان جهة فليستخر الله تعالى فيها الاستخارة المتلقاة عن معلم الخير {صلى الله عليه وسلم} فإن فيها من البركة مالا يحاط به ثم ما تيسر له، فلا يتكلف غيره الا أن يكون منه كراهة شرعية».

آداب الاستخارة:

١ - الطهارة الظاهرة والباطنة.

٢ - أن ينوى أداء الاستخارة لأنها عبادة، ولا تقبل العبادة بدون نية، قال {صلى الله عليه وسلم} «إنما الأعمال بالنيات»[١٦].

٣ - أن يفرغ قلبه من الشواغل الدنيوية والهواجس النفسانية بعد التوبة الى الله تعالى[١٧].

٤ - اليقين المحكم والاعتماد الكامل على أحقية الاستخارة ثم التسليم التام بما يختاره الله له مع الايمان أن ما قدره الله له هو الخير في الدنيا والآخرة.

حكمة الاستخارة:

١ - تكريم الانسان عن التذلل لمن هو مثله أو أقل منه كالأصنام والأزلام والكهان والعرافين، فأي هوان أكبر من أن يصبح الانسان ألعوبة بين أيدى المخرفين المشعوذين.

٢ - إفراد الله تعالى بالعبودية التى يستحقها بالخلق والعلم والهداية والقدرة.

٣ - ترسيخ التعامل الايماني والعلمي مع القضايا داخل أغوار النفس إذ العقل العلمي المعقول برباط الايمان يعرف يقينا أن غير الله تعالى لا يستطيع أن يفعل شيئا أو يلهم شيئا[١٨].

٤ - قال الامام ابن تيمية: «وما ندم من استخار الخالق وشاور المخلوقين وتثبت في أمره فقد قال تعالى {وشاورهم في الأمر، فاذا عزمت فتوكل على الله}[١٩]، وقال قتادة: ما تشاور قوم يبتغون وجه الله الا هدوا لأرشد أمرهم»[٢٠].

فوائد الاستخارة:

١ ـ انها مظهر من مظاهر الرجوع الى الله تعالى ودليل على عجز العبد وخلوه من أي حول ولا قوة، لأن العلم والقدرة لله وحده وليس للعبد من ذلك الا ما قدر الله له ولهذا قال: «وأستقدرك» أي، اطلب منك أن تجعل لي على ذلك قدرة[٢١]، والله سبحانه له القدرة الكاملة وعلمه محيط بكل شيء. كما قال: «فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب».

٢ ـ انها سبب لجمع الخاطر ورفع التردد والاضطراب والحيرة مع الشعور بالاطمئنان الايماني الذي يصاحب التذلل والتضرع أمام الله سبحانه وتعالى.

٣ ـ انها هروب العبد من ضيق صدره بالهموم والغموم والأحزان والمخاوف التي تعتريه من جهة نفسه أو من الخارج إلى سعة فضاء الثقة بالله تعالى وصدق التوكل عليه وحسن الرجاء لجميل صنعه به وتوقع المرجو من لطفه وبره، قال الله تعالى {ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب}[٢٢].

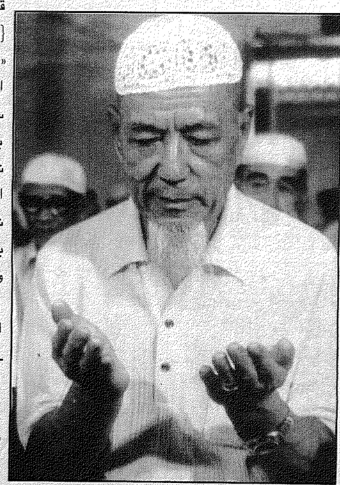
قال ابو العالية «مخرجاً من كل شدة» وقال الربيع بن خثيم: «يجعل له مخرجاً من كل ما ضاق على الناس»[٢٣].

٤ ـ الاستخارة دليل على أن تحقيق النجاح والفلاح والآمال لا يمكن باختيار الاسباب والتدابير الظاهرة وحدها، بل هناك رب قادر فوق الأسباب لابد من اللجوء اليه والاعتماد عليه والاستعانة به، فالاستخارة مظهر من مظاهر قدرة هذا الخالق وعلمه المحيط بكل شيء. قال بعض الصالحين: «عرفت ربي بفسخ العزائم».

٥ ـ الاستخارة دليل على التوكل على الله وتفويض الأمور اليه والثقة به والرضى بحكمه وقدره، قال شيخ الاسلام ابن تيمية: المقدور يكتنفه أمران: التوكل قبله والرضى بعده، فمن توكل على الله قبل الفعل ورضى بالمقضى له بعد الفعل فقد قام بالعبودية[٢٤].

٦ ـ ومن فوائدها ما قاله بعض الحكماء: «من أعطي أربعا لم يمنع أربعا: من أعطي الشكر لم يمنع المزيد، ومن أعطي التوبة لم يمنع القبول، ومن أعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة، ومن أعطي المشورة لم يمنع الصواب»[٢٥].

٧ ـ ومن أعظم فوائدها أنها سبب سعادة الانسان كما في حديث سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «من سعادة ابن آدم استخارته الله، ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضاه الله، ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله عز وجل»[٢٦].



قال ابن القيم «فهذا الدعاء ـ دعاء الاستخارة ـ هو الطالع الميمون السعيد، طالع أهل السعادة والتوفيق الذين سبقت لهم من الله الحسنى لا طالع أهل

الشرك والخذلان الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون»[٢٧].

الأمور التي يستخار فيها:

لا شك أن الاستخارة مرغب فيها في العظيم من الأمور والحقير، فرب أمر حقر يترتب عليه الأمر العظيم، فلا ينبغي للمرء أن يحتقر أمراً لصغره ويترك الاستخارة فيه لكن ما هي الأمور التي يستخار فيها.. وما هي التي لا يستخار فيها؟.

ذهب عامة أهل العلم إلى أن قول الراوي: «كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها» عام أريد به الخصوص، لأن هناك أموراً لا يستخار فيها، فالواجبات مطلوبة فمن أداها فله أجره ومن تركها عوقب على ذلك. وكما أن المحرمات ممنوع فعلها والعذاب معلق على فعلها فلذا لا يستخار في فعل واجب أو ترك محرم إلا إذا اكان الواجب موسعا وقته فالاستخارة تكون في تعيين وقته - لا في أصل فعله - وذلك إذا لم يكن وقته متعينا من الله ورسوله {صلى الله عليه وسلم}.

وتكون الاستخارة في المباح مثل أن يريد شخص أن يعمل أحد مباحين ولا يعرف أيهما خير له. أو مندوبات لا يعرف أيها خير له، وأما نوع المكروه فيكره أن يستخار فيه. ولا استخارة فيما هو معروف خيره كالأعمال التى يتقرب بها الى الله سبحانه وتعالى وكذلك الأمور العادية كالأكل والشرب والنوم والغسل ونحوها لا استخارة فيها[٢٨].

طريقة الاستخارة:

إذا همّ العبد بأمر كالسفر والزواج والوظيفة ونحوها استحب له طلب الخير من الله تعالى «بالاستخارة» فليصل ركعتين من غير فريضة، وبعد الفراغ من الصلاة يقرأ دعاء الاستخارة «اللهم إني أستخيرك بعلمك... الخ» وينوى ما لأجله استخار أو يسميه عند قوله: «هذا الأمر» ويستحب افتتاح الدعاء المذكور وختمه بالحمد والصلاة على رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، قاله النووي[٢٩].

- هل تحصل صلاة الاستخارة بركعتين من الرواتب وتحية المسجد ونحوها من النوافل؟.

قال الامام النووي[٣٠] تحصل بذلك، ولكن الحافظ ابن حجر عقب عليه قائلا: «وفيه نظر، ويظهر أن يقال: إن نوى تلك الصلاة بعينها وصلاة الاستخارة معا أجزأ بخلاف ما إذا لم ينو، ويفارق صلاة تحية المسجد لأن المراد بها شغل البقعة بالدعاء، والمراد بصلاة الاستخارة أن يقع الدعاء عقبها أو فيها ويبعد الاجزاء لمن عرض له الطلب بعد فراغ الصلاة، لأن ظاهر الخبر أن تقع الصلاة والدعاء بعد وجود إرادة الأمر»[٣١].

ماذا يقرأ في الركعتين؟:

قال بعض أهل العلم كالنووي والغزالي[٣٢]: الأفضل أن يقرأ بعد الفاتحة في الأولى بـ «قل يا أيها الكافرون» وفي الثانية بـ «قل هو الله أحد» لمناسبتهما بالحال لما فيهما من الاخلاص والتوحيد والمستخير محتاج لذلك.

وقال آخرون: من المناسب أن يقرأ فيهما مثل قوله تعالى {وربك يخلق ما يشاء ويختار} الآية[٣٣] وقوله: {وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم} الآية [٣٤].

قال الحافظ العراقي: «لم أجد في شيء من طرق حديث الاستخارة تعيين ما يقرأ فيهما»[٣٥] وهو كما قال ، فليقرأ ما ييسره الله له دون التزام بشيء معين.

الحكمة من تقديم الصلاة على الدعاء:

قال الحافظ ابن حجر: «الحكمة من تقديم الصلاة

على الدعاء أن المراد بالاستخارة حصول الجمع بين خيري الدنيا والآخرة فيحتاج الى قرع باب الملك ولا شيء لذلك انجع ولا أنجح من الصلاة لما فيهما من تعظيم الله والثناء عليه والافتقار إليه مآلا وحالا»[٣٦].

هل لصلاة الاستخارة وقت مخصوص؟

لم يأت في الحديث تعيين وقت خاص لصلاة الاستخارة لهذا ذهب جماعة من أهل العلم الى جوازها في جميع الأوقات، والأكثرون على أنها لا تصلى في أوقات الكراهة[٣٧].

قلت: لكن صلاة الاستخارة من ذوات الأسباب كتحية المسجد فتصلى على قول جماعة من أهل العلم حتى في أوقات الكراهة، ولو اختار المستخير وقتا غير وقت الكراهة فهو أولى، والله أعلم.

الاستخارة المستعجلة:

إذا أراد من به عذر كالحائض والنفساء الاستخارة لأمر عاجل فإنه يمكنه ذلك بغير صلاة، فيقرأ الدعاء المأثور ويكفيه ذلك.

قال النووي:[٣٨] «ولو تعذرت عليه الصلاة استخار بالدعاء».

حكم تكرار الاستخارة:

إذا استخار المرء في أمر ولم يظهر له وجه الصواب من الفعل أو الترك ولم ينشرح صدره لشيء فهل يستحب له تكرار الاستخارة والدعاء أم لا؟.. نعم يستحب له ذلك عند جماعة من أهل العلم لحديث أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم]: «اذا هممت بأمر فاستخر ربك سبع مرات ثم انظر الى الذى يسبق إلى قلبك فإن الخير فيه»[٣٩] ولكن هذا الحديث ضعيف.

نعم قد يستدل للتكرار بأن النبي [صلى الله عليه وسلم] كان إذا دعا دعا ثلاثاً»[٤٠] وبما تقدم من عمر - رضي الله عنه - انه ظل يستخير شهراً.

ماذا يفعل المستخير بعد الاستخارة؟.

الأصل في الاستخارة طلب الخير من الله تعالى ورفع التردد، ولهذا إذا وجد المستخير بعد الاستخارة ميلا وارتياحاً إلى جانب الفعل أو الترك وانشرح له صدره عمل به، وان لم يجد شيئا من ذلك فليكرر الاستخارة حتى يحصل له ذلك ، كما قال الامام النووي - رحمه الله - [٤١].

ولكن يرى بعض العلماء أن الاستخارة مجرد دعاء لطلب الخير، ولهذا ليس على المستخير أن ينتظر الانشراح والميل إلى شيء بعد الاستخارة، لأن الحديث ليس فيه شيء من ذلك، مع أن هذا ممكن وقد يحدث، ولكن ان لم يحدث شيء من ذلك فإن العبد يفعل بعد الاستخارة ما يراه من الفعل أو الترك وفيه الخير له. وممن نقل عنه ذلك القاضي ابن الزملكاني قال: «إذا صلى الانسان ركعتى الاستخارة لأمر فليفعل بعدها ما بدا له سواء انشرحت نفسه له أم لا، فإن فيه الخير - وإن لم تنشرح له نفسه - وليس في الحديث اشتراط انشراح النفس»[٤٢].

ويشترط لانشراح الصدر عند من قال به - أن يكون قلبه فارغا من جميع الأهواء والخواطر قبل الاستخارة بحيث لا يكون مائلا إلى أمر من الأمور. قال القرطبي: «قال العلماء: وينبغى له أن يفرغ قلبه من جميع الخواطر حتى لا يكون مائلا إلى أمر من الأمور فعند ذلك ما يسبق الى قلبه يعمل به فإن الخير فيه إن شاء الله»[٤٣].

كيف يعرف المستخير قراره من الاستخارة؟

اشتهر عند العوام أنه من الضروري أن يرى

المستخير مناماً أو يكلمه مكلم حول ما يجب عليه عمله بعد الاستخارة، وليس هذا لازماً ولا مشترطاً ولكن إذا شرح الله صدره إلى فعل شيء أو وجد جنوحا وميلا إلى أمر أو حصل له نفور وفتور عن هذا الأمر الذى استخار الله لأجله أو أشار عليه أخ أو صديق إلى عمل شيء معين فإنه يكون كافيا لاتخاذ القرار المناسب.

قال الشيخ محمد بدر عالم « واعلم أنه قد نبه العلماء قديما وحديثاً على أنه لا يشترط في الاستخارة أن يرى المستخير رؤيا أو يكلمه مكلم.. ولكن الله تعالى يحدث في قلبه جنوحاً وميلا إلى جانب ينشرح بعده صدره ويستقر عليه رأيه فيختار الجانب الذى اليه عطفه وميله»[٤٤].

وقال الشيخ محمد انور شاه الكشميري[٤٥] «لا أنه يرى رؤيا أو يكلمه مكلم، وإن أمكن ذلك أيضاً».

وجوب الرضا بحكم ا لله وقضائه بعد الاستخارة:

ينبغي للعبد أن يرضى بما شرح الله سبحانه صدره بعد الاستخارة ويتوقع فيه الخير والصلاح له ويقدم عليه منشرح الصدر مطمئن القلب راضيا به.

قال الامام ابن أبي حمزة الأندلسي[٤٦] «ذكر بعضهم أن من استخار في شيء فقضى له فيه قضاء ولم يرض فإنه عندهم من الكبائر التى يجب منها التوبة والاقلاع، لأنه من سوء الادب، وقالوا: لأنه لما رجع هذا العبد المسكين إلى هذا المولى الجليل ورغب منه أن ينظر له بنظره فكيف لا يرضى؟ فهذه صفة تشبه النفاق، بل هو النفاق نفسه لأنه أظهر الفقر والافتقار والتسليم ثم ابطن (غير) ذلك، فأين هذا الحال من قوله: «استخيرك بعلمك».

وفي الأثر أن موسى عليه السلام قال: يارب: أى خلقك أحب إليك؟ فقال: من إذا أخذت منه محبوبه سالمنى، قال: فأي خلقك أنت عليه ساخط؟ قال: من استخارني في أمر، فإذا قضيته له سخط قضائى»[٤٧].

الاستخارة غير الشرعية:

ذكرنا الاستخارة الشرعية التى علمها الشارع {صلى الله عليه وسلم} وحض عليها واهميتها وفضلها وما فيها من فوائد عظيمة وحكم جليلة.

وقد ابتدع الناس عمل الاستخارة بطرق وأعمال أخرى لم يرد منها شيء في كتاب الله ولا سنة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ولم يقل به أحد من علماء السلف والخلف وانما هي بدع وضلالات سرت وانتشرت بين بعض الناس بسبب الجهل والبعد عن الدين بعد أن ضعف الايمان في النفوس منها ما يسمى: الاستخارة بالسبحة والاستخارة بفصوص النرد (الطاولة) والاستخارة بالمصحف وبورق اللعب وكذا العبث بعلبة الكبريت وبالعملة المالية المضروبة وقراءة الكف، وقراءة الفنجان. كما أن بعض الناس مازالوا يلجأون - كالجاهليين - إلى الاستقسام بالازلام والكهانة والعرافة والعيانة والتطير والتنجيم وغيرها من الوسائل التى ابطلها الاسلام وقضى عليها بتشريع الاستخارة الشرعية، قال {صلى الله عليه وسلم} «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»[٤٨] وبالله التوفيق.. وصلى الله علي سيدنا محمد وآله وسلم.

الهوامش:

(١) تفسير المنار ١٥٢/٦.

(٢) انظر تاج العروس ٣٦٥/٦ ولسان العرب ٢٦٧/٤ والنهاية في غريب الحديث ٩٢/٢.

(٣) تهذيب الاسماء واللغات ١٠٠/٣.

(٤) فتح الباري ١٨٣/١١.

(٥) ٤٠١/٣ وانظر فيض القدير للمناوى ٤٥٠/١.

(٦) رواه البخاري (مع الفتح) ٤٨/٣ و ١٨٣/١١ و ٣٧٥/١٣ وأبو داود ٥٦٨/١ والترمذي ٥٠٦/٢

والنسائي ٦/ ٨٠ وابن ماجه ١/ ٤٤٠ وأحمد ٣/ ٣٤٤ والبغوى في شرح السنة ٤/ ١٥٣ والبيهقى في السنن الكبرى ٣/ ٥٣.

(٧) حديث ابن مسعود عند ا لطبرانى في الكبير ١١١/١٠ وحديث أبى سعيد عند ابن حبان (٦٨٦ موارد الظمآن) وكذلك حديث أبي هريرة (٦٨٧) وأما حديث أبى أيوب فهو عند احمد ٥/ ٤٢٣ والحاكم ١/ ٣١٤ و ٢/ ١٦٥ وابن خزيمة ٢/ ٢٢٦ وابن حبان (٦٨٥) والبيهقى في السنن ٧/ ١٤٧، ١٤٨ وحديث ابن عباس وابن عمر عند الطبراني في الكبير ١١/ ١٩٦.

(٨) رواه مسلم ٩/ ٢٢٨ (مع شرح النووى) والنسائى ٦/ ٦٥ واللفظ له والامام احمد في مسنده ٣/ ١٩٥ وانظر سير اعلام النبلاء ٢/ ٢١٧.

(٩) شرح مسلم ٩/ ٢٢٨.

(١٠) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١/ ٦٤.

(١١) هدى السارى ص ٤٨٩.

(١٢) المصدر السابق.

(١٣) تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٢١.

(١٤) مقدمة الاربعين النووية.

(١٥) الوصية الجامعة لخير الدنيا والآخرة ص ٢٤ - ٢٥.

(١٦) رواه البخاري ١/ ٩ ، ١٣٥ ومسلم ١٣/ ٤٦ وأبو داود ٢/ ٢٣٥ وآخرون.

(١٧) انظر فيض القدير للمناوي ١/ ٤٥٠.

(١٨) انظر مقالة د/ابو بدر بعنوان: «الاستخارة تعبير ايماني ص ٤.

(١٩) آل عمران ١٥٩.

(٢٠) الكلم الطيب ص ٧١.

(٢١) فتح الباري ١١/ ١٨٦.

(٢٢) الطلاق، الآية ٣.

(٢٣) انظر مدارج السالكين لابن القيم ١/ ٤٧٠ - ٤٧١.

(٢٤) نقله ابن القيم في مدارج السالكين ٢/ ١٢٢.

(٢٥) إحياء علوم الدين للغزالي ٢/ ١٨١.

(٢٦) رواه الامام احمد ١/ ١٦٨ والحاكم في المستدرك ١/ ٥١٨.

(٢٧) زاد المعاد ٢/ ٣٨٢.

(٢٨) انظر فتح الباري ١١/ ١٨٤ وبهجة النفوس ٢/ ٨٧ ومرقاة المفاتيح ٣/ ٤٠١.

(٢٩) الاذكار ص ١١٠ وراجع رد المختار ١/ ٥٠٧.

(٣٠) الاذكار ص ١١٠.

(٣١) فتح البارى ١١/ ١٨٥ وانظر عمدة القارى ٧/ ٢٢٣.

(٣٢) احياء علوم الدين ٢/ ٨١ والاذكار ص ١١٠.

(٣٣) الآية ٦٨ من القصص.

(٣٤) الآية ٣٦ من الأحزاب.

(٣٥) عمدة القارى ٧/ ٢٢٥.

(٣٦) فتح الباري ١١/ ١٨٦.

(٣٧) انظر بذل المجهود في حل أبي داود ٧/ ٣٩٦.

(٣٨) الاذكار ص ١١٠.

(٣٩) رواه ابن سنى في عمل اليوم والليلة وفيه ابراهيم بن البراد بن النضر بن انس بن مالك ضعفه العقيلي وابن عدي وآخرون. قال الحافظ ابن حجر: سنده واه جدا. انظر: فتح الباري ١١/ ١٨٧ والكامل ١/ ٢٥٥ ولسان الميزان ١/ ١٣٣.

(٤٠) رواه مسلم ١٢/ ١٢٠.

(٤١) الأذكار ص ١١٠.

(٤٢) طبقات الشافعية الكبرى ٠/ ٢٠٦.

(٤٣) الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٣٠٧.

(٤٤) البدر السارى الى فيض البارى ٢/ ٢٤٧ - ٢٤٨.

(٤٥) فيض البارى ٢/ ٤٢٨.

(٤٦) بهجة النفوس ٢/ ٩٠.

(٤٧) مدارج السالكين ٢/ ٢٢٢.

(٤٨) رواه البخاري ٤/ ٣٥٥ و١٣/ ٣١٧ ومسلم ١٢/ ١٤ الامام أحمد ٦/ ١٤٦، ١٨٠، ٢٤٠، ٢٥٦، ٢٧٠.

إنَّ المعلمَ للنبيِّ خليفةٌ

ما أجمل مهنة التدريس؛ فهي ميدان رحب لكسب الخبرات والتجارب، وسوق رابحة لتبادل غرر القول وابداع الفكر والعقل. وساحة عمل وجد لفرسان الدعوة والإصلاح.

ولقد أفاض الأدباء، والشعراء منهم بخاصة في وصف هذه المهنة ومعاناة صاحبها، وكان وصفهم لواقع التعليم دقيقاً؛ حيث عمل بعضهم معلماً ونحن نختار هنا ثلاثة من شعراء العربية لننقل شيئاً مما قالوه في وصف المعلم والتعليم.

لقد كان أمير الشعراء (أحمد شوقي) من أبرز من أشاد بمهنة التعليم وبيَّن فضل المعلم ومكانته، وذلك في قصيدته التي عنوانها: العلم، والتعليم، وواجب المُعلِّم - وفيها يقول:

قم للمعلم وفِّه التبجيلا
كاد المعلم أن يكون رسولا
أعلمت أشرف، أو أجلَّ من الذي
يبني، وينشيء أنفساً وعقولا؟!

ومنها:

أمُعلِّمي الوادي، وساسة نشئه
والطابعين شبابه المأمولا
ربُّوا علي الإنصاف فتيان الحمى
تجدوهم كهف الحقوق كهولا[١]

ولم يتردد الشاعر ابراهيم طوقان أن يجيبه بنفي كلامه والرد عليه، إذ يقول - بالوزن والقافية - نفسيهما: (البحر الكامل) والرَّوي باللام، حيث القافية مطلقة:

(شوقي) يقول - وما درى بمصيبتي
«قم للمعلم وفه التبجيلا»
اقعد، فديتك، هل يكون مبجلا
من كان للنشء الصغار خليلا؟!
ويكاد (يقلقني) بقوله:
«كاد المعلم أن يكون رسولا»
لو جرَّب التعليم (شوقي) ساعة
لقضى الحياة شقاوة وخمولا
حسب المعلم غُمَّة وكآبة
مرْأى الدفاتر بكرة وأصيلا
مئة على مئة إذا هي صلحت
وجد العمى نحو العيون سبيلا[٢]

أما الأديب الشيخ أحمد فرح عقيلان:

فإنه يذهب إلى أنَّ المعلم هو مهندس البناء، وقائد المسيرة لحياة سعيدة؛ ليس لفئة من المجتمع فحسب وإنما للأمَّة كلها، إنه يقول في قصيدة له بعنوان: «المجاهد المجهول»:

حيِّ المعلِّم شامخاً بجهاده
يعرى ويكسو الكون من أمجاده
ظمآن توِرده الحياة سرابها
والجيل كلُّ الجيل من وُرَّاده
تلقاه طول العمر يغرس جوهراً
ومرارة الحرمان كلُّ حصاده

ومنها:

متواضع في غرفة مغمورة
ومواكب العظماء من أولاده
تعبٌ يوزع راحة وسعادة
فيعيش كل الناس في إسعاده
ويصون ماء الوجه رغم رواجه
ويبيع نور العلم رغم كساده

* * *

قالوا عن التعليم حرفة مفلس
قعدت به النكسات عن أنداده

بقلم: عبدالعزيز بن صالح العسكر
الدلم - السعودية



ونســــوا بأنّ الله علّم آدمــــاً
جلّ الإله مــــعلمــاً لعـــبـــاده
والأنبـــيـــاء مـــعلمـــون تراثهم
علمٌ شـفى الانسان من إلحــاده
إن المعلّم للنبيٍّ خليـــفـــة
مهما افترى الجهلاء من حساده[٣]

وفي قصيدة أخرى بعنوان: «ميراث النُّبوة» يقول أحمد فرح عقيلان:

إن المعلـم رائد الجـــيـل الذي
ركـــزوه في أفق المعـــالي سُلّمــا
يرقى عليــه النّاس نحــو حظوظهم
فــإذا رقـوا تركـوه كي يتـحطّمـا
أوليس من يهب الكرامـــة والعـــلا
للنشء أجـدر أن يُعـزّ ويكرمـا؟![٤]
بلى وربِّ الكعبة. فهل نحن فاعلون؟!.

ولقد قرأت مؤخراً عدداً من القصائد قيلت جواباً أو معارضة لقصيدتي شوقي وطوقان، نشرت تلك القصائد مجلة (المعرفة) التي تصدرها وزارة المعارف في المملكة العربية السعودية. ومن أبرزها قصيدة: (صوت من الصف الأخير) التي كتبها محمد الثبيتي ومنها قوله:

هل كنت يومـاً في الحـيـاة رسـولا
أم عــامــلا في ظلهـا مـجـهـولا
قـالوا بأنك في الحـيـاة مـجـاهـد
«تبني وتنشيء أنفسـاً وعـقـولا»
هل أنصـفـوك بما يصـوغ بيـانهم
أو عــوضـــوك عن الطمــوح بديلا
مـاذا جنيت سوى العقوق من الذي
أسـقـيـتــه نخب العلوم طويلا
وجلوت عن عـينيـه كل غـشـاوة
ووهبـتــه زهر الشـبـاب دليـلا
حـتى اسـتـقـامت بالعلوم قناته
ومـشى على الدرب الطويل قليـلا
إزورَّ عنك تنكراً وتجـــاهـلا
ورنا إليك ترفــعـــاً وفـــضـــولا

* * *

يا مـــوقـــد القنديل نبض فـؤاده
احـــذر فـــؤادك واحـــذر القنديلا
فـــالكون يمٌّ زاخـــرٌ يُنسى بـه
من شـاد صـرحـاً أو أنار سـبـيـلا
فـــارفـع بفكرك للشـــبـــاب منارة
وارياً به أن يطلب التـبـجـيـلا[٥]

هذه الأبيات لمعلم لم يمكث في هذه المهنة إلا ثلاث سنوات حينما نظم قصيدته: فلماذا التذمُّر والملل؟. إن القناعة بشرف المهنة شيء لا يشك فيه أحد من المعلمين أو من غيرهم؛ ولكن المشكلة تكمن في القيود التي فرضت على المعلم في تعامله مع طلابه، ثم في طلاب

العلم الذين ليسوا كما كان أسلافهم طلاب علم مقدرين للعلم ولحملته متأدبين بأدب الإسلام مع أساتذتهم ومعلميهم. يقول الشاعر أحمد الرحيلي:

أدب التـلامــذة الأوائل قــد عــفى
والآن لا أدب يســـود الجـــيـــلا
قـد كنت أعـهـد في الشـبـاب دمـاثة
حين الخطاب وطيـبـــة وقـبــولا
فــإذا نظرت إليــه حــرّك جــفنه
وقــضى زمــاناً مطرقــاً وخــجــولا
وأتى الشـبـاب اليـوم وجـهـاً كـالحـاً
فـــإذا المهين مُــــعلِّم التنزيـلا

ويمضي الرحيلي في وصف حال معلم اليوم وتلميذه.. إلى أن يقول:

أومـا شكا (طوقـان) قـبل مـصـيـبـة
قلب العلوم فليت عـــاش قليـــلا
ولو ان (شــوقي) عــاش فـينا لحظة
لغــدا يؤلف في القــصــيــد طويلا
ولقــال في وصف الزمــان مــقــالة
تشــفي العليل وتروي فــيــه غليـلا
كــتب اليــراع على الزمــان بخطه
قم للمــــعلم وفِّـــه التنكيـــلا[٦]

وإذا ما تركنا حديث الشعر والشعراء لأنه في الغالب حديث خيال ومبالغة، فإننا نجد الواقع بحلوه ومرِّه يؤكد ما قاله الشعراء، وتمثل حقائقه ناطقة بأن المعلم: صاحب رسالة في الحياة.. بقدر ما يعمل ويخلص في عمله يجد من التعب والمعاناة مالا تحتمله نفوس العاجزين والكسالى ممن عشقت نفوسهم الأنانية، وأعمت بصائرهم الأثرة وحب الذات.. فتعال معي - أيها القارىء الكريم - في رحلة نرى فيها صوراً من الواقع، وسيلة النقل فيها ذاكرة تطوف في ما يقارب عشرين سنة قضيتها في مهنة «التدريس» لعل فيما أنقله هنا ما يخفف ألماً، ويقوي أملا، ويدفع إلى عمل أفضل، وإلى تقدير أكبر لمعلم الأجيال.

لقد تعلمت من الحياة أن المعلم سيرى أمامه نماذج للأبناء البررة الذين بهم ينسى أبناءه من صلبه، فهم يحبونه، ويحترمونه، ويدعون له، ويتفانون في خدمته، ومنهم من يصاحبه بهذه الروح ما بقيا على قيد الحياة، ولو فرّق بينهما السنُ والمناصب وكثرة المال والولد ومشاغل الحياة.. فترى الطالب يزور معلمه، ويدعوه لزيارته، ويهدي له، ويسأل عنه إذا غاب. وإذا كان المثل العربي يقول: «رُبَّ أخ لك لم تلده أمك» فإنني أقول: أقول لكل معلم: (رُبَّ ابن لك لم تلده زوجتك). وتالله لقد وجدت من هذا الصنف إخواناً غمروني بمعروفهم على مر الأيام، ووجدت عندهم من الصدق والوفاء والإخلاص ما أنساني عدداً من الأقارب الذين شغلتهم شؤون حياتهم وأصبحت فرص اللقاء بهم - فضلا عن التعاون والبرّ - أصبحت تلك الفرص أندر من الكبريت الأحمر كما يقول العرب.

بل إن من أطرف المشاهد والمواقف التي مرت بي: أني قابلت شاباً كان أحد طلابي منذ سنين. فلما مثل أمامي سلَّم والدموع تقطر من عينيه؛ فعجبت منه وحيرني، هل هو مريض أو مذنب تذكر ذنبه، أو أن مصيبة حلت به فهو يلتمس من يفرج عنه! إن شيئا من ذلك لم يكن، حيث قطع عليَّ تفكيري بقوله: «إنني لا اتذكر من سني الدراسة وعيشي معكم إلا أني كنت مصدر فوضى، وزعيم مشاغبة في الفصل فهل تغفرون ذلك لي وقد أدركت الآن أنكم قدّمتم لنا أضعاف ما قدمه الأهل من تربية وأدب ومعروف». هذا موجز ما قاله هذا الرجل، وقد كان جوابي له: (إننا أيها الأخ الكريم ننسى المواقف السيئة في يومها ولا أعرف إلا أنك من افضل من درستهم). هذا صنف من الطلاب.

وفي المقابل يجد المعلم نماذج من طلابه هم غاية في العقوق والقطيعة، إنهم لا ينسون الجميل، ولا يتركون التحية والتقدير لمعلمهم فحسب، بل إنّ أحدهم يجعل معلمه ملهاة يتسلى بمشاهدته والتندر بحركاته وعباراته، وتراه يدمن الحركة الساذجة التي بها يغيظه ويغضبه. هذا ما يفعله في قاعة الدرس، أما حين يفارقه ولو يسيراً فإنه يجعل معلمه «مشجبا» يعلق عليه كل الطرائف والنكت، ويلصق به أتفــه الحكايات والألقاب. وما أشقى معلماً يبتلى بمثل هؤلاء ثم لا تكون بجانبه إدارة حازمة مهابة الجانب تجمع بين القوّة والحكمة.

ذانك صنفان من الطلاب، ولعل من يصدق عليه

ذلك الوصف قليل العدد بين أبنائنا في هذه الأيام؛ أما الكثير فإنه بين الصنفين يميل إلى هذا تارة وإلى ذاك تارة أخرى.

ومهنة التدريس تشبه راحلة تنقل الناس من حال إلى حال ومن موقع الى موقع، وهي تمر بأمم من خلق الله تباينت أحوالهم واختلفت صفاتهم وأخلاقهم.

فهذا طالب ذكي نظيف الخُلُق والأدوات محافظ على وقته، مرهف الحس، لبق يفهم بلغة الإشارة قبل العبارة. وقريب من مقعده زميل له لا ترى منه إلا رأساً وجسداً تحت الرأس، له عينان يحدق بهما بصره ويصوبه إلى كل ما حوله، وأذنان تتابعان كل صوت حتى صفير الريح من خلال ثقوب نافذة الفصل. ولكنك حينما تفتح هذا «الصندوق» أو تقترب منه لا تجد غير الشكل فقط، فلا تكاد تجد للعقل موقعاً أو قيمة عنده؛ فالذكاء صفرٌ، والنباهة والفهم تحت الصفر، فلا يلتفت إليك إلا بعد النداء الخامس، ولا يفهم سؤالك إلا بعد المرة العاشرة، وإذا فهم السؤال فلا جواب لديه. وتبارك الله أحسن الخالقين.

إن سوق العلم عند ذلك الصنف من أبنائنا سوق كساد؛ فالانتباه للمدرس، وأداء الواجب، والحرص على الحفظ والمراجعة في آخر قائمة اهتمامات أحدهم. وقد لا يجد من ينكر عليه ذلك من أهل أو صديق أو غيرهما.. خصوصاً إذا كان النجاح في نهاية العام مضموناً؟!

أما معاناة المدرس وشجونه فلا تقف عند هذا الحد.. بل إنَّه يجد من الموظفين معه من يشاطره آلامه وآماله ومنهم من يقف منه موقف المتفرج أو أنكى..

فهو يرى الموظف ذا الخلق الحسن، دائم البسمة، خفيف الظل والروح، عفيف النفس واللسان، لا يتدخل فيما لا يعنيه ولا يدعو المدرس إلا أخاً له، أو أباً حسب فارق السن. ثم إنه نعم المؤانس والمسلي عند الضيق والألم.

وفي المقابل يرى موظفاً آخر دائم العبوس بالوجه، تراه في كل وقت وكل مكان فيرمقك بنظرات كالسهام، يحصي عليك حركاتك وسكناتك، ويحفظ السيئة والخطأ وينسى الحسنة والصواب.. وهو إمَّا حاسد لك على ما تتمتع به من ميزة ليست له، أو محتقر لك إذ كيف وصلت إلى ما وصلت إليه في فترة قصيرة - بميزانه هو - وكلا الصفتين متلازمتين: الحسد والاحتقار. وإذا كان ذلك الموظف هو المدير في المؤسسة التعليمية فإنَّ وطأة الألم على نفس المعلم أشدُّ وأنكى.

وتمر بالمعلم لحظات سعادة حينما يستريح في إجازة الصيف أو اجازة الربيع، وسرعان ما تنقشع تلك السَّعادة بمطارق «الروتين» الطويل الرتيب الذي يجمع من الواجبات والأحمال على المدرس ما تنوء بالعصبة أولي القوة، فيعمل خلال العام الدراسي في اليوم عشر ساعات أو أكثر، بعضها دوام في المدرسة، وبعضها دوام في المنزل وعيش مع الكراسات والأوراق والسجلات والبطاقات الفصلية وغيرها. فتقضي هذه الأعمال على كل لذة وسعادة وراحة.. ويبقى فارس الميدان كادحاً لا يرى موقفه إلا نفر قليل من أولي البصائر النافذة القوية، ويبقى قنطرة توصل الشباب لكل ما يريدون من علم وأدب وشهادة ومكانة في المجتمع.. وتبقى تلك القنطرة تقاوم الأمواج والهزَّات حتى يأذن الله - بحكمته وفضله - بأن تنتقل عن هذا العمل إلى عمل آخر أو المنزل أو غيرهما.

أما جمهور النَّاس قريبهم وبعيدهم فيجب أن يعلموا أن ذلك المجاهد - بتوفيق الله وعونه - ماض في سبيله، مرتقب لأجر أغلى وأكبر مما يرونه بأعينهم، ويهون عليه ما يلاقيه في سبيل ذلك لأنه: وارث الأنبياء.

الهوامش:

(١) الشوقيات ج ١ ص ٨٠ - ٨٢.

(٢) ديوان ابراهيم طوقان ط ١ سن ١٤٠٤هـ ص ١٤٨.

(٣) ديوان جرح الإباء ص ٤٣ - ٤٤.

(٤) ديوان جرح الإباء ص ٩٠ والشعراء الثلاثة قد غادروا الدنيا؛ فشوقي تُوفي سنة ١٣٥١هـ، وطوقان توفي سنة ١٣٦٠هـ، وأحمد فرح عقيلان توفي سنة ١٤١٧هـ. رحمهم الله جميعاً.

(٥) مجلة المعرفة العدد ١٩ شوال ١٤١٧هـ ص ١١٥.

(٦) مجلة المعرفة العدد ١٨ رمضان ١٤١٧هـ ص ٩٨.

الفروق في اللغة

إن الكثير من الناس يأتي بالكلام المملوء حكماً ونصحاً وطرافة وظرفاً ولكن ينسى أو يجهل الكثير من معاني الأسماء والصفات أو معاني الأفعال والحروف ولذلك يقع في الخطأ من لا يعرف الفرق بين اسم واسم أو صفة وصفة، أو حين يذكر فعلا مكان فعل أو يجعل حرفاً مكان حرف، ولا شك أن هذا يعتبر خللا في التعبير، وعيباً في الكتابة وخطأ في الخطابة.

وقد ألف العلماء كتباً في الفروق اللغوية ومن أحسن منْ ألَّف في ذلك الإمام الأديب اللغوي أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري. فقد ألف سنة ٣٩٥هـ كتاباً في ذلك سماه (الفروق اللغوية) ذكر فيه أن اختلاف العبارات والأسماء موجب لاختلاف المعاني في كل لغة فقال: الشاهد على أن اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعاني أن الاسم كلمة تدل على معنى دلالة الإشارة، وإذا أشير إلى الشيء مرة واحدة فعرف، فالإشارة إليه ثانية وثالثة غير مفيدة، وواضع الكلمة حكيم لا يأتي فيها بما لا يفيد، فإن أشير منه في الثاني والثالث إلى خلاف ما أشير إليه في الأول كان ذلك صواباً، فهذا يدل على أن كل اسمين يجريان على معنى من المعاني في كل لغة فقال: الشاهد على أن اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعاني وعين من الأعيان في لغة واحدة فإن كل واحد منهما يقتضي خلاف ما يقتضيه الآخر، وإلا لكان الثاني فضلا لا يحتاج إليه، وإلى هذا ذهب المحققون من العلماء وإليه أشار المبرد في تفسير قوله تعالى : {لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً} قال: فعطف شرعة على منهاج، لأن الشرعة أول الشيء والمنهاج لمعظمه ومتسعه، واستشهد على ذلك بقوله: شرع فلان بكذا إذا ابتدأه وانهج البلى في الثوب إذا اتسع فيه، قال: ويعطف الشيء على الشيء وإن كانا يرجعان إلى شيء واحد إذا كان في أحدهما خلاف الآخر فأما إذا أريد بالثاني ما أريد بالأول فعطف أحدهما على الآخر فهو خطأ لا تقول جاءني زيد وأبو عبد الله إذا كان زيد هو أبو عبد الله ولكن مثل قوله:

أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به
فقد تركتك ذا مال وذا نشب

وذلك أن المال إذا لم يقيد، فإنما يعنى به الصامت - كذا قال، والنشب ما ينشب ويثبت من العقارات وكذلك قول الحطيئة:

ألا حبذا هند وأرض بها هند
وهند أتي من دونها النأي والبعد

وذلك أن النأي يكون لما ذهب عنك إلى حيث بلغ. وأدنى ذلك يقال له نأي والبعد تحقيق الرواح والذهاب الى الموضع السحيق، والتقدير أتى من دونها النأي الذي يكون أول البعد، والبعد الذي يكاد يبلغ الغاية.

قال أبو هلال - رحمه الله - والذي قاله ههنا في العطف يدل على أن جميع ما جاء في القرآن وعن العرب من لفظين جاريين مجرى ما ذكرنا من العقل واللب والمعرفة والعلم، والكسب



بقلم: د. ياسين بن ناصر الخطيب
جامعة ام القرى - مكة المكرمة

والجرح، والعمل والفعل معطوفاً أحدهما على الآخر فإنما جاز هذا فيهما لما بينهما في الفرق في المعنى ولولا ذلك لم يجز عطف زيد على أبي عبد الله إذا كان هو هو.

قال أبو هلال - رحمه الله - ومعلوم أن من حق المعطوف أن يتناول غير المعطوف عليه ليصح عطف ما عطف به عليه إلا إذا علم أن الثاني ذكر تفخيماً وأفرد عما قبله تعظيماً نحو عطف جبريل وميكال على الملائكة في قوله تعالى: {من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين}.

وقال بعض النحويين: لا يجوز أن يدل اللفظ على معنيين مختلفين حتى تضاف علامة لكل واحد منهما فإن لم يكن فيه كذلك علامة أشكل وألبس على المخاطب وليس من الحكمة وضع الأدلة المشكلة إلا أن يدفع إلى ذلك ضرورة أو علة.

وكما لا يجوز أن يدل اللفظ الواحد على معنيين، فكذلك لا يجوز أن يكون اللفظان يدلان على معنى واحد، لأن في ذلك تكثيراً للغة بلا فائدة.

وانظر إلى أوزان المبالغة - مفعل وفعول وفَعَّال ومفعال: فمن لا يعرف معنى كل لفظة من هذه الألفاظ يظن أن ذلك كله يفيد المبالغة فقط. وليس الأمر كذلك بل هي مع إفادتها المبالغة تفيد معاني أخرى، قال المحققون من أهل اللغة إذا كان الرجل عدة للشيء قيل فيه مفْعل مثل مرحم ومحْرب إن جعل عدة للرحمة أو للحرب، وإذا كان قوياً على الفعل مطيقاً له قيل فعول مثل صبور وشكور، وإذا فعل الفعل وقتا بعد وقت قيل فَعَّال، مثل حمَّال وجمَّال، وإذا كان ذلك عادة له قيل مفعال. مثل معوان ومعطاء ومهداء ومهذار.

وانظر - إنه إذا كان اختلاف الحركات يوجب اختلاف المعاني فاختلاف الألفاظ أنفسها أولى أن يكون كذلك، ولهذا المعنى أيضاً قال المحققون من أهل العربية: إن حروف الجر لا ينوب بعضها عن بعض حتى قال ابن درستويه في جواز تعاقبها إبطال حقيقة اللغة وإفسادُ الحكمة فيها والقول بخلاف ما يوجبه العقل والقياس.

قال أبو هلال - رحمه الله - وذلك أنها إذا تعاقبت خرجت عن حقائقها، ووضع كل واحد منها بمعنى آخر فأوجب ذلك أن يكونا لفظان مختلفان لهما معنى واحد فأبى المحققون أن يقولوا بذلك وقال به من لا يتحقق المعاني.

وإليكم مثالا لنعرف فيه الفرق بين كلمتين مستعملتين كثيراً عندنا هي الحمد والشكر فالفرق بين الحمد والشكر، أن الشكر: هو الاعتراف بالنعمة على جهة التعظيم للمنعم، ولا يصح الشكر إلا على النعمة، والحمد: الذكر بالجميل على جهة التعظيم للمحمود، ويصح على النعمة وغير النعمة، قال تعالى: {حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والدَيَّ} (الأحقاف)، فبين أن هذا الشكر مقابل النعمة التي أنعمها الله تعالى عليه وعلى والديه وقال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله إن كنتم إياه تعبدون} (البقرة)، وقال تعالى: {فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيباً واشكروا نعمت الله إن كنتم إياه تعبدون} (النحل)، وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: {إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يكُ من المشركين شاكراً لأنعمه} (النحل)، فبين تعالى - أن شكر إبراهيم كان عن نعم أنعم الله تعالى بها عليه وقال تعالى: {قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين} (الأنعام). فبين أنهم أقسموا أنه إن أنجاهم الله تعالى من ظلمات البر والبحر يكونوا من الشاكرين ومثل ذلك قوله تعالى: {لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين} (الأعراف). وقد يكون الشكر مقابل

العفو عن جريمة كما عفى الله تعالى عن بني إسرائيل بعدما عبدوا العجل فقال تعالى: {وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون. ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون} (البقرة) والآيات في ذلك كثيرة.

ومن الأحاديث التي تبين أن الشكر يكون في مقابلة النعمة قوله {صلى الله عليه وسلم} (عجبت من أمر المؤمن إن أمر المؤمن كله له خير - وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن - إن أصابته سراء شكر كان ذلك خيراً) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند فجعل عليه الصلاة والسلام الشكر في مقابلة ما يسر الإنسان ورواه الإمام مسلم. وكذا قوله {صلى الله عليه وسلم} (الطاعم الشاكر كالصائم الصابر) رواه البخاري في الأطعمة. فجعل {صلى الله عليه وسلم} الشكر مقابل الإطعام، وقوله عليه الصلاة والسلام: (وإن تنعم تنعم على شاكر) متفق عليه.

ومن دعائه عليه الصلاة والسلام (واجعلنا شاكرين لنعمتك) رواه أبو داود. والأحاديث في ذلك كثيرة مستفيضة. فعرفنا من هذه الآيات والأحاديث أن الشكر يكون في مقابلة النعمة ويكون تعظيماً للمشكور واعترافاً بنعمته.

أما الحمد فإنه الذكر بالجميل للمحمود على جهة التعظيم ويصح أن يكون على نعمة وعلى غير نعمة فمن الحمد مقابل النعمة قوله تعالى: {والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفساً إلا وسعها، أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون. ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار. وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله} (الأعراف). فجعل الله نعمة الحمد في مقابل هذه النعم الجليلة، وقال تعالى على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام: {الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق} وقال تعالى مخاطباً سيدنا نوحاً عليه السلام: {فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين} المؤمنون. وقال تعالى: {وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين. وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين} (الزمر). وقد يكون الحمد بدون مقابل نعمة كقوله تعالى: {وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا. ولم يكن له شريك في الملك} الإسراء. وقال تعالى: {ضرب الله مثلا عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون} (النحل). وقال تعالى: {الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم} (غافر) فهم يسبحون الله ويحمدونه على جهة التعظيم دون ذكر للنعمة.

وفرق آخر بين الحمد والشكر أن الإنسان قد يحمد نفسه في أمور جميلة طيبة يأتيها فيذكر ما عمله من كرم أو علم أو شجاعة، ولكن لا يجوز أن يشكر الإنسان نفسه، لأن الشكر يكون في مقابلة نعمة من إنسان على آخر فهو بمثابة الدَّيْن ولا يجوز أن يكون للإنسان دين على نفسه.

فالاعتماد في الشكر على ما توجبه النعمة وفي الحمد على ما توجبه الحكمة ونقيض الحمد الذم ونقيض الشكر الكفر، فالشكر إظهار حق النعمة لقضاء حق المنعم كما أن الكفر تغطية النعمة لإبطال حق المنعم.

ونقول أيضا ويمكن أن تضيف شيئا آخر وهو أن الحمد يكون باللسان فقط فتقول الحمد لله والشكر يكون باللسان وبالقلب والجوارح قال الشاعر:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة
يدي ولساني والضمير المحجبا

أمُّ اللغات

شعر: ابـراهيـم الصعبي
- فلسطـين -

أنا صبّ بحبٍّ الضـــاد هامـــا
فـــعـــذراً إن قـــســا شـــعـــري ولامـــا

إذا مـــا كـــان للضـــاد انتـــســـابي
أألقـى دون مـــا تلقى لثـــامـــا

إذن مـــا كنتُ منهـــا صـــوت حقّ
ولا كنـت الذي حـــفـظ الذمـــامـــا

لـنـا لـغـــــــة الإلـه، أبٌ .. وأمٌّ
وحقٌّ أن نـزيدهمـــا احـــتـــرامـــا

بـهـــا أوحـى الإله لنا كـــتـــابـاً
به سُـــدنا .. وحـــرّرنا الأنامـــا

وأبقـى كلَّ مـــا فـــيـــه جـــديداً
لنمـــضي دائمـــاً .. أبداً .. أمـــامـــا

فـــيـــا أمَّ اللـغـــات سلمت أمّـــاً
تهـــيبُ بنا أن اطَّرحـــوا الخـــصـــامـــا

ويـا أم الـلـغـــات سـلـمـت أمّـــاً
بـهـــا نـزداد عـــزاً واعـــتـــصـــامـــا

ورثـنا مـن فـــصـــاحـــتـــهـــا كنوزاً
بـهـــا رُفـــعـتْ لنا في الدهر هـامـــا

أمـــا مَـنَحَتْ علوم الأرض روحـــاً
وزادتـهـــا ثـراء .. وانســـجـــامـــا

ولـــولاهـــا لمـا اتحـــــــدتْ قـلـوبٌ
على الـتـــقـــوى .. ولا زدنا الـتـــحـــامـــا

شـــمـــوس الحق نحن إذا اتحـــدنـا
فـلـن تـلـقَ الـظـلـوم ولا الـظـلامـــا

أبعاد الحرب على اللغة العربية

وضعت اللغات لدى شعوب الأرض لإقدارها على التفاهم والتواصل، وحملت اللغات رسالات السماء إلى الأرض، وتمكن الخلق بواسطتها من تنظيم فكره وتطويره.

واللغة العربية حملت آخر تلك الرسالات، وأُريد لها أن تكون لسان الوحي، وقُدّر لها أن تستوعب دليل نبوة الإسلام، واختزال مضامين الرسالات السابقة، والانطواء على المنهج الذي ارتضاه الله لخلقه إلى يوم الدين[١].

«وقد كانت دراسة اللغة العربية عند الأقدمين مرتبطة بالعامل الديني، ونتيجة لهذا الارتباط الوثيق فقد خلفت لنا العصور الأدبية على امتداد التاريخ اهتماماً كبيراً بلغة القرآن سواء فيما يتصل برصد مروياتها من الآثار الأدبية من شعر ونثر، أو فيما يتصل بإحصاء مفرداتها، وتسجيل أوابدها وغرائبها في المعجمات والقواميس اللغوية، أو فيما يتصل باستنباط القواعد والأسس التي تُعنى بسلامتها، والمحافظة على أصولها الموروثة، ووضع الدراسات اللغوية الخاصة باكتناه أسرارها، والكشف عن خصائصها ومميزاتها»[٢].

ويقرر هذا أبو منصور الثعالبي (٣٥٠ - ٤٢٩هـ)، إذ يقول: «من أحب الله - تعالى - أحب رسوله محمدا {صلى الله عليه وسلم}، ومن أحب الرسول العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحب العربية عني بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها، ومن هداه الله للإسلام، وشرح صدره للإيمان، وآتاه حسن سريرة فيه؛ اعتقد أن محمدا {صلى الله عليه وسلم} خير الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد.

ثم هي لإحراز الفضائل، والاحتواء على المروءة، وسائر أنواع المناقب كالينبوع للماء، والزند للنار، ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها، والوقوف على مجاريها ومصارفها، والتبحر في جلائلها ودقائقها إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن، وزيادة التبصر في إثبات النبوة التي هي عمدة الإيمان لكفى بهما فضلا، يحسن فيهما أثره، ويطيب في الدارين ثمره»[٣].

فاللغة العربية ليست مادة لفظية وأصواتا مسموعة فحسب، لكنها - إلى جانب ذلك - طاقة فكرية وعلمية وشعورية تحمل في مضمونها فعاليات النشاط الإنساني والحضاري بأبعاده وألوانه.

والعالم بدوله وشعوبه لن يفهم العرب حق الفهم، ولن يدرك الإسلام وحضارته تمام الإدراك إلا بواسطة اللغة العربية ذلك المفتاح السحري القادر على إزاحة الستار الحديدي أمام العالم لفهم حقيقة العرب والمسلمين[٤].

وجوب تعلم اللغة العربية:

والعربية ليست كأية لغة من اللغات الأخرى؛ بل هي فريدة من نوعها؛ اصطفاها الله من بين اللغات جميعا لتكون وعاء لكتابه الخالد: (القرآن الكريم) كما اختارها لتكون لسان نبيه الأمين؛ لذا أوجب الشارع الحكيم تعلمها، حتى يفهم مقاصد الكتاب والسنة.

يقول الإمام الشافعي - رحمه الله -: «فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله

بقلم: د. محمد السيد على بلاسي

- عضو اتحاد كتاب مصر -

ويتلو به كتاب الله، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك»[٥].

وأرجع شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ـ رحمه الله ـ الخلط في الدين ـ عند أهل البدع ـ إلى قلة فهم اللغة العربية، فيقول: «لابد في تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله من الألفاظ وكيف يفهم كلامه. ومعرفة العربية التي خوطبنا بها مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه وكذلك ضلال أهل البدع كان لهذا السبب، فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدعون أنه دال عليه ولا يكون الأمر كذلك»[٦].

ويؤكد هذه الحقيقة الجاحظ (١٥٩ ـ ٢٥٥هـ) إذ يقول: «للعرب أمثال واشتقاقات وأبنية وموضع كلام يدل عندهم على معانيهم وإراداتهم.. فمن لم يعرفها جهل تأويل الكتاب والسنّة والشاهد والمثل، فإذا نظر في الكلام وفي ضروب من العلم، وليس هو من أهل هذا الشأن هلك وأهلك»[٧].

من هنا، أوجب شيخ الإسلام ابن تيمية على المسلم تعلم اللغة، فقال: «إن معرفة اللغة من الدين ومعرفتها فرض واجب، وإن فهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»[٨].

ولعل هذا هو ما دفع العلامة أحمد بن فارس (٣٩٥هـ) إلى إفراد باب في كتابه (الصاحبي) تحت عنوان: «باب القول في حاجة أهل الفقه والفتيا إلى معرفة اللغة العربية»، يقول فيه: «إن العلم بلغة العرب واجب على كل متعلم من العلم بالقرآن والسنة والفتيا بسبب حتى لا غناء بأحد منهم عنه، وذلك أن القرآن نازل بلغة العرب، ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} عربي، فمن أراد معرفة ما في كتاب الله ـ جل وعز ـ وما في سنة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من كل كلمة غريبة أو نظم عجيب، لم يجد من العلم باللغة بدا»[٩].

وغاية القول: أن فهم النصوص هو منطلق البحث عن الأدلة الشرعية، والفهم موكول إلى المعرفة الدقيقة باللغة، وبتصاريف القول فيها: إذ لا يتأتى استنباط حكم لا تقتضيه طبيعة اللغة.

فالمعنى الشرعي يؤخذ من الدليل اللفظي. وقد يستدل عليه بغير اللفظ ولكن يظل اللفظ دالا على المعنى التابع لقصد المتكلم. فاللفظ في تصور الأصولي هو دليل الحكم على صحة الفكر أو خطئه؛ إذ اللغة ترجمة لما يجرى في الفكر؛ من هنا أخذت اللغة عند الأصوليين منحنى علميا، أصبحت به وسيلة لاستنباط الحكم، تتجه الى الاصطلاح وتخاطب العقل.

والشافعي في وضعه للأصول المعتمدة في فهم النصوص وتأويلها اعتمد منطق اللغة العربية. وقد أورد السيوطي (٩١١هـ) قول حرملة بن يحيى «سمعت الشافعي يقول: «ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم الى لسان أرسطو طاليس.. ولم ينزل القرآن ولا أتت السنة إلا على مصطلح العرب ومذاهبهم في المحاورة والتخاطب والاحتجاج والاستدلال لا على مصطلح اليونان، ولكل قوم لغة واصطلاح»[١٠].

وهكذا يتضح أن المنهج في استنباط الحكم من النص أسس على منطق العربية، وابن خلدون وهو يؤرخ للعلوم في الحضارة الإسلامية أطلق علوم اللسان العربي على علوم العربية، وجعلها أركانا أربعة: اللغة والنحو البيان والأدب. وقرر أن «معرفتها ضرورية على أهل الشريعة، إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من

الكاتب في سطور

- عضو هيئة التدريس بجامعة الأزهر.
- عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية
- عضو اتحاد كتاب مصر.
- خبير في منظمة الايسيسكو.
- شارك في العديد من المؤتمرات العربية.
- له جمهرة من المؤلفات.
- له مجموعة من المقالات والقصص في المجلات والصحف العربية.

العلم بلغة العرب واجب على كل مسلم

عمل المستعمر جاهداً لابعاد العربية، وتمكين لغته

صنائع الاستعمار في الشرق العربي كانوا اكثر خطورة على أمتهم من المستعمر نفسه

الكتاب والسنة، وهى بلغة العرب، ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب، وشرح مشكلاتها من لغاتهم، فلابد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة»[١١].

الحملة على اللغة حملة على الدين:

بدهاء شديد ومكر خبيث اتخذ أعداء الإسلام اللغة العربية بوابة خلفية؛ للنيل من المسلمين وإبعادهم عن عقيدتهم، واستخدموا صنوفا من المكائد للوصول إلى مآربهم الخسيسة ومراميهم الدنيئة، وهى عديدة ومتنوعة!

ويحدد الأستاذ محمد قطب بعض الخطوات التي اتبعها أعداء الإسلام لضرب الدين عن طريق اللغة، فيقول[١٢]: حينما تولى (المستر دنلوب) القسيس الثرى عيَّنه كرومر مستشارا لوزارة المعارف - جاء دنلوب ليضرب الأزهر على الأسلوب البطيء الأكيد المفعول؛ ففتح مدارس جديدة تعلم العلوم الدنيوية، ولا تعلم الدين إلا تعليما هامشيا. أما من ناحية اللغة العربية: لغة القرآن الذي يحترق قلب الصليبية حقدا عليه، فقد خطط دنلوب لقتلها والقضاء عليها! فقد كان الراتب الذي يتقاضاه المدرسون من أصحاب المؤهلات العليا «اثنى عشر جنيها» إلا مدرس اللغة العربية وحده يتقاضى «أربعة جنيهات» وكان لهذا الوضع انعكاساته ولا شك سواء في داخل المدرسة أو في المجتمع.

ففي المدرسة: لم يعد مدرس اللغة العربية هو المقدم بل أصبح في ذيل القافلة يتقدمه المدرسون جميعا حتى ذووا المؤهلات المتوسطة، بل يتقدمه - في الراتب - فراش المدرسة - أحيانا - إذا كان ذا أقدمية؟!! ومن ثم لم تعد له كلمة في المدرسة، فلا هو مستشار في شؤونها ولا هو يشارك في شيء من إدارتها! ولم يعد له حتى عند التلاميذ أي احترام ولا أي حساب.

أما في المجتمع: فهو أشد ضياعا منه في المدرسة؛ فالناس جميعا يعلمون وضعه المالي ويعلمون أنه في ذيل القائمة وأن المدرسين الآخرين مقدمون عليه في الراتب والاحترام!

وهكذا يتحدد وضع مدرس اللغة العربية في المجتمع بقدر ما يتحدد راتبه ويصبح مادة دائمة للسخرية يتحدث الناس عن جهله وتخلفه وضيق فهمه وانحطاط مستواه الاجتماعي الفكري، وأشد ما يعاب عليه أنه لا يعلم اللغة الأجنبية! وحين أصبح مدرس اللغة العربية في هذا الوضع المهين الذي لا يبعث على الاحترام؛ فإن وضعه يؤثر حتما على المادة نفسها، وهذا هو الهدف المقصود!

وبالفعل انتقل هذا الوضع المهين المزْري من المدرس الى المادة؛ وبذلك أصبحت اللغة العربية موضع الازدراء والتحقير والنفور؛ فالطلاب يشكون من صعوبة اللغة من نحو وصرف وبلاغة ونصوص وأدب.

وهكذا صوبت السهام إلى اللغة العربية من كل جانب، ولم تعد شيئا يعتز به المسلم العربي كما كان يعتز به طيلة ثلاثة عشر قرنا من قبل، بل أصبحت معرة يسارع الإنسان إلى الانسلاخ منها وتمتين العيب فيها، والانتقاد عليها؛ لكي يصبح من المثقفين!! ولم يكن بد من أن ينتقل هذا الوضع المزري من اللغة ذاتها إلى ما هو مكتوب بتلك اللغة. وكان هذا هو الهدف

الأخيـر المطلوب من ذلك التـخطيط الخبيث!

فالمكتوب باللغة العربية هو ذات الأمـر كله، وهو القرآن الكريم والمطلوب هو: صـرف الأمـة عن تراثها كله وعلى رأسه القـرآن. وانصـرف الناس بالفـعل عن قـرآنهم وتراثـهم بالتـدريج؛ فلم يَعـد يشعرون أنه هو الزاد إنما الزاد هو المكتـوب بلغـة السادة الغالبين!

وقد تم بالفعل صرف المسلمين في تركيا عن تراثهم الإسلامي بتـغـيـير الحروف العربية، وكتابة اللغة التركية بالأحرف اللاتينية على يد كمال أتاتورك وتصفية اللغة التركية من معظم الكلمات العربية التي تتضمنها؛ لتنشأ أجيال تعجز عجزا كاملا عن الاتصال بتراثها الإسلامي؛ فتنقطع عنه وتنشأ بلا دين وقد قامت في مصر محاولات مشابهة على يد عبد العزيز فهمي وغيره ولكنها ولدت ميتة ولم يُقدَّر لها النجاح.

ويعد: فلنفسح المجال لأديب العربية الكبير مصطفى صادق الرافعي؛ لنجد معه صرخته التحذيرية التي تفضح النتائج المنشودة من وراء الحملة المسعورة على لغة القرآن الكريم، إذ يقول:[١٣] «ما ذلت لغة شعب إلا ذل، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار. ومن هنا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضا على الأمة التي يستعمرها ويركبهم بها ويشعرهم عظمته فيها، ويحكم عليهم أحكاما ثلاثة في عمل واحد: فالأول: تحبس لغتهم في لغته سجنا مؤبدا. والثاني: الحكم على ماضيهم بالقتل محوا ونسيانا. والثالث: تغيير مستقبلهم بالأغلال التي يضعها؛ فأمرهم من بعدها لأمره تبع».

أفيقوا أيها المسلمون قبل أن تحل بكم الكارثة، وليت ساعة مندم ووقتها لا ينفع الندم!

**** بدهاء شديد ومكر خبيث اتخذ أعداء الإسلام اللغة العربية بوابة خلفية، للنيل من المسلمين وإبعادهم عن عقيدتهم»**

الهوامش:

(١) العلم باللغة العربية.. ضرورة عقيدية: للدكتور عباس أرحيله، ص ٨٢ - بتصرف يسير - (مقال منشور بمجلة منار الإسلام: عدد محرم ١٤١٥هـ).

(٢) مقالات وآراء في اللغة العربية: للدكتور حمد بن ناصر الدخيل، ص ٥٣، ٥٤، الطبعة الأولى - دار الشبل بالرياض، سنة ١٤١٥هـ.

(٣) فقه اللغة العربية وسر العربية: للثعالبي، (المقدمة) بتحقيق السقا وآخرين، ط. الحلبي سنة ١٣٩٢هـ.

(٤) مقالات وآراء في اللغة العربية: ص ٥٨ - بتصرف يسير.

(٥) الرسالة: للإمام الشافعي، تحقيق أحمد محمد شاكر.

(٦) الايمان: لابن تيمية، ص ١١١.

(٧) الحيوان: لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ تحقيق عبد السلام محمد هارون ١/١٥٤، الطبعة الثانية - مصطفى الحلبي، د.ب.

(٨) اقتضاء الصراط المستقيم: لابن تيمية، ص ٢٠٧.

(٩) الصاحبي: لأحمد بن فارس، تحقيق احمد صفر، ص ٥٠، الطبعة الأولى - عيسى البابي الحلبي، سنة ١٩٧٧م.

(١٠) العلم باللغة العربية.. ضرورة عقلية: ص ٨٧. وانظر صون الكلام عن فن المنطق والكلام: للسيوطي، شرح وتعليق الدكتور سامي النشار، ص ٤٥، الطبعة الأولى - السعادة سنة ١٩٤٧م.

(١١) المرجع السابق: ص ٨٧. وراجع مقدمة ابن خلدون، تحقيق د. على عبد الواحد وافي ٣/١٢٢٤، ط٣٠ - دار نهضة مصر للطبع والنشر، سنة ١٩٧٧م.

(١٢) واقعنا المعاصر: محمد قطب ص ٢٢٢، ٢٢٣.

(١٣) وحي القلم: الرافعي ٢/٣٣.

المرأة العربية

تأليف: عبدالله عفيفي

من حق هذا الكتاب بأجزائه الثلاثة أن يطبع هذه الأيام، لأن الظروف التى حتمت تأليفه منذ أكثر من نصف قرن، قد توجب إعادة طبعه الآن، فقد كثرت المجلات الداعية الى التحلل، المغررة بالمرأة المسلمة كي تخالف نهج الله، كما كثرت الأفلام الداعرة المترجمة عن أوربا وأمريكا، وفيها ما يظهر المرأة عارية غير كاسية، وما يجعل كل رسالتها في الحياة اللهو واللعب والتمادى في الإباحية حتى كاد يقع في أذهان الناظرين والقارئين، أن التقدم الحضاري للمرأة لن يكون إلا بمظاهر النّزق الطائش وأن الاحتشام والتصون مدعاة تأخر وجمود! هذا ما كان بالأمس القريب، وهو اليوم أشد ضراوة، وأعظم فتكا، يقول الأستاذ عبد الله عفيفي، وهو من كبار الكتاب في عصره، وأحد الذين كان يشار إليهم بالبنان عند الصيال الفكرى في مسائل الأدب والتاريخ والاجتماع، يقول المؤلف في مقدمة كتابه[١]:

«لينهض النساء ما شئن أن ينهضن، ففي نهوضهن نهوضنا، وبلوغ غايتنا، ولكن ليحذر الأخذون بيدها، والداعون إلى نهوضها التواء القصد، والتباس الطريق فينالها الزلل وتلج بها العثرات حتى يقول قوم لقد كان ما كانت فيه خيراً وأبقى، ألا وإن من التواء القصد، وضلال الطريق أن ندع نساءنا يتخذن من المرأة الأوربية مثالا يحتذينه، ويمعنّ في التشبه به».

وكما حذّر المؤلف من التبرج الأوربي السافر، والتهتك الغربي الماجن، أراد أن يتخذ المثل للمرأة المعاصرة من سالف عهودها الزاهرة حين كانت تعتز بكرامتها، وعفافها، وقيادتها لمنزلها مدبرة ومنفذة ومقتصدة ولذلك ألف كتابه الرائع في أجزائه الثلاثة متحدثا عن المرأة في الجاهلية والإسلام وفي عصر الحضارة الزاهرة ببغداد والأندلس فجاء حديثه شافيا وافيا، مليئا بالمثل الصالحات!

والكتاب إلى خطته التوجهية ورسالته التربوية كتاب أدب حافل، وتاريخ زاهر. فما أكثر ما عرض من أدب المرأة شعراً ونثرا على مختلف العصور، وما أكثر ما عرض من مواقف البطولة والشرف والمروءة للمرأة العربية من أصدق المصادر وأوثقها رواية، وفي هذا الكتاب الرائع من الشعر الخاص بالمرأة ما لم يوجد شبيهه في كتاب آخر، لأن مصادره المخطوطة قد جاءت للقراء بما كان بعيدا عن تناولهم، أما لغة الأستاذ في تدوين كتابه، فلغة المدرسة البيانية في الأدب العربي التى رفرفت بأسلوبها النقي في أوائل هذا القرن، لغة المنفلوطي والرافعى والزيات وصادق والبشري، وهى لغة ينكرها اليوم من يحسبون كتابة الأدب لا تخرج عن أحاديث المجالس، والأستاذ المؤلف كان خطيباً رائعاً يرسل خطبه الدينية في المواسم المشهودة لأنه كان إمام جلالة الملك الرسمي، وله مركزه الدينى جوار مركزه الأدبي، وجرائد الأهرام والبلاغ وكوكب الشرق تنطق بآثاره، هذا غير مؤلفاته الأخرى ذات القدر المشهود.

وقد ابتدأ المؤلف بحديثه عن المرأة الجاهلية، فأظهر مكان العزة في تاريخها. ومكان الضعف لدى من ظلموها بغير حق، وقد أسعفه تاريخ الجاهلية بمواقف رائعة منها شجاعة المرأة في أيام العرب الحربية، وكرامتها عند قومها مستشهداً بشموخ عمرو بن كلثوم ومصرع ابن هند على يديه لتجاوزه طوره في إهانة المرأة، وبسبب حرب البسوس التى انتشرت أربعين عاما، حفظاً لكرامة لاجئة استعاذت بعربي، وهذا مع ما كان من أمر الشهيرات في عرب الجاهلية من أمثال زينب ملكة تدمر، وبلقيس ملكة سبأ، والزباء غريمة جذيمة الأبرش أما سمو أدبها ونفاذ لبها فشواهده كثيرة فيما اثر عن عزتها



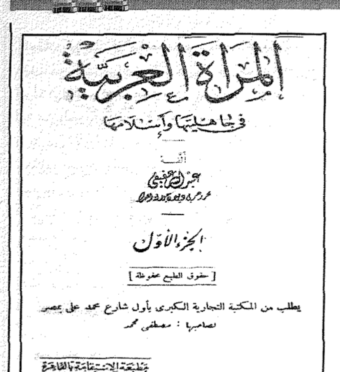
بقلم: أ. د. محمد رجب البيومي
عضو مجمع البحوث الإسلامية - المنصورة

وحريتها وحياتها الزوجية وكرامتها على بعلها وسعة حيلتها في مواقف الضنك مع الالمام بطرائف رائعة عن الشهيرات من امثال الخنساء وهند بن عتبة وزوجة الحارث بن عوف وسفّانة بنت حاتم الطائي ومارية زوجة حاتم.. ولم يسق كل هذا سوقا دون ترتيب بل جاء محكم الرد، متتابع المواقف، بارع التحليل، حتى اصبحت الحادثة على يراع المؤلف اكثر ضوءا منها في اصلها المقتبس منه لأنها لدى المؤلف ذات تمهيد وتحليل واستنتاج مع بيان عربي شفاف.

وقد أفاض المؤلف الكبير في حديثه الشامل عن المرأة في عامة حياتها، اذ كتب فصولا شائقة عن الحجاب والسفور، والثياب والحلي وأدوات الزينة، وملابس الحرب حين تنهض المرأة لمداواة الجرحى واسعاف العطشى، بل حين تمتشق السيف لتحارب مع الرجل في ساحة الهول، اما مظاهر العرس والمأتم فقد أبدع المؤلف في كل ما ذكره عن يوم الإملاك ويوم البناء ويوم الحداد، وألحق ذلك بحديث عن صفات الجمال عند العرب جمعه من مصادر شتى عسيرة المنال.

ومن أحسن ما طربت له في هذا الكتاب ما جاء خاصة بفصاحة المرأة، اذ استشهد المؤلف بروائع زاهية من الادب العربي هتفت بها المرأة في حومة البيان، وفيهن من وصفن الرجال فأجدن الوصف، أما ما ذكره المؤلف تحت عنوان «عيون من الشعر» فكله مختار جيد ويصح ان يحفظ في الصدور لأن ما أثر عن المرأة من لواعج الحنين الى الوطن والبكاء على الراحلين من أبناء وآباء وأزواج وأخوة مما يلفح باللوعة الكاوية، والشجن المذيب، حتى ليجوز لنا أن نقول: إن الكتاب على هدفه التربوي، ونهجه الاصلاحي، مختارات أدبية للشعر النسوي البليغ، وقد قرأت بعد صدوره كتبا خاصة بشعر المرأة مثل كتاب «شاعرات العرب» وغيره، فوجدتها كلها قد نقلت كل ما جاء به الاستاذ عبد الله عفيفي لم تترك منه بيتا واحدا.. وهو إجماع يشهد بحسن التتبع، وسلامة الذوق في الانتقاء والاختيار.

وهذا كلّه عن الجزء الأول الخاص بالمرأة الجاهلية، أما المرأة في صدر الإسلام فقد ابتدأ المؤلف حديثها بالجزء الثاني فجاء في عدة فصول ضافية يصلح


المرأة العربية
في جاهليتها وإسلامها
تأليف
عبد الله عفيفي
محرر بديوان جلالة الملك
الجزء الأول
[حقوق الطبع محفوظة]
يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر
لصاحبها : مصطفى محمد
مطبعة الاستقامة بالقاهرة

غلاف الكتاب

الفصل الواحد منها أن يكون كتاباً برأسه، وقد تجنب الأستاذ عبد الله عفيفي فضول القول الذى نلمسه عند من يريدون أن يظهروا براعاتهم من المؤلفين، حيث يأتون بالموقف الواحد فيخوضون فيما حوله وما بعده من أمور لا تتعلق به، ويطيلون في تخيلات عقلية هي في رأيهم مما يدل على سعة النظر، وعمق التحليل، والحق أن الشيء إذا تجاوز حده انقلب إلى ضده، ووقت القارىء أهم من أن يضيع في استطرادات لا تخدم الموضوع قدر ما يريد بها المؤلف أن يعلن سهولة القلم في يده، وسيره حيث يريد، وفي الفصل الأول حديث عن زهو المرأة العربية في عز الإسلام، وأثر الدين في تربية الرجل والمرأة معا وذلك من خلال أحداث مشهودة روتها كتب السيرة وصحائف التاريخ، ومن أهمها حديث الوأد الذى حرمه الإسلام وما كان من قيس بن عاصم وموقفه من فتاته الضحية المسكينة، وحديث السباء في الجاهلية وما كان من نظرة الإسلام له. وميراث البنات، والحكمة في مشروعيته على الوجه المقرر.

أما حقوق المرأة في الإسلام ففصلٌ مستوعب دقيق، يجمع الى الاقوال الشرعية الأحداث التاريخية، وقد تضمن شذورا تتحدث عن كرامة المرأة في

الاسلام، وقذف المرأة المسلمة وما أعده الله بسببه من عقاب مع الرد على من ذهب منْ كُتَّاب الفرنجة الى أن المرأة في الإسلام سجينة البيت ورهينته وأنه لا نصيب لها من الحرية والتصرف المالي واحترام رأيها فيمن تريد من الأزواج! والغريب أن هذه المفتريات مع بطلانها السافر وكثرة ما تُدوول حولها من الرد القامع تجد من يرددها الآن، أما تعدد الزوجات فما اكثر ما انتقصه الذين يهرفون بما لا يعرفون، وكان المؤلف حصيفا حين نقل عن كتاب الفرنجة انفسهم ما يؤيد التعدد المباح إذا دعت اليه الضرورة، وكثيرا ما تدعو، وهذا التعدد افضل بكثير من نظام المخالة الذي شاع في اوربا بحيث أصبح للرجل زوجة واحدة وعدة خليلات تَراهُنّ الزوجة رأي العين ولا تستطيع ان تنكر بل ربما جرها ذلك الى خيانة الزوج فتكون خليلة لشخص آخر من وراء ستار! وقد نقل المؤلف عن الاستاذ جوستاف لوبون قوله في كتابه «حضارة العرب» (ليس بالهين اليسير أن تدرك اسلوبا من الحياة لأمة من الأمم حتى تفترض كونك في هذه الأمة يحيط بك ما يحيط بها ويحتكم بذات نفسك ما يحتكم بذوات نفوسها. فأما أن تحكم وانت متأثر بطبائع قومك وعاداتهم، وما يحيط بك من وسط ومن بيئة وجو على نظام قوم لا يشاكلونك في شيء مما أنت فيه فذلك ليس من الرأي في شيء).

وهذا القول قاله جوستاف لوبون في مقدمة حديثه عن تعدد الزوجات في الإسلام، وقد اختاره المؤلف وأيده، ولكني أرى أن مسألة تعدد الزوجات انسانية عامة قبل أن تكون خاصة بالشرق والشرقيين ونظام الأسرة في جوهره لا يختلف باختلاف البلدان والأزمنة، فالرجل شرقيا كان أو غربيا، قد يحتاج الى التعدد لضرورات كتبها علماء الاجتماع وبسطوا حديثها الشافي في عدة صفحات! وقد كانت الحرب العالمية الثانية وما تركت من الأرامل الكثيرات في اوروبا جميعها سببا في المناداة بنظام التعدد، وهنا يكون التعدد أمرا عاما لا يخص إقليما أو دينا بعينه، على أن الإسلام دين عالمي لا ينحصر في مكان واحد، وكل من يعتنقه في الشرق والغرب ملزم باتباع شريعته، وما جاء في كتاب المرأة العربية عن ضرورة التعدد في بعض الأحيان الملزمة، لم يخص شرقا بالحديث، بل خص الناس جميعا، وهو ما يجب مراعاته دون التباس.

ومن أجمل ما تحدث به الأستاذ عفيفي في هذا الجزء حديثه عن تأثير المرأة العربية في نهضة الإسلام، وهو حديث يغفله من يصممون على أن المرأة المسلمة قعيدة المنزل، وسجينة الحجاب، إذ كان للمرأة في الإسلام مواقفها البارزة في الحرب والسياسة؛ وحروب الجمل والخوارج فضلا عن غزوات الرسول في صدر الإسلام تُقدّم نماذج رائعة من جهاد المرأة، وما اصطلى معاوية بجمرة الغضب على حلمه المعهود. إلا لما سمع من خُطب نصيرات عليٍّ ودفاعهن عن موقفه بحجج لا ترد وفي هذا الفصل إلمامة بمواقف اسماء بنت أبي بكر، وأسماء بنت عميس، وفاطمة البتول، وهند بنت زيد، وصفية بنت عبد المطلب وأم سلمة ونائلة وعمرة.. وقد انتهى المؤلف من حديث الحرب والسياسة ليتكلم عن أثر المرأة في العلم والأدب، فرجع الى ما ذكره الحافظ ابن حجر في تاريخه عن النساء العالمات في عصره، وإلى ما قاله الحافظ ابن كثير من أنه تلقى الحديث على بضع وثمانين امرأة كلهن محدثات، أما رواية الشعر لديهن فمما فاضت به كتب الأدب ونقل المؤلف شذورا منها تتصل بعائشة بنت طلحة، وعمرة الجمحية، وسكينة بنت الحسين، وعاتكة بنت زيد مستشهدا بأقوال للفيلسوف الفرنسي جوستاف لوبون وغيره من المنصفين، وكما ختم حديث المرأة الجاهلية بنصوص شعرية ونثرية مما قالت المرأة، ختم حديث المرأة الإسلامية بأمثال هذه النصوص، وبالموازنة بين العهدين نجد النصوص الإسلامية أغزر مادة، وأوفى حجاجا، وأعظم ثورة على البُغاة والمغتصبين، أما شعر الحنين المروي على لسان المرأة في هذا الجزء فمما يجب أن يحفظ، ولا أزال أترنم ببعض ما جاء به كقول فتاة أعرابية احتملها زوجها إلى مكان قصيّ مفارقة ذوى قرباها:

ألا أيها الركبُ اليمانون عرجوا
علينا فقد أضحى هوانا يمانيا
نسائلكم هل سال نعمان بعدنا
وحُبّ إلينا بطن نعمان واديا

فـــإن بـه ظلا ظليــــلا ومـــوردا
بـه نُقع القلب الذى كـــان صـــاديا

وقد ختم الجزء الثاني بفصل رائع تحت عنوان «آخر صفحة من كتاب العظائم» تحدث فيه المؤلف عن السيدة زبيدة بنت جعفر زوجة الرشيد، فأفاض في مآثرها النفسية وسماتها الخلقية، وتحدث عن إنشاء (عين زبيدة) بالبلد الحرام مبينا مالاحظته من شدة احتياج ضيوف الرحمن إلى الماء بمكة، وما كانوا يقاسون في حمل القرب على ظهورهم من الأمكنة البعيدة، وقد عز الماء سنة حجها حتى صارت القربة تباع بدينار، فدعت خازن أموالها وأمرته أن ينهض بحفر عين مائية قائلة له: لو كلفتك ضربة الفأس الواحدة ديناراً فلا تُحْجم! فقام بالأمر على وجهه وسيق بعض الماء من جبال طاو على بعد خمسة وثلاثين كيلومتر من مكة، وكذلك سيق الماء من مجرى آخر بوادي النعمان على بعد عشرة كيلومترات، وتلك همة لا ينهض بها إلا أعظم الرجال!

وقد جره حديث السيدة زبيده الى الدفاع عن ولدها الأمين، وما ذكره المؤلف أقوى ما قرأت في موضوعه لأن أكثر المؤرخين قد تحيفوا المغلوب فوصفوه بما ليس فيه. ومما قاله المؤلف:[٢]:

«استغفر الله، ما كان الأمير خليعا ولا مائعا ولا مارقا، ولا سرفاً في دينه ودنياه، بل كان شأنه كشأن أبناء النابهات من العرب، كف ندية، وهمة قصيّةٌ، وفطنة هاشمية، ولكن المرجفين من شيعة المأمون وقالة السوء من شعوبية الفرس الحقوا به ما ألحقوا ظلما وزوراً لأنه اعتصم بالعرب وجعلهم حزبه وشيعته! يقولون إن الأمين قد أسرف في الشراب، ولكنهم كذبوا، لقد علموا أن الرشيد قد حدَّ ابنه المأمون في الخمر وما هو شرٍّ منها، أما الأمين فلم يكدْ يلي أمر المسلمين حتى ارتهن أبا نواس في سجنه وطال فيه بلاؤه وعناؤه!».

أما الجزء الثالث فحديث عن المرأة في عصر بني العباس ببغداد وعن المرأة في الأندلس، وقد تبدلت الحال غير الحال لما جرّه الترف والنعيم من لذائذ المتعة، ومناعم الشهوات، وقد كان للفرس التأثير الأكبر في قصور الخلفاء ومن تتبعهم من الوزراء والقواد والحكام فانعقدت مجالس اللهو، واستبيحت الخمر، وكثرت الجوارى كثرة هانت بجوارها مكانة المرأة العربية في كثير من المنازل والبيوت، يقول المؤلف:

«وأراد الفرس أن يخمدوا آخر جذوة من الحمية العربية فأجلبوا عليهم بكل ما يوهن النفوس ويصبي القلوب من سماع وشراب وكواعب أتراب وأغرقوهم في بحر طام من السرف والترف والزهو واللهو، والمحارم والمآثم ولم يمض غير قليل حتى راح العرب يخطرون في مطارف الفرس ويلعبون في ملاعب الفرس ويتخلقون بأخلاق الفرس، والمرأة والرجل كقوّتي الكهرباء إذا تأثر أحدهما تأثر الآخر وكذلك بدأت المرأة العربية تتأثر».

وتمثيلا لما تقدم من مظاهر التغير المنحرف عند المؤلف كتب فصولا طويلة عن الجواري وأثرهن في المجتمع العباسي وعن الديارات وما احدثت من الفتنة بين المسلمين، إذ كانت مأوى الخلعاء والمتبطلين، وبها تشرب الخمور ويسمع الغناء ويكثر الغلمان والجواري والراهبات، هذا الى ذيوع البغاء والحانات واماكن الرجس، والصورة بهذا الوضع قاتمة حقا ولكن المؤلف قصر حديثه على الجواري والديارات والمواخير ليصوّر هذا المجتمع، وعذره أنه يتحدث عن المرأة ولو كان الحديث عاما لنظر الى الناحية الثانية في بغداد ناحية الزهاد والفقهاء والمتكلمين وهم عصبة خير تلوذ بالفضائل وتنأى عن الشهوات! فيكوِّنون الكفّة المقابلة للكفّة التى تحدث عنها المؤلف! وشبيه بما تحدث به عن العراق جاء حديثه عن الحياة في الأندلس واثر المرأة في هذه الحياة ومن نبغ من الأندلسيات في الشعر والأدب والغناء ثم انتقل الى تسرب الوهن في المجتمع الأندلسي. وانسياق الأسر الاندلسية في مساق الفرنجة مما تمخضت عنه النكبة الحاقة بالأندلس فكانت عثرة لا تُقال.

ألا يرى معي القارىء أن الكتاب موسوعة نادرة، وأنه جدير بالذيوع ليؤدي رسالة حاضرة أداها من قبل في زمن قريب! وجاء موعد أدائها الآن بعد أن اختلطت الأوراق واشتبهت الأمور؟!.

كهفان

عمار صبيح التميمي
- صنعاء -

غيَّبوا (يوسفَ) الجميلَ وغابوا
فعلا وجْهَهُ الأنيقَ اكتئابُ
أهي اللعبةُ الجديدة حقاً
ويح ما قد تهامس الأترابُ
صاح: (يا إخوتي لقد ملَّ قلبي)
فأتاه الصدى المخيفُ اليبابُ
وي كأنَّ الرَّدى سيولدُ فيها
(يوسفُ) الآن قد أتاك الصوابُ
صرخ الليلُ بين جفنيك حتى
تلمح البحرَ قد عراهُ اصطخابُ
ثمَّ أهمت سحائب من لهيب
أحرقت صوته الطريَّ السحابُ
وتلوَّت مرافىء الأفق حيرى
إذ يواسيك بدرُها الوهَّابُ
فجأة جاءه نبوءة مغبو
نين في الجُبِّ اذْ يعمُّ المُصابُ
سبقوا (يوسفاً) إلى الجُبِّ هذا
مثلما يسبقُ البكاء انتحابُ
ثمَّ ماذا..؟ وكلُ شيء مخيفُ
العذابُ الذي اقتفاه العذابُ
والصحابُ الألى قد امتهنوا الغر
بة ما عاد يُرْتَضى الاغترابُ

* * *

كيف تبكي؟ وفي دماك بلاد
تسع الأفق بيدها والهضاب

غـــــيـــــر أنَّ المـكـان يمـتـــــدُّ دربـاً
مـــــوحـش الخـطـو يـرتـديـه الـســــرابُ
انـه مـــــثـلـمـــا المدى بين مـــاضـيك
وأرض كـــالـهـــمـس فـــيـــهــا الـتـــرابُ
هـكـذا قـــــام يـوسـف لـيـــــراهـا
أرضــــه الحلمُ والجـــمــــالُ المذابُ
وعـــــدا خلفـــه بقـــيـــةُ عـــذر
أنَّ أهـلـيك لـم يـصـلـهـم عــــــتـــابُ
انـهـــــا الجـنـة الـتـي كـنـت تـبـــــغـي
صـــيــفـهـــا والـشــتـــاء شيء عــجـــابُ
عطـرهـا مـن مـــــفـــاتـن الخلـد لـو كــــان
على الخلـد من ضـــبـــاب ضــــبـــابُ
شـــجـــــرٌ وارفُ الـظـلال وعُـــشْـــبٌ
ونـخـــيـلٌ وجـــاريـاتٌ عـــــذابُ
وحـــســــانٌ تطـوفُ حـــولـك كـــالــــ
ــسـحـــر كُــسـالى ومـــا ترى يُـســتـجـابُ
إنَّ هــذي هــي الحــــيــــــاة وهـذي
هـي جـنـاتُ عـــيـــشـــهـــا لا الجــبـــابُ

* * *

غــــيـــــر أن الحنين لازال حـــيـــــاً
مـلـؤه الـدمـع والـهــــوى والعــــتـــابُ
يـتــــراءى لـه بـقـــيـــة عـــمـــر
أشْـــعَــث حـــولـه المُدى والحـــرابُ
وبـقـــايـا لحلمـــه قـــد تـبـــدى
أبـيـض الـلـون يعـــتـلـيـــه ارتـقـــابُ
يـتـــمـــــلاه (يـوسـف) بـذهـول
كــســؤال يضـــيـع مـنـه الجـــوابُ

إنتـاج واستـهلاك، وتكـا

يحتل الغاز الطبيعي موقعاً مهماً في سوق الطاقة الدولي، وهو كالنفط يمكنه أن يلبي مدى واسعاً من احتياجات الطاقة، ابتداء من استخدامه في توليد الكهرباء، وفي التدفئة السليمة بيئياً، إلى استعماله كوقود في البويلرات. ولكن تكلفة نقله - على العكس من النفط - مرتفعة، الأمر الذي يؤدي إلى استهلاك الجزء الأكبر منه في نفس الدولة التي تنتجه، وهو من هذه الناحية يشبه الكهرباء، وإلى حد ما الفحم. ولهذا السبب أيضاً لا يوجد سعر عالمي للغاز الطبيعي كما هو للنفط والفحم، وسوقه تعتبر سوقاً هشة وأنماط الاتجار به غير مرنة، مما يستدعي أن تكون كل صفقة تتعلق بالغاز مفصلة ومحددة.

وهنالك أفضليات بيئية مهمة ترتبط بالغاز الطبيعي الذي يعتبر وقوداً أنظف من النفط والفحم. وعلى مخططي الطاقة وصانعي السياسة أن يضمنوا تقييم المشاريع التكاليف والعوائد البيئة النسبية للغاز ولأنواع الوقود البديلة الأخرى.

وتحت مثل هذه الظروف ليس غريباً أن تختلف أسعار الغاز بشكل واسع في أرجاء العالم، أو أن تكون هناك دولة ما تعتمد اعتماداً كبيراً على الغاز في توليد الكهرباء في حين تقتصر دولة جارة لها على استخدام الغاز في إنتاج الأسمدة والبتروكيماويات. وتنتج مثل هذه التفاوتات الظاهرة بسبب خليط من القوى السوقية والتقنية يجعل من اقتصاديات الغاز الطبيعي موضوعاً متنوعاً ومثيراً للاهتمام، إلا أنه لم يفهم جيداً بعد ولم يتابع بشكل واسع. وعلى الرغم من وجود أسواق غاز ناضجة ومؤسسة منذ فترة طويلة في الدول الصناعية ، إلا أن تقنيات التنظيم والتسعير هي على الأغلب نتاج حوادث تاريخية مبنية على تطبيق غير مناسب لمبادىء المحاسبة على اهتمامات اقتصادية جوهرية.

أما في الدول النامية فإن هذه الاهتمامات نفسها تتنوع بشكل واسع مثلما تتنوع محاولات معالجتها، ولدى البعض تبدأ المشاكل عند رأس البئر. ولقد استعارت هذه الدول أنظمة تسعير المُنتج وأنظمة الضريبة من صناعة النفط، ولكنها إن لم تستطع تعديلها لتتناسب مع الوضع الخاص للغاز فإنها سوف تصيب عملية تطويره بعجز خطير. وفي بلاد نامية أخرى تكمن المشكلة الرئيسية فيها في أسعار المستهلك، فيجب أن يكون الغاز منافساً لكافة أنواع الوقود الأخرى وفي مجالات استعمال مختلفة، وهذا الأمر عادة ما يدفع الحكومات إلى محاولة (تحريك السوق) بتطبيق عدد كبير من تعرفات معقدة للغاز ومحددة لحالات متنوعة، وإن لم تحسب هذه التعرفات بشكل دقيق، ولم تعدل في كل مرة تتغير فيها عوامل وأسعار الطاقة الأخرى فإنها سوف تمثل حافزاً ضعيفاً، والكثير من عدم التأكد لدى العملاء المحتملين الذين يفكرون في التحول الى الغاز. وفي الكثير من الدول النامية ليست فقط أسعار الغاز بحاجة الى توجيه بل كل أنواع المسائل المتعلقة بتطوير الغاز، وتتضمن هذه المسائل؛ موقع الغاز ضمن الاستعمالات التنافسية، وتتابع تطوير الحقل، وتخفيض معدلات حرق غير المستغل منه، وسرعة استنزافه، وغيرها الكثير. إن الأحكام التجريبية التقليدية المذكورة في

بقلم : نايف العبادي
الاردن

ـيف استغلال الغاز الطبيعي

الكتب الهندسية لا تكفي لمعالجة مثل هذه المسائل، فالأمر يتطلب إطار عمل شامل من التحليلات التي يمكن تطبيقها بشكل معقول على الظروف الاقتصادية والتقنية الخاصة بالغاز.

وفيما يتعلق بالعرض والطلب على الغاز فإنهما يتوزعان بشكل غير عادل ما بين الدول، ففي عام ١٩٨٩م كانت أكثر من ٥٠٪ من احتياطات العالم من الغاز الطبيعي المؤكدة، والبالغة ١٦١ تريليون متر مكعب، تقع في الدول النامية ومن ضمنها دول أوبك، في نفس الوقت فقد بلغ استهلاك هذه الدول ما نسبته ١٧٪ من استهلاك العالم الكلي للغاز. ولقد بلغ المعدل العالمي للاحتياطات المؤكدة إلى الإنتاج الحالي ٥٤ عاماً تقريباً مقارنة مع ٤٥ عاماً بالنسبة للنفط. وهنالك اختلاف كبير في هذا المعدل ما بين الدول ويتراوح هذا الاختلاف من حدوده الدنيا البالغة ٥ر١٢ عاماً في أمريكا الشمالية الى مستوياته العليا البالغة ١٥٤ عاماً في نيجيريا و٥٧٧ عاماً في إيران و٦٣٢ عاماً في قطر. وتشير هذه الأرقام بأن هنالك مجالا مهماً للنمو السريع في



ـ وحدة رفع الغاز.

استهلاك الغاز في العديد من الدول خاصة في العالم النامي.

إن إمكانات النمو لإنتاج واستهلاك الغاز الطبيعي أكثر وضوحاً في الدول النامية منها في الدول الصناعية، فمن المتوقع أن ينمو الطلب العالمي على جميع أشكال الطاقة حتى العام ٢٠٠٠ بمتوسط معدل

- محطة التجميع.

سنوي مقداره ٦ر١٪ تقريباً مقارنة مع ٣٪ سنوياً في الدول النامية تقريباً حيث يتوقع أن يصبح الغاز الطبيعي في الأخيرة؛ الوقود الأسرع نمواً، باستهلاك يتزايد بنسبة ٨٪ سنوياً. وبمعدل النمو هذا فإن حصة الغاز الطبيعي في الاستهلاك الكلي للطاقة سوف تزيد من حوالي ١٠٪ في عام ١٩٨٨ إلى حوالي ١٨٪ في عام ٢٠٠٠.

إنتاج الغاز الطبيعي:

ارتفع الإنتاج الإجمالي العالمي والإنتاج المسوق للغاز الطبيعي ما بين عامي ١٩٧٥ و ١٩٨٨م بمعدل سنوي بلغ ٣٪ ووصل إلى ٣ر٢ تريليون متر مكعب، ومع ازدياد إنتاج الغاز ازدادت أيضاً نسبة إنتاج الغاز إلى إنتاج النفط، ووصلت هذه النسبة الى ٥٩٪ في عام ١٩٨٨م. وقد نما الانتاج المسوق في الدول النامية خلال الفترة ذاتها بما نسبته ٨٪ ووصل الى ٣٣٣ بليون متر مكعب، أي زاد عن ضعفي مستواه في عام ١٩٧٥. وخلال تلك الفترة أيضاً قامت دول الأوبك تحديداً بالتخفيض فعلياً من إحراق الغاز بهدف التخلص منه، كما قامت بزيادة استهلاكها من الغاز الطبيعي.

وفي عام ١٩٨٨م تم إعادة حقن ما يقارب ٢٠٩ بليون متر مكعب من اجمالي انتاج الغاز في باطن الأرض بسبب عدم القدرة على استغلاله، وكانت الجزائر، والولايات المتحدة، وكندا، وفنزويلا، وايران، مسؤولين عن ما يقارب ٨٠٪ من إجمالي الغاز المعاد حقنه في الحقول. وهبط أيضاً مقدار الغاز المحرق بهدف التخلص منه في عام ١٩٨٨م الى ٩٢ بليون متر مكعب من مستواه الذي وصل في عام ١٩٨٠ إلى ١٦٤ بليون متر مكعب، أي بما يقل عن ٤٪ من الإنتاج



الإجمالي. وكانت دول الأوبك أيضاً مسؤولة عن ٤٩٪ من الإحراق الإجمالي العالمي للغاز الهادف للتخلص منه.

وقامت الدول النامية كمجموعة - ومن ضمنها دول الأوبك - بتسويق ٤٠٪ من إنتاجها الكلي الاجمالي، أما الباقي فقد أحرق بهف التخلص منه أو أعيد حقنه في الحقول. أما في الدول الصناعية فإن معدل الانتاج المسوق إلى الإنتاج الإجمالي كان أعلى بكثير، ووصل الى ٨٣٪ وفي دول أوروبا الشرقية كان هذا المعدل عالياً جداً حيث وصل الى ما يقارب ٩٧٪.

أما في ما يتعلق بتوزيع إنتاج الغاز الطبيعي عبر الدول المختلفة فقد كان لدى الاتحاد السوفيتي السابق أعلى إنتاج للغاز، ويقدر بما نسبته ٤٠٪ تقريباً من اجمالي العالم، وتتبعه الولايات المتحدة بنسبة ٢٤٪ من الإنتاج الإجمالي، وتليهما هولندا التي تأخذ الترتيب الثالث كمصدرة للغاز وبنسبة ٣٪.

استهلاك الغاز الطبيعي:

يصل استهلاك الغاز الطبيعي إلى ما نسبته ٢٠٪ من إجمالي الاستهلاك العالمي من الطاقة التجارية؛ وتراوحت هذه النسبة في دول أوروبا الغربية ما بين ١٥ إلى ٢٥٪ وبلغت في الولايات المتحدة حوالى ٢٠٪ وبقيت كذلك لعدة عقود متوالية، وتجاوز استعمال الغاز الطبيعي ما نسبته ٢٥٪ من استهلاك الطاقة التجارية في العديد من الدول النامية ومنها الباكستان والأرجنتين والمكسيك.

وقد شهد عقدا الستينيات والسبعينيات نمواً سريعاً في استهلاك الغاز، ويعود ذلك بشكل رئيسي إلى أن سعر الغاز كان منافساً مقارنة مع سعر النفط. ومع ارتفاع أسعار النفط والغاز معاً في نهاية السبعينيات، وتباطؤ نمو الطلب الكلي على الطاقة، فإن النمو فى استهلاك الغاز تباطأ أيضاً ليصل إلى معدل سنوي مقداره ٣٪ وذلك ما بين عامي ١٩٧٥ و١٩٨٨.

وقد تصدر الاتحاد السوفييتي السابق دول العالم في استهلاك الغاز بنسبة بلغت ٥٣٪ من استهلاك العالم الإجمالي، وكان ذلك نتيجة قيام الاتحاد السوفياتي السابق خلال الفترة ما بين ١٩٧٥ - ١٩٨٥ بزيادة معدل استهلاكه ليصل إلى ٣ر٦٪ سنوياً، وتليه أمريكا الشمالية كثاني أكبر مستهلك للغاز الطبيعي بنسبة بلغت ٢٤٪ من استهلاك العالم. وزادت أوروبا - ثالث مستهلك رئيسي للغاز في العالم - استهلاكها من الغاز الطبيعي بنسبة ١٣٪ من الإجمالي العالمي بمعدل بلغ ٣٪ سنوياً، وكان ذلك بشكل أساسي بسبب الزيادات في كل من فرنسا وإيطاليا والمملكة المتحدة. أما في اليابان فقد تضاعف استهلاك الغاز بما يزيد عن أربع مرات ما بين عامي ١٩٧٥ و ١٩٨٨ ويعود ذلك بشكل أساسي إلى المقادير الكبيرة المستوردة من الغاز الطبيعي المسال (LNG).

وكان النمو الأكبر في استهلاك الغاز ما بين عامي ٧٥ - ١٩٨٥م في الدول النامية حيث تضاعف الاستهلاك تقريباً ليصبح ١٤٪ من استهلاك الغاز العالمي في نهاية الفترة أعلاه. وتزايد استهلاك الغاز الطبيعي بمعدلات سنوية بلغت ١٦٪ في أفريقيا، و١٠٪ في الشرق الأوسط، و٥٪ في أمريكا اللاتينية. ومن المتوقع خلال ما تبقى من عقد التسعينيات أن ينمو استهلاك الغاز للدول النامية بمعدل أعلى من أي مصدر طاقة آخر وبمعدل من المتوقع أن يصل إلى ٨٪ سنوياً. ويعود هذا بشكل رئيسي إلى الطلب المتوقع من قبل مستهلكي الطاقة الحاليين الذين يمكن أن يتحولوا إلى الغاز.

وبسبب خواص الغاز كأحد المواد المدخلة في الصناعة، وكوقود نظيف يمكن بسهولة إحلاله بدل مشتقات البترول، فقد دخل الغاز بقوة في كافة القطاعات المستهلكة للطاقة، باستثناء قطاع النقل، ويعتمد معدل تغلغل استهلاك الغاز الطبيعي في مختلف القطاعات المستهلكة للطاقة على اقتصاد الدولة، وعلى وضع الطاقة والصناعة فيها، وكذلك على الأحوال المناخية والديموغرافية فيها.

وتعتبر سوق الصناعة صاحبة الطلب الأكبر على الغاز، وهي - بشكل عام - تعتبر المرحلة الأولى للتنويع

في عملية تطوير صناعة الغاز. ففي عام ١٩٨٦ كانت هذه السوق مسؤولة عن ٢٨٪ من الطلب العالمي على الغاز، ومن المتوقع أن تزيد حصتها مع استغلال الغاز كمادة خام لإنتاج الأسمدة والميثانول، كما تستهلك هذه السوق حالياً ما نسبته ٦٪ من الاستهلاك الكلي من الغاز الطبيعي.

ووصل استهلاك سوق الطاقة الكهربائية إلى ما نسبته ٢٥٪ من الاستهلاك الكلي للغاز ومن المتوقع أن تزداد هذه الحصة مع استعمال تكنولوجيا التوربينات الغازية الجديدة. وتعتبر اليابان حالة استثنائية حيث أن ٧٥٪ من استخدام الغاز فيها كان في قطاع الطاقة الكهربائية، ويعود ذلك بشكل رئيسي لأسباب بيئية. أما حصة الطاقة الكهربائية من الغاز في الدول الصناعية الأخرى فهي أقل، فعلى سبيل المثال تقدر في الولايات المتحدة بما نسبته ١٤٪ وفي أوروبا ٥ر١٢٪. أما في العديد من الدول النامية ذات الاقتصاديات الأقل تنوعاً فإن قطاع الطاقة الكهربائية فيها يعتبر قطاعاً كبيراً متناميا، وهو غالباً ما يكون مسؤولاً عن ٣٠٪ من الطلب على الغاز.

ويعتبر طلب القطاع التجاري والسكني على الغاز من أجل التكييف، وتسخين المياه، والتدفئة كبيراً وخاصة في الدول الصناعية، ويقدر استهلاك هذين القطاعين ما نسبته ٢٦٪ من الاستهلاك العالمي للغاز. ويعتبر المناخ، وكثافة الإسكان ومستوى الدخل، من المحددات الرئيسية لمدى تغلغل الغاز في القطاعين السكني والتجاري. ويبقى سوق الغاز السكني في الكثير من الدول الصناعية السوق المتنامية الرئيسية. ويشمل السوق التجاري استخدام الغاز، في المكاتب، والفنادق، والمدارس، والمحلات التجارية. أما في الدول النامية فمع جوها الدافيء إلا أن استخدام الغاز التجاري والسكني قليل نسبياً. ومع ذلك وفي دولة كالباكستان، فإن القطاعين التجاري والسكني مسؤولين عن حوالي ١٥٪ من إجمالي الطلب على الغاز فيها.

إن نمط استخدام الغاز في الدول النامية مختلف جداً عن الدول الأخرى حيث تستعمل حصة كبيرة من الغاز ـ تصل إلى ما نسبته ٩٠٪ في قطاعي الصناعة والطاقة الكهربائية. ففي الباكستان على سبيل المثال؛ ٣٥٪ من استهلاك الغاز هو في قطاع الطاقة الكهربائية، و٣٥٪ في الصناعة، و١٦٪ في إنتاج السماد، و١٤٪ في القطاعين التجاري والسكني.

تكاليف استغلال الغاز الطبيعي:

يمكن تقسيم نظام عرض الغاز إلى أربعة مراحل مترابطة هي، الاستكشاف، الاستغلال والإنتاج، النقل، التوزيع، وعلى عكس النفط فمن النادر أن يستخدم الغاز فوراً بعد إنتاجه. وإن استهلاك أول كمية من الغاز عادة ما تتطلب نفقات مبدئية كبيرة تُنفق على شبكة كاملة من معدات الاستكشاف، والإنتاج والنقل، والتوزيع. ثم بعد ذلك فإن استهلاك مقادير إضافية من الغاز يتطلب نفقات إضافية صغيرة حتى يتم الوصول الى الطاقة القصوى للنظام. وبسبب هذا النمط من الاستثمار المتكتل على مراحل فإن واحداً من أكبر مصادر الصعوبات في تحليل تكاليف عرض الغاز هي أن هذه المراحل جميعها متداخلة، وأن البنية التحتية للغاز وحتى يصل إلى رأس الحارق يجب أن يتم التخطيط لها بطريقة تكاملية، ولا تتواجد مثل هذه المشاكل في حالة النفط.

وهنالك سحوبات كبيرة من الأموال في الفترة المبدئية من الإنفاق على كل من الاستكشاف، والتطوير، والنقل، والتوزيع، ومن الممكن أن يستغرق النظام الكلي الذي يغطي المراحل الأربعة هذه في أي مكان كان من خمس إلى عشرة سنوات، ويعتمد ذلك على مدى التعقيد الفني للحقل، وحجم النظام، واقتصاديات المشروع، وإدارة إمكانات المؤسسات المسؤولة عن تطبيقه.

وتهدف نشاطات المرحلة الأولى ألا وهي الاستكشاف إلى تحديد ما إذا كان الحقل النفطي أو الغازي موجوداً في منطقة ما أم لا، وإذا كان موجوداً يصبح هدف هذه النشاطات التأكد ما إذا كان الحقل كبيراً منتجاً يستحق الاستغلال أم لا، وعادة ما يبدأ

الاستكشاف بدراسة المعلومات الجيولوجية المتوفرة ومن ثم تتبعها المسوحات الجيولوجية والجيوفيزيائية، التي تحدد فيما إذا كان حفر الآبار الاستكشافية مبرراً. وتكلف البئر النموذجية القريبة من الشاطىء ما بين ١٠ ـ ١٥ مليون دولار، بينما من الممكن أن تتراوح تكلفة البئر البعيدة عن الشاطىء ما بين ١٥ ـ ٣٠ مليون دولار.

ومن التعقيدات التي تواجه عملية تقدير تكاليف الاستكشاف من أجل استغلال الغاز أنه غالباً ما يتم العثور عليه من قبل شركات النفط التي تحفر بحثاً عن النفط، وهذا يجعل تقسيم التكاليف ما بين النفط والغاز صعباً. وعندما يتم إيجاد الغاز خلال عملية البحث عن النفط فإنه من الممكن أن تعزى كافة تكاليف الاستكشاف إلى النفط، وهناك بالطبع مناطق غازية تبحث الشركات فيها وهي تعرف أنها سوف تجد الغاز فقط.

المرحلة الثانية من نظام عرض الغاز هي عملية الاستغلال والإنتاج وهذا يشمل الحفر، وتحضير الحقل، وتجميع الغاز في الحقل، وضغط الغاز، وفصل سوائل الغاز الطبيعي، ومعالجة الغاز، وهدف هذه العمليات كلها هو إنتاج غاز عالي الجودة (جودة خطوط الأنابيب) وبشكل يفي بالمقادير المتعاقد عليها، وبمتطلبات الجودة والضغط أيضاً. إن تكاليف الاستغلال والإنتاج هي دالة في كل من عدد الآبار الكافية والضرورية للشروع في استغلال الحقل، ومواقع هذه الآبار (بُعدها عن السوق، وفيما إذا كانت بعيدة أو قريبة من الشاطىء)، ووضعية المكامن، والبنية التحتية على السطح الضرورية لأغراض التجميع، والفصل والمعالجة، وقياس الأبعاد، وتعتمد الأخيرة بشكل كبير على البعد ما بين البئر والأخرى، وعلى نوعية وجودة الغاز. وتعتبر تكاليف الاستغلال والإنتاج دالة متزايدة مع عدد الآبار وحجم الإنتاج، ولكنها دالة متناقصة مع الإنتاجية وجودة الغاز.

إن تقسيم تكاليف الاستغلال والإنتاج ما بين النفط والغاز المرافق له، وكذلك ما بين الغاز الصافي والمنتجات الثانوية الأخرى للغاز مثل الغاز النفطي المسال، والبنزين، هي عملية صعبة. واستخلاص الغاز المرافق غالباً ما يعتمد على إنتاج النفط، ومن الممكن أن تحدد الكفاءة الفنية في استخراج النفط مقدار الغاز المنتج. وفي بعض الحالات، يكون من الضروري إعادة حقن الغاز لزيادة النفط المستخرج، الأمر الذي يؤخر الاستفادة من الغاز، ولذلك فإن التخصيص المناسب للتكاليف يعتمد على الظروف الخاصة بكل حالة.

والمرحلة الثالثة من استغلال الغاز هي نقله من الحقل، أو من مصنع المعالجة إلى المدينة حيث تتواجد أماكن الاستهلاك. إن الاستثمارات في وسائل نقل الغاز كبيرة، والتكاليف مربوطة باقتصاديات الحجم الكبير. وتعتمد هذه التكاليف بشكل أولي على قطر خط الأنابيب الذي هو دالة في أعلى مستوى للطلب، وكذلك في طول خط الأنابيب. وبشكل عام تُستعمل طريقة التكلفة المضافة في تقديرها.

والمرحلة الرابعة هي توزيع الغاز إلى المستهلكين النهائيين. وتختلف تكاليف التوزيع حسب حجم وطبيعة طلب العملاء. وفي حين أن تكلفة توصيل الغاز إلى مصنع توليد كهرباء تعتبر ضخمة، فإن التكلفة المضافة للمتر المكعب الواحد منخفضة إلى حد بعيد بسبب اقتصاديات الحجم الكبير. ومن ناحية أخرى فإن تكلفة التوزيع للقطاع السكني والتجاري مرتفعة كثيراً بسبب صغر حجم الطلب من قبل هذا القطاع نسبياً. والاستثمار في التوزيع يجب أن يبنى على أساس مستوى الطلب الأعلى في النظام، وبشكل عام، فإن تكاليف التوزيع تكون حساسة للمقادير المتوسطة والكبيرة من الطلب، ولكثافة السكان، وللخصائص الفنية للنظام (على سبيل المثال، إذا ما كان يستخدم خطوط أنابيب معدنية أم بلاستيكية). وهنا مرة أخرى يعتبر استخدام أسلوب التكلفة المضافة بشكل عام مناسباً.

المغنيسيوم وأثره في الصنـ

يترابط تاريخ عنصري المغنيسيوم والألمنيوم ترابطاً وثيقاً، فقد عرفهما العلم في آن واحد تقريباً .. وتكاد خواصهما واستعمالاتهما ان تكون متقاربة ومتشابهة، فما ان أصبح الالمنيوم المادة البنائية الرئيسة في صناعة الطائرات حتى توجه العلماء الى مادة اخرى اكثر خفة - ونعني بها المغنيسيوم .. وبمجرد ان مرت عشر سنوات على تحليق أول طائرة مصنوعة من سبائك الألمنيوم حتى أخذ المغنيسيوم يزحف ببطء ولكن بثقة ليدخل عالم الصناعة وبكل تحد.

وكما اتضح فقد كانت إمكانات المغنيسيوم عظيمة للغاية. فبواسطته يمكن صنع مواد جديدة وخفيفة تستخدم في صناعة الطائرات والسيارات وسكك الحديد ووسائل النقل الاخرى السائرة فوق سطح الأرض أو تحت سطح الارض كما في الميترو، وكذلك في صناعة المكائن والطاقة الكهربائية.. والحقيقة ان المغنيسيوم لا يخفف من وزن المكائن والهياكل فحسب، بل يرفع من انتاجية وانسيابية حركة المكائن والاجهزة الآلية.

خلال سنة ١٩٣٥م تم صنع أول طائرة يتكون ثلاثة ارباعها من سبائك المغنيسيوم. وقد مرت الطائرة بجميع التجارب وعملت فترة طويلة في ظروف قطبية صعبة.

وقد اتاح المغنيسيوم تخفيف وزن العديد من الاجزاء وتحقيق اقتصاد وتقليل بالكلف بنسبة تتراوح ما بين (٢٠ - ٣٠٪)، كما اكتشف ان المغنيسيوم له افضليات اخرى، فسبائكه تتحمل الترددات بشكل افضل، ومن السهل صنع القواطع منها، وهي اسرع من الالمنيوم مرتين وتستهلك معدات صب أقل بعض الشيء.

هذا وصنعت بالأعوام الأخيرة سبيكة من المغنيسيوم والثوريوم والنيوديميوم والأتريوم يمكن الافادة منها في درجات حرارة تصل الى (٣٧٥) درجة مئوية، وفي حالات الاحماء القصير الأمد الى (٤٥٠ درجة مئوية). وغالباً ما تستخدم سبائك من المغنيسيوم والزركونيوم والثوريوم لانها تتميز بخاصية عالية لتحمل الحرارة والمتانة الآلية. كما صنعت سبيكة من المغنيسيوم والزركونيوم تتصف بامتصاص الترددات بشكل جيد.

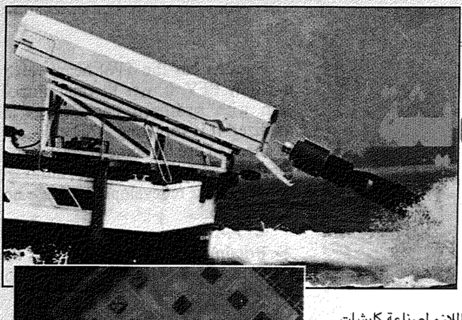
شق المغنيسيوم طريقه الى الفضاء ايضاً .. ولم يحتل مكانه في الاجهزة الفضائية بفضل خفة وزنه ومتانته فحسب بل ولكون قابليته على امتصاص الحرارة قد جعلت من سطوحه غير ساخنة جداً في الوقت الذي تحتفظ فيه هذه المادة بمتانتها وعدم هشاشتها بدرجات الحرارة الواطئة، يضاف الى ذلك ان هذا العنصر وبخلاف الحديد والالمنيوم يتحمل الانخفاضات الحادة في الضغط دونما تشويهات في شكله.

كانت ثمة مشكلة قد نشأت مع نشوء الطيران المائي أو البحري. فقد كانت اولى هذه الطائرات في هذا المجال تعاني من ماء البحر المالح الذي ينخر حتى هياكل السفن البحرية، ولمواجهة هذه الظاهرة استخدمت اساليب وقاية (كهربائية - كيمياوية) لا يستعاض فيها عن المغنيسيوم. وهكذا ساعد هذا العنصر على اتقاء الصدأ في المنشآت التقنية المستخدمة بالصناعة النفطية تحت سطح الماء في بحر قزوين ويسر استغلالها مدة اطول تحت سطح الماء مما وفر مبالغ كبيرة سنوياً.

ان صيانة الهياكل وحمايتها من التآكل والصدأ ضرورية ليس في البحر فحسب، بل وتحت سطح الارض اذ تسري تيارات مائية سائبة يمكن ان تلحق ضرراً فجائياً بوسائل المواصلات كما يمكنها ان تعمل على تصدية كابلات الطاقة الكهربائية الممتدة تحت سطح الارض، وتجنباً للكوارث تربط بأسلاك وسائل الاتصال مصعدات (أنودات) مغنيسيومية يتولى فيها العنصر وظيفة استقطاب الشرار حامياً بذلك شبكات المنشآت.

وتلقى خاصية المغنيسيوم في بعث تيار كهربائي في ظروف معينة بعض التطبيقات، وعلى سبيل المثال فقد صنعت نضائد (بطاريات) تبدأ بالعمل حال تسرب ماء البحر اليها وهي تستخدم اليوم لاغراض الانقاذ.

بقلم : معمر بن زهران بن محمد العبري
- سلطنة عمان -



والطباعة من الاستخدامات المهمة للمغنيسيوم فمن هذا المعدن تحضر رقائق طبع (كليشات) ذات نوعية عالية لا تدانيها الرقائق المصنوعة من النحاس أو الزنك، علماً أن الوقت اللازم لصناعة كليشات المغنيسيوم اقل مما تستغرقه صناعة كليشات الزنك بمقدار مرتين.

وكما هو معلوم فان القلوس (الحبال) الحديدية ضرورية في كل حدب وصوب. لكنها كما نعرف سريعة الاستهلاك من جراء الاحتكاك والاهتراء. وقد كانت الدهون والشحوم تستخدم سابقاً لتقليل الاحتكاك، ولكن الحدادة كانت تتجمع وتختلط بالشحوم لتكون مادة ثقيلة تعيق الحركة، فتوجب لف القلوس على اسطوانات وبكرات مصنوعة من مادة خفيفة لا تسبب احتكاكاً كبيراً، وهنا جاءت سبيكة المغنيسيوم لتلبي هذا الغرض المطلوب. وقد ثبت ان القلوس العاملة على بكرات مغنيسيومية تدوم ثلاث الى اربع مرات أطول.

نجح استخدام المغنيسيوم أيضاً بالأعمال الجيولوجية. وقد ساعدت سبائك المغنيسيوم على تخفيف وزن معدات الحفر وتنفيذ الحفريات الى مسافات أعمق، وخفف بالتالي من نفقات نقل وصيانة المعدات.

مع كون الالمنيوم من اوسع المعادن انتشاراً في الارض الا ان ذلك لا يعني ان صناعة الالمنيوم لا تعاني من مشكلة الخامات. فقد ادى استخدامه الشديد الى نضوب القسم الأكبر من النوعيات الجيدة للبوكسيت. يضاف الى ذلك أن مكامن خامات الالمنيوم تقع في الغالب الاعم بعيداً عن اماكن تصفيتها وتصنيعها. بينما نجد ان خامات المغنيسيوم مازالت على العكس من ذلك غير ناضبة وتحت الطلب دائماً. ولكن يجدر القول ان استخراج معدن المغنيسيوم من المناجم ما انفك يكلف غالياً، وأن سعره في السوق العالمية اليوم اغلى من سعر الالمنيوم بأضعاف مضاعفة. وهذا ما يجعل الصناعيين يتحفظون إزاء العديد من مجالات استعماله.. بيد ان دلائل هبوط كلفته باتت تلوح في الافق بفضل تحسن تكنولوجيا استخراجه. ويتوقع خبراء مكتب المناجم الامريكي ان سعر الباون منه سيصل (٣٠) سنتاً في حدود سنة ٢٠٠٠، فيما سيكون سعر باون الالمنيوم حوالي (٤٠) سنتاً.

ولأن المغنيسيوم اخف من (صنوه الأكبر) بحدود الثلث ويفوقه في متانته فقد جعلت هاتان الصفتان النوعيتان منه مادة بنائية تركيبية عزيزة. ثم لكونه أخف فان الكيلوغرام الواحد منه يساعد على صنع اجزاء اكثر مما يمكن صناعته من كيلوغرام الالمنيوم.

ان نضوب الالمنيوم وبعد مكامنه لا يعدان العاملين الوحيدين الباعثين على ازدهار صناعة المغنيسيوم، بل ان الالمنيوم نفسه يتوقف على المغنيسيوم. وكما هو معلوم فإن المغنيسيوم يُعد من المكملات الواسعة للالمنيوم.. وهذا يعني انه كلما صنعنا المزيد من سبائك الالمنيوم فاننا سنحتاج الى المزيد من مركبات المغنيسيوم. ولهذا لا يحسن التحدث عن «تنافس» المعدنين فحسب بل وعن «ترابطهما» و«تعاونهما» مما يتفق ووصفهما بالمعدنين الصنويين.

الخفاش أقدم رادار فى الطبيعة

يتبع الخفاش مجموعة متميزة من عالم الحيوان لما له من خصائص وصفات فريدة، فهو حيوان ثديي يلد ويرضع صغاره، جسمه مغطى بفرو، له القدرة على الطيران، وأذنه الخارجية كبيرة، مثل بوق السمع، وتتنوع اشكالها في الانواع المختلفة ولها القدرة على استقبال الاصوات فوق السمعية، وللخفاش القدرة على استعمال صدى الصوت في تحديد اماكن فرائسه وتجنب العوائق التى تصادفه عند طيرانه في الظلام، وملاحة الخفاش من الدقة لدرجة انه يكوِّن صورة عقلية لما حوله، تكون في مثل تكامل الصور المرئية من اعين الحيوانات الارضية.

والخفاش غالبا ليلي النشاط، وفي النهار يتخذ من الهياكل والمعابد القديمة والجحور في المنازل والمباني على اختلافها والخرائب والاشجار والقصور القديمة المظلمة أو قد يتخذ من اعشاش الطيور المهجورة مأوى له، كذلك تسكن الوطاويط (الخفافيش) المغارات وهى بذلك تمثل الجسر الذى يصل سلسلة، تغذية الكائنات الحيه داخل المغارة بغيرها من الكائنات فوق سطح الارض، حيث ان الخفاش يغادر جحره المظلم مرارا وتكرارا بحثا عن الغذاء وشريك الحياة، وتحت مهاجع الوطاويط تتراكم مفرزاتها وفضلاتها الحاوية على كميات كبيرة من العناصر المغذية تقيم أود العديد من الكائنات الاخرى، ينام إما بصورة فردية أو في جماعات صغيرة أو كبيرة متجاورة وهى معلقة رأسا على عقب في مجثمها، وأجنحتها مطوية حولها، اما الرأس فهو ينحنى دائما على الصدر، وفي الشتاء قد يستمر الخفاش في حالة سبات على هذا الوضع لعدة شهور.

يقول «الجاحظ» عن الخفافيش:

«ومن أعاجيبها تركها ذرى الجبال وبسط الفيافي، واقلاب النخل واعالى الاغصان ودغل الرياض، وصدع الصخر، وجزائر البحر تطلب مساكن الناس وقربهم ثم اذا صارت الى بيوتهم وقربهم، قصدت الى ارفع مكان وأحصنه، والى ابعد المواضع من مواضع الاجتياز، واعرض الحوائج».

وقالوا في اللغز وهم يعنون الخفاش:

ابى شعراء الناس لا تخبروني
وقد ذهبوا في الشعر في كل مذهب
بجلدة انسان وصورة طائر
واظفار يربوع وأنياب ثعلب

الخفاش .. والمعتقدات:

ونظرا لصفات الخفاش الفريدة فقد نسجت حوله الكثير من الخرافات والخزعبلات والمعتقدات. وفي مجال السحر والشعوذة نجد ان للخفاش مكان الصدارة بين الحيوانات الاخرى. فالبعض يعتقد ان روح الانسان تنطلق من جسده عند النوم وغالبا ما تكون في صورة خفاش. ويعتقد بعض اهالى جزيرة صقلية ان الانسان اذا قتل أو انتحر فإن روحه تبقى فترة من الزمن غالبا على صورة خفاش.

واما الفنانون في العصور الوسطى في اوربا فقد رمزوا الى الشيطان بشكل يشبه الخفاش بآذانه المدببة واجنحته الجلدية وعلى عكس ذلك يكون الخفاش حيوانا مقدسا عند بعض الشعوب مثل الصين بل وإن بعضهم يعتقدون أن من يقتل خفاشا يصاب بالعمى. اما البوذيون يتفاءلون بمرآه.

وقد اتخذ الناس قديما من الخفاش علاجا كما في مخطوطة «بردى ايبرس». اما الطبيب العربي «ابن البيطار» فيذكر ان طبخ الخفاش في زيت السمسم يصبح علاجا لحالات عرق النسا والنقرس. اما الهنود فيعتقدون أن عظمة جناح الخفاش تسهل عملية الولادة. بينما في صحارى مصر اتخذ البدو زبل الخفاش علاجا لامراضهم.

وفي العصور الاولى كان الانسان يتغذى على اجزاء

بقلم: د. رمضان مصرى هلال
كلية الزراعة - كفر الشيخ - مصر



ـ اختبار
الجهاز الصوتى والسمعي للخفاش.

معينة من الخفاش لغرض ان تزداد فطنتهم ويقظتهم وحرصهم واعطائهم القدرة على الابصار في الظلام وقد كان بعض المغامرين، يربط المرء منهم قلب خفاش الى ذراعه ليكون اكثر حذرا وانتباها من رفاقه. ويعتقد بعض الفلاحين ان تعليق الخفاش ميتا فوق الباب يمنع الحسد، ويدرؤ الكوارث ويجلب الحظ الوفير.

التناسل والولادة:

في فصل الخريف وقبيل فترة البيات تصدر الذكور والاناث دعوة للقاء والتناسل ويكون هناك غزلا رقيقا بين الجنسين وتطارد الذكور ـ التى لا يظهر بينها تنافس أو يبدو عليها علامات الغيرة ـ الاناث وتلاحقها وتطاردها في الجو وتمسك بها ويسقط الاثنان على الارض ويتم التزاوج، وقد تتابع عدة ذكور لتلقيح انثى واحدة. ثم تتجمع الاناث وحدها في اماكن بعيدة عن الذكور التى لا تجرؤ على الاقتراب منها.

وفترة الحمل حوالى (٥ ـ ٦) اشهر، وتضع معظم الاناث بطنا واحدة في السنة تلد فيها فردا واحدا، وفي بعض الاحيان تضع الانثى فردين من الصغار ويبلغ طول المولود (٦ ـ ٧ سم)، ويولد مقفل العينين، ويزحف الصغير على بطن امه حتى يصل الى الثدى فيعلق به وتوجد الأثداء في المنطقة الصدرية وقد توجد اخرى في المنطقة الاربية، وهذه الاخيرة لا تمت للرضاعة بصلة، ولكنها اداة يتعلق بها الصغير اثناء طيران أمه. وتحتضن الأم صغارها وترعاها حتى تصبح قادرة على الاعتماد على نفسها.

وفي هذا يقول «الجاحظ»:

«واذا قبضت على الفرخ وعضت عليه لتطير به عرفت

ـ الخفاش وهو معلق في سقف مدخل أحد المناجم.

ـ الخفاش الذي يتغذى على الفواكه في شرق أفريقيا.



ذرب (حدة) أسنانها، فعرفت أي نوع ينبغي ان يكون ذلك العض، فتجلعه ازما، ولا تجعله عضا ولاتنيبا ولامضغا، كما تفعل الهرة بولدها».

والخفاش بار بأبنائه الصغار وقال الشاعر:

اتخـــــذ في خلة مــــا في الكراكى
اتخـــــذ فـــــيك خلة الوطواط

وبالرغم من ان الخفافيش هى الثدييات المجنحة ـ الوحيدة فانها لا تستعمل منحة الطيران في الهجرة باستثناء القليل منها مثل (الخفاش الاحمر، الخفاش ذو الشعر الفضي، الخفاش الاشيب، الخفاش البرازيلى ذو الذيل الحر) فان معظمها يقضى الشتاء في بيات شتوى.

وقد استطاعت الخفافيش الطيران بسبب وجود الجناح الجيد التكوين (غشاء جناحى) الممتد بين العنق والاطراف والذنب واندماج اربعة اصابع مخلبية طويلة جدا، تبرز الابهام من الحافات الامامية للاجنحة، وتحمل مخالب تساعد في المشى عندما لا تكون في حالة طيران.

أقدم رادار في الطبيعة:

ويعزى نجاح الخفاشيات الخارقة بالاضافة الى قدرتها على الطيران قدرتها على استعمال صدى الصوت في تحديد الاماكن مما يساعد الخفاش في تجنب العوائق في الظلام الدامس ومن ان تحدد اماكن الحشرات وتمسكها بدقة ومن أن تجد طريقها في عمق المغارات. وذلك بأن يرسل الخفاش اثناء الطيران، تيارا مستمرا من نبضات صوتية ذات سرعات متباينة، وتردد متغير احيانا. وعندما تصطدم هذه النبضات بأى جسم صلب، يرتد منه صدى تلتقطه اذن الخفاش الحادة السمع.

ومن واقع الوقت الذى يستغرقه الصدى عند ارتداده، يمكن للخفاش ان يحدد تماما بعد وسرعة تحرك الهدف. ويعتقد ان الخفاش ليس له القدرة على الكشف عن الاجسام التى تبعد عنه بمسافة تزيد على ٢٠ مترا.

ولقد ادت الحقيقة الماثلة في استطاعة الخفاش في ان يتلمس طريقه في الفضاء بمهارة باستخدام فوق السمعيات، أدت تلك الحقيقة الى فكرة تمكن الاعمى ايضا من الكشف عن العقبات التى تعترض طريقه اثناء سيره.

الخفافيش وهى تطير حولنا فاننا لا نسمع لها اصواتا، وهى في الحقيقة تصدر اصواتا عالية ولكن لا تستطيع الاذن البشرية وكذلك بقية الحيوانات سماعها فسبحان الله اللطيف الخبير.

{تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا} (الاسراء/٤٤).

الاهمية الاقتصادية للخفافيش وطرق المكافحة:

تهاجم الوطاويط حدائق الفاكهة وتأكل لب ثمارها أو تتلفها وتتركها فارغة معلقة بالاشجار، وتهاجم ثمار المانجو والقشطة والمشمش والخوخ والبرقوق والكمثرى والبلح وتسبب سقوط الكثير من ثمارها، كما تتغذى على العنب والتوت والنبق والجميز والبلح والفراولة والطماطم والباذنجان وغيرها.

ـ تسبب تشوه شكل الجدران وارضية الاماكن التى ترتادها بسبب تبرزها عليها، وينبعث من اماكن تجمعها رائحة كريهة تعافها النفس.

ـ تهاجم مخازن تخزين السكر في اماكن انتاجه وتتغذى عليه وتتلفه، أو تحوله الى كتل متماسكة نتيجة اختلاطه باللعاب وتكسبه لونا اسمر قذرا مختلطا بفضلات الحيوانات، كما تتلف الزكائب والاجولة وتمزقها وتسبب لها تلفا كبيرا.

ـ في امريكا الاستوائية تعيش الخفافيش مصاصة الدماء حيث تهاجم الطيور والثدييات وهى نائمة وتتغذى على دمها وقد تقوم بنقل مسببات الامراض مثل مرض داء الكلب.

ـ يوجد في المناطق الاستوائية وشبه الاستوائية الكثير من الخفافيش التى تتغذى على الرحيق وتقوم بدور هام في

تلقيح النباتات.

- تتغذى الخفافيش على الحشرات وخاصة البعوض ولذلك يلعب الخفاش دورا هاما من الاقلال من خطر الحميات، كما تلعب الخفاشيات المفترسة دورا في الحفاظ على التوازن الطبيعى في البيئة والخفاشيات اكولة لا تشبع ولذا فان آكلات الحشرات منها جمة النفع للانسان لانها تقضى على الحشرات وتكفيه مؤونة حربها.

وذكر عنها الدميرى «لما كان الخفاش لا يبصر نهارا، التمس الوقت الذى لا يكون فيه ظلمة ولا ضوء وهو قرب غروب الشمس لانه وقت هيجان البعوض، فان البعوض يخرج ذلك الوقت يطلب قوته وهو دماء الحيوان، والخفاش يخرج طالبا للطعام فيقع طالب رزق على طالب رزق فسبحان الحكيم».

- تتغذى بعض الشعوب على لحم الخفاش الكبير (الوطواط) حيث كان من الاطعمة المفضلة عند كثير من الشعوب، فيعتقد ان البابليين كانوا ياكلون الوطواط المصرى آكل الفاكهة، والهنود كانوا ياكلون الثعلب الطائر (نوع من الوطاويط كبيرة الحجم يصل البعد بين جناحيه من ١٢٠ - ١٥٠سم) ويؤكل الوطواط مشويا أو مطهيا.

- يعد بول وبراز الخفاش من اقوى المخصبات الزراعية في البلاد الدافئة ففي كوبا وبعض جزر الهند الغربية توجد بعض الكهوف داخل الاحجار الجيرية كانت تؤمها الخفافيش منذ عصور بعيدة، وتراكمت فيها اطنان من زبل الخفاش، واختلطت بالجير المتساقط من تحلل جدران هذه الجحور، وتكون من هذا سماد قوى يفضله المزارعون في هذه البلاد على غيره من السماد، وباستمرار تكون هذا السماد من زمن بعيد، لم تتضاعف خصوبة الارض فحسب بل ارتفع مستوى الجزر عن سطح البحر ايضا.



- الخفاش المكسيكي مصاص الدماء.

طرق مكافحة الخفاش:

في حالة الاهتداء الى اوكارها:

تدخن اماكن تجمع الخفافيش بحرق زهر الكبريت بمعدل ٣٠ جم منه مضافا اليه ١ جم من الشطة السودانى لكل متر مكعب من الفراغ مع استعمال مواقد بها فحم نباتى أو قوالح أو خشب في هذا الغرض. وعند اجراء هذه العملية تسد جميع الفتحات «الشبابيك والابواب» وكذلك الشقوق الموجودة في الحوائط ولا تترك الا فتحة واحدة وهى المعتاد خروج ودخول معظم الخفافيش منها وذلك قبل اجراء العملية بيوم واحد مع ترك باب واحد يمكن للعمال القائمين بهذه العملية الدخول والخروج منه عند اجراء العملية. كما انه يمكن الاستعانة بمشمعات وخيام التدخين في تنفيذ هذه العملية قبل اجرائها بيوم واحد.

وفي نهار اليوم التالى بعد تجمع الخفافيش في مكانه تسد الفتحة الاخيرة التى سبق تركها وتهيأ المواقد المشتعلة وتوزع في اماكن متفرقة داخل المكان ثم يوزع زهر الكبريت المخلوط بالشطة على العمال بحيث يلقى كل واحد منهم بما معه فوق النار مسرعا بالخروج من المكان ثم يغلق الباب محكما.

في حالة عدم الاهتداء الى اوكارها:

تقاوم الخفافيش في هذه الحالة باستعمال الطعم السام المكون من العجوة الخالية من النوى مع مادة فوسفيد الزنك، ولتحضير هذا الطعم يزال النوى من العجوة ثم يضاف اليها فوسفيد الزنك وتعجن وتخلط جيدا خلطا متجانسا ثم يعمل منها كور بحجم البرتقالة الصغيرة تعلق بالثمار بواسطة خيوط من الدوبارة في اماكن ظاهرة من الاشجار بالنهار فتنجذب اليها الحيوانات ليلا وتاكل منها فيقضى عليها.

بين السطور

حكايات من مارستان مصر

الحب والمال:

كان يعانى من تخلف عقلى بدرجة كبيرة ولا يعرف من مفردات اللغة سوى كلمات بسيطة ينطقها بصورة معينة تحتاج لوقت لكشف غوامضها واجتلاء معانيها ومن طبيعة التخلف العقلى أن مريضه لا يعرف العدد واعتمدت على تلك الحقيقة العلمية البسيطة وأعطيته قطعة نقود صغيرة فوجئت به يلقيها على الارض ويزمجر بكلمات ترجمتها تعنى عدم الرضا مع بعض السباب القبيح ولم يسكت الا عندما اعطيته قطعة نقود كبيرة.

كانت فتيات كلية الآداب يدرسن علم النفس ويتدربن تدريباً عمليا في المصحة العقلية ويسرن في جماعات وهن يرتدين احدث الازياء فوجئت به يترصد الفتيات على ناصية مبنى الادارة الرئيسى للمصحة وهو يغازلهن بلغته الخاصة وهو في قمة النشوة ولا يتوقف عن الغزل الا إذا مرت ممرضة قبيحة أو فتاة ليست في مستوى الجمال الذى يعشقه.

عفريت:

لكل انسان عفريته الخاص الذى يخشاه بعد أن اصطنعه من وهمه الخاص ويظل يغذيه بالوساوس والهواجس حتى يسمن ويكبر ويملأ حياته بالرعب وقد يؤدى الى إصابته بالجنون.

كان فصامياً مزمنا لكنه كان مستقراً يستطيع أن يمارس حياته العادية مع العلاج لكن النوبة المرضية تهاجمه بكل ضراوة في بداية الصيف كل عام مع بدء امتحان الثانوية العامة ولا تنتهى الا بانتهاء الامتحان فقد كانت عقدته طوال عمره هي الثانوية العامة التي مكث فيها ست سنوات حتي عندما نجح فيها بتفوق والتحق بكلية الطب كان خوفه من الثانوية يعوقه عن دراسته حتى سبب له الجنون فلم يتم الدراسة واصبح نزيل المصحه.

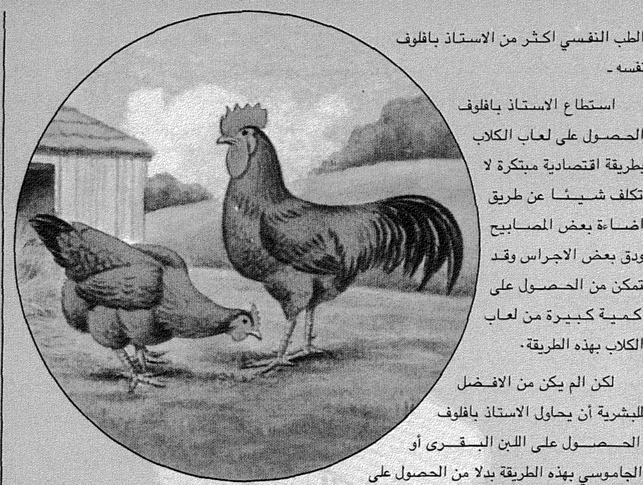
المشكلة ان النوبة سابقاً ـ كانت تنتهى بانتهاء الامتحان، الآن تنتظر النتيجة ثم التنسيق.

الاستاذ بافلوف:

- إن كلب الاستاذ بافلوف قام بدور في تطوير

د. عبدالغني عبدالحميد رجب
- مصر -

الطب النفسي اكثر من الاستاذ بافلوف نفسه ـ



استطاع الاستاذ بافلوف الحصول على لعاب الكلاب بطريقة اقتصادية مبتكرة لا تكلف شيئا عن طريق اضاءة بعض المصابيح ودق بعض الاجراس وقد تمكن من الحصول على كمية كبيرة من لعاب الكلاب بهذه الطريقة.

لكن الم يكن من الافضل للبشرية أن يحاول الاستاذ بافلوف الحصول على اللبن البقرى أو الجاموسي بهذه الطريقة بدلا من الحصول على لعاب كلب ليس منه اي منفعة بل إنه قد يسبب الضرر إذا كان الكلب مصاباً بالسعار أو نوع معين من الطفيليات والسؤال هو ما الذي كان يفعله بافلوف بلعاب الكلاب؟

الشيء بالشيء يذكر:

ـ من الذى يستطيع ان يقتلع الايمان من صدر انسان؟:

الساعة الرنانة هي البديل العصرى للديك فهي التى توقظ النيام لصلاة الفجر وتخيل مصحة للامراض العقلية في مكان منعزل بعيد عن العمران لا توجد فيها ديكه ولا ساعات مع المرضى ولا حتى مسجد قريب يؤذن فيه.

كان المريض العقلى يحافظ على صلاة الفجر بصورة تثير الاعجاب فيستيقظ حتى في ايام الزمهرير ويوقظ المرضى الآخرين ويصلون الفجر جماعة وعندما سألته من الذى يوقظه لصلاة الفجر قال لى انه اعتاد أن يستيقظ على نعيب غراب معين يستطيع ان يميز صوته بين آلاف الغربان.

كانت المصحة مملوءه بالاغربه.

فريد وفرويد:

عندما دخل عليّ المريض في العيادة النفسية كان يحمل معه تشخيصه فقد قال لي انه يعانى من عقدة «فريد شوقي» فلما طلبت منه ان يزيدني ايضاحاً ابدى دهشة كبيرة من انني لا اعرف «عقدة

فريد شوقي» وكأننا درسناها مع عقدة أوديب في الجزء الأول من الدراسات العليا ولما استبان جهلي تشكك في امكانية انني سوف استطيع علاجه بعد هذا الجهل المطبق لكنه تطوع ان يشرح ماذا تعنى عقدة فريد شوقي؟

فريد شوقي ممثل سينمائى كبير يظهر عادة في افلامه في صورة المجرم الشقي الذي يندم ويتوب في نهاية الفيلم ويتحسر على ما ضاع من عمره ويقول:

كل اصحابي اصبحوا اطباء ومهندسين فيما عداى فقد اصبحت لصاً مجرماً، أضاف المريض «إن هذا الاحساس اصبح يلازمه من مدة طويلة فقد اكتشف ان جميع اصدقائه القدامى قد تولوا مراكز مرموقة سواه فهو الفاشل الوحيد».

لم اعالجه لكنه امرضني فقد جعلني انظر لأصدقائى القدامى وقد اصبحوا من كبار اطباء الباطنة والجراحة عداى فقد فشلت وأصبحت طبيبا نفسانيا وهكذا عرفت ماذا تعنى «عقدة فريد شوقى» بعد أن عانيت منها ومازلت اعالج.

احلاها مر:

للمريض العقلى ذكاء من نوع خاص يدخل في دائرة الدهاء ولطبيبه النفسانى ذكاء من نوع خاص يتفق او يختلف مع ذكاء المريض العقلى وكأنهما وجهان لعملة واحدة. كان زميلنا في المصحة العقلية يعتقد اعتقادا كبيراً في العلاج بالرجفات الكهربائية وكان يعطى جميع مرضى القسم منها بل انه احيانا يذهب الى الاقسام الاخرى التى يعمل بها اطباء آخرون لمجرد أن يعطى تلك الصعقات الكهربائية لمرضى تلك الاقسام وكانت جلسات الكهرباء تشبه حفلات مصارعة جماعية يختلط فيها الضجيج بالعنف بالتشنجات الرهيبة التى تحدث للمريض عقب إعطائه صعقة الكهرباء وكان المرضى يرهبون تلك الجلسات ويكرهونها وخاصة انها تؤخذ في صورة جماعية فيشاهدها المرضى الآخرون الذين سيأتى دورهم فيموتون من الرعب قبل أن تأتيهم الصاعقة.

تفتق ذهن المريض العقلي الذي يعانى من الفصام التفسخى ويكون فيه المريض اقرب للتخلف العقلى، عن حيلة طريفة لكى ينجو من الصعقة الكهربية بأن دهن رأسه بمخلفات آدمية صلبة وكان منظره عجيباً ورائحته رهيبة أصرّ زميلنا على اعطاء المريض جلسة الكهرباء وهو بحالته تلك قائلا للمريض «ان البراز موصل جيد للكهرباء وانه سوف يأخذ جلسة كهرباء مميزة» وقد كان لا ادرى حتى الآن من الاذكى بعد أن تزوج الطبيب اخت المريض العقلى ومن منهما اصطاد الآخر، الطبيب الذى تزوج أخت المريض ام المريض الذي زوّج اخته للطبيب؟!.

محكمة فرويد:

اعتقد أنه قد آن الاوان لعقد محاكمة للاستاذ فرويد غيابيا بتهمة تعاطى وترويج الافيون والكوكايين والدعاية لممارسة الرذيلة، أم أن هذه التهم تسقط بالتقاوم ووفاة المجرم. اعتقد أن هذه التهم لا يجب أن تسقط بسبب بسيط أن تأثيرها مازال قائما لأن الاستاذ فرويد قد وضعها في ثوب نظرية علمية ومازال يسقط في براثنها الكثير من الناس ومازال

بعض الاطباء يعالجون المرضى بنظرياته أو بمعنى أصح يمرضون الاصحاء.

الفرويديون الجدد - اسطورية -

قام الطب النفسي الحديث على اكتاف الاستاذ فرويد وتابعه اوديب الذى التقطه فرويد من بطون الكتب اليونانية الصفراء وجعله بطلا رغم انفه ورغم انف السيدة المصونة «جوكاستا» امه بل انه اتهمها انها السبب في كل التحولات والصراعات النفسية التى تصيب الانسان السوى والمريض على حد سواء فيما يزعم انه «عقدة اوديب».

هل نستكين نحن الشرقيون ونترك الغرب يصنع لنا عقدنا النفسية وامراضنا العقلية توطئة للسيطرة على عقولنا الواعية والباطنة وخصوصا انه جعل الجنس محورها الارتكازي الذى تدور عليه رحى الحياه كلها.

في محاولة رائدة لصنع علم نفسي شرقى أمسك استاذ الطب النفسي بكتب الف ليلة وليلة وكليلة ودمنة والسيرة الهلالية وعنترة بن شداد وكذلك التراث الفارسي والهندى والبابلي والاشوري والفينيقى واستخرج مئات العقد النفسية الشرقية واصبح كل مريض يأخذ عقدته مع دوائه المهدىء أو مع جلسة الكهرباء فهذا المريض يعانى من عقدة «على الزيبق» وهذا يعانى من «على بابا» وذاك من «علاء الدين» والى هنا اعتقد أن الأمر عادى.

الغريب الذى أثار شكي وارتيابي في الاستاذ أنه قال لمريض انه يعانى من عقدة «مصباح علاء الدين» وقال لآخر إنه يعاني من عقدة «الاربعين حرامي».

المتخلفون في الارض:

كان ممرضاً في المصحة العقلية وفي نفس الوقت مريضاً باضطراب في الغدد الصماء والتخلف العقلى ولا ادرى حتى هذه اللحظة كيف تمكن من الحصول على إجازة مدرسة التمريض ومما يزيد الدهشة أنه رب اسرة.

كانت نوبته تبدأ في الثانية ظهراً عقب انصرافنا مما يخفف الرقابة على المصحة فيترك القسم في رعاية احد المرضى المتحسنين ولا يحضر حتى غذاء المرضى.

وقفت قطعة من اللحم في حلق المريض العقلى ولم يفعل المريض المتحسن شيئا حتى فاضت روحه واكتشفنا عدم وجود الممرض في القسم فتمت مجازاته بخصم شهر من راتبه ونقله خارج المدينة.

شاهدته يبكى بكاء مراً أو يضرب رأسه في الحائط ويلطم وجهه فاشفقت عليه وجلست معه لكى يهدأ وطيبت خاطره واعلنت استعدادي انا وزملائى لتعويضه عن الخصم والتوسط لدى مدير المصحة لالغاء النقل.

نظر اليّ من خلال دموعه وقال لي وهو مندهش انه لا يهمه الخصم ولا النقل ولو كان الامر بيده لقتل نفسه لتسببه في وفاة المريض فلو كان موجوداً في النوبة لتمكن من تخليص المريض من قطعة اللحم أو على الاقل استدعاء الطبيب.

عامر بن الطفيل

هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري، ويكنّى أبو علي ، وأبو عُقيل في الحرب، ولقبه الحُرّ، والشاعر لبيد بن ربيعة هو ابن عمه، وصاحب المعلقة المشهورة:

عفت الديار مَحلّها فمقامُها
بمنى تأبَّد غولها فرجامُها

أما عامر فكان فارس القبيلة، وكان أعور، عقيماً لا يولد له، ولم ينجب أولادا، ولعل هذا كان يؤثر على سلوكه، فقد اشتهر بالفظاظة والقسوة، والعيش بعمق في الحياة الجاهلية، ولقد كان يتحدى حتى بما فيه من عاهات فيقول:

لبئس الفتى إن كنتُ أعور عاقراً
جباناً، فما عذري لدى كل مَحْضَر
لعمري، وما عمري عليَّ بهيِّن
لقد شان حُرَّ الوجه طعنة مُسهر[١]

ومسهر الذي يتحدث عنه هو مسهر بن يزيد بن عبد يغوث الحارثي، الذي غدر بعامر بن الطفيل، وكان أن التحم معه في المعركة التي طعنه فيها مسهرُ بالرمح في وجهه، فكان أن فلق وجنته، وشق عينه، وقد عاش يُعاني من هذه العاهة، ويتحدى في الوقت نفسه الناس من حوله بفرسه «المزنوق» الذي خاطبه مخاطبة الصديق للصديق[٢].

وقد علم المزنوق أني أكرُّه
على جمعهم كرَّ المنيح المشهر
إذا ازور من وقع السلاح زجرتُه
وقلتُ له: اربع مقبلا غير مدبر

كما يباهي بأنه فارس قيس فيقول:

وما الأرض إلا قيس عيلان أهلها
لهم ساحتاها سهلُها وحزونها
وقد نال آفاق السموات مجدُنا
لنا الصحو من آفاقها وغيومُها

كما كان يباهي بكثرة غاراته على من حوله فيقول:

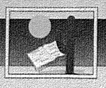
ونستلبُ الأقران والجردُ كُلَّح
على الهول يعسفن الوشيج المقوَّما
ونحن صبحنا حيَّ أسماء غارة
أبال الحبالي غبُّ وقعتنا دما[٣]

ويباهي بكرمه[٤]، وبأنه ابن حرب[٥].

ومما يحفظ لعامر بن الطفيل قصته مع أعشى قيس، ذلك لأن الأعشى قصد الأسود العنسي مادحا، ولكنه استبطأ جائزته، فما كان من الأسود إلا أن قال:

ليس عندنا عين ولكن نعطيك عرضاً، فأعطاه خمسمائة مثقال دهناً، وبخمسمائة حللا وعنبراً، فلما مرّ ببلاد بني عامر خافهم على ما معه، فأتى علقمة بن علاثة، فقال: أجرني، فقال: قد أجرتك، قال: من الجنّ والإنس قال: نعم، فقال الأعشي: ومن الموت، فقال: لا، فكان أن تركه وأتي عامر بن الطفيل، فقال له: أجرني، قال: عامر: قد أجرتك، قال من الجن والإنس قال نعم، قال: ومن الموت، قال: نعم، فقال الأعشي: وكيف تجيرني من الموت، قال عامر: إن مت وأنت في جواري بعثتُ إلى أهلك الدية، فقال: الآن علمت أنك قد أجرتني

بقلم: أ . د . عبده بدوي
- مصر -



من الموت، فمدح عامراً، وهجا علقمة، فقال علقمة: لو علمت الذي أراد كنت أعطيته إياه[٦].

ومن المعروف أن عامر بن الطفيل، وعلقمة بن علاثة تنافرا إلى هرم بن قطبة، وكان الحطيئة يفضل علقمة على عامر ويمدحه، وكان الأعشي يمدح عامرا، ويهجو علقمة، وقد سجل الحطيئة هذا الموقف في قصيدة طويلة أولها:

يا عـام .. قـد كنت ذا بـاع ومكرمـة
لو أن مـسـعـاة من جـاريتـه أمَمُ
جـاريت قـرمـا أجـار الأحـوصـان بـه
طلق اليـدين، وفي عـرنينه شـمـم
لا يصـعبُ الأمـرُ إلا ريث يركـبـه
ولا يبـيـتُ على مـال له قـسـم[٧]
ومـا أسـاءوا فـراراً عن مُـحلّيـة
لا كـاهنٌ يمتـري فـيـهـا ولا حكم[٨]

كما أن له منافرة مشهورة مع علقمة بن علاثة، وكل منهما سيد من سادات قومه[٩]، ومنافرة مع بسطام بن قيس[١٠] وقد عاش فترة في الجاهلية، وسلك سلوكها، فلما بدأ الإسلام في الانتشار، نراه يعمل على مقابلة الرسول عليه الصلاة والسلام، سنة ٩هـ، ويكلمه في جفوة، ولا يقدم إسلامه، وإنما يقدم شروطا، فما كاد يرى الرسول حتى قال صارخا: تجعل لي نصف ثمار المدينة، وتجعلني وليّ الأمر من بعدك وأسلم؟ فما كان من الرسول إلا أن قال «اللهم اكفني عامراً، واهد بني عامر» وما كان من عامر إلا أن انصرف مغضباً وهو يقول: لم تقبل شروطي.. لأملأنها عليك خيلا جرداً، ورجالا مردا، ولأربطن بكل نخلة فرساً، ثم انصرف، مغيظاً ولكنه في طريق العودة يصابُ بالطاعون، ويلجأ إلى بيت فقير، ويأخذ في الصراخ والاحتجاج على الحياة: غدة كغدة البعير؟، وموت في بيت سلولية؟، ولقد كانت هذه الكلمة شؤما على قبيلة سلول على حد قول أبي زياد الكلابي[١١]، المهم أنه حضر مع «أربد» شقيق الشاعر لبيد، مضمرين الغدر بالرسول عليه الصلاة والسلام، وقد دعا الرسول عليهما، أما عامر فطعن، وأما أربد فأصابته صاعقة[١٢].

وبهذا تنتهي قصته مع الإسلام، ومع الحياة ويقول ابن قتيبة في الشعر والشعراء، إن من جيد شعره قوله:

فـإني وإن كنتُ ابن فـارس عـامـر
وسـيـدهـا المشـهـور في كلِّ مـوكب
فـمـا سـودتني عـامـر عن وراثة
أبي الله أن أسـمـو بأم ولا أب
ولكنني أحـمي حـمـاها، وأتقي
أذاها، وأرمي من رماها بمنكب[١٣]

فهو يقدم في هذه الأبيات جزءاً من سيرته الذاتية، فهو لم يأت إلى الدنيا من فراغ، ذلك لأن أباه كان فارس القبيلة وسيدها، ولكن القبيلة لم تورثه السيادة والفروسية، لأنه كان من العزم والفروسية والشعر ما يجعله في مكان الصدارة، وما يجعله الأحق بالسيادة، رغم العور، ورغم العقم.. ولكن الحياة لم تكن معه على وفاق، وحسبه أن النابغة الذبياني قال لبني ذبيان بعد موقعة «حسي»، ما قلتم لعامر بن الطفيل، وما قال لكم، فلما أنشدوه وقال: أفحشتم على الرجل، وهو شريف لا يقال له ذلك، ولكني سأقول:

فـإن يك عـامـر قـد قـال جـهـلا
فـإن مطيـة الجـهـل السـبـابُ

فلما بلغ ما قال عامرا قال:

جعلني القوم رئيسا، وجعلني النابغة سفيهاً وجاهلا وتهكم بي[١٤].. وشق هذا عليه، وهو لا ينسى موقفاً كان بينه وبين «زيد الخيل» ذلك لأنه أغار في مرة على بني فزاره، فأخذ امرأة تدعى هندا، واستاق نعما لهم، فقالت فزارة لزيد: ما كنا قط إليك أحوج منا اليوم، فما كان منه إلا أن تبع عامر بن الطفيل، وحين أدركه زيد، نظر عامر إليه فأنكره لعظمه وجماله، وهنا قال زيد: يا عامر خل سبيل الظعينة، والنعم، ودخلا في حوار انتهى بقول عامر: تخلى عني وأدعك والظعينة والنعم، قال زيد: فاستأسر، قال:

أفعل، فأسره زيد الخيل، وجزّ ناصيته، وأخذ رمحه، ومنّ عليه، ورد الإبل وهندا، وهنا قال زيد مؤرخا لهذه الواقعة:

إنّا لنكثر في قيس وقائعنا
وفي تميم، وهذا الحي من أسد
وعامر بن طفيل قد نحوت له
صدر القناة بما في الحي مطرد
لما تحسّب أن الورد مدركه
وصارماً أو ربيط الجأش ذا لبد
نادى إليّ بسَلم بعد ما أخذت
منه المنية بالحيزوم واللغُد
ولو تصبَّر لي حتى أخالطه
أشعرته طعنة تكتن بالزُّبد

فانطلق عامر بن الطفيل إلى قومه مجزوزا، وأخبرهم الخبر، فغضبوا لذلك، وقالوا: لا ترأسُنا أبدا، ورأسوا عليهم علقمة، فبعث عامر بن الطفيل إلى زيد الخيل دسيساً ينذره، فجمع زيد قومه، ولقيهم بالمضيق فهزمهم[١٥].

وعلى كل فجمال الدين بن نباته المصري قال: ولعامر بن الطفيل شعْرٌ جيد سري متمكن، وبخاصة في رائيته التي ذكر فيها عور عينه، والتي أولها:

لقد علمت عليا هوازن أنني
أنا الفارسُ الحامي حقيقة جعفر

كما أن من جيد شعره قوله:

وكم مظهر بُغضا لنا ود أننا
إذا ما التقينا كان أخفى الذي أبدى
مطاعيم في اللأوا، مطاعينُ في الوغى
شمائلنا تُتلى، وأيماننا تندى[١٦]

وتكفيه شهادة عمرو بن معدي كرب، فقد قيل له: ما تقول في عامر قال أقول فيه ما قاله فيّ:

إذا مات عمرو قلتُ للخيل: أوطىء
زبيداً فقد أودى بنجدته عمرو
فأمّا وعمرو في زبيد، فلا أرى
لكم غزوهم، فارضوا بما حكم الدهر
فليت زبيدا زيد فيها كضعفها
وليت أبا ثور يجيش به البحر[١٧]

وقد لخص ابن شرف القيرواني حياته وشعره في قوله عنه «كان شاعرهم في الفخار، وفي حماية الجار، وأوصفهم لكريمة، وأبعثهم لحميد شيمة[١٨]. وقد افتخر رجلان بباب معاوية أحدهما من بني عامر، والآخر من بني شيبان، فكان في مقدمة ما فخر به الأول عامر بن الطفيل[١٩]، كما قيل إن «قيصر» كان إذا قدم عليه فارس من العرب قال: ما بينك وبين عامر بن الطفيل، فإن ذكر نسباً عظم عنده[٢٠].

وقيل إنه لما مات عامر بن الطفيل نصب بنو عامر أنصابا ميلا في ميل حمًى على قبره، لا تنشرُ فيه راعية، ولا يرعى، ولا يسلكه راكب ولا ماش، وفي هذه الفترة كان جبار بن سلمى بن عامر غائبا، فلما قدم قال: ما هذه الأنصاب؟، فلما قالوا: نصبناها حمى على قبر عامر، قال: ضيقتم على أبي علي، إن أبا علي بان من الناس بثلاث: كان لا يعطش حتى يعطش الجمل، وكان لا يضل حتى يضل النجم، وكان لا يجبن حتى يجبن السيل[٢١].

وقد احتج له فيما ظاهره تجنيس، وباطنه طباق الوعد والوعيد، والفرق بين الوعد والايعاد، في قلب الهمزة ياء:

وإني إن أوعدته أو وعدته
لمخلف إيعادي، ومنجز موعدي[٢٢]

ووصفه أبو عبيده في باب «عقماء العرب»[٢٣]، كما أنشد له أبو العباس بيته الذي يقول:

إذا أنت لم تجعلْ لسرك جنّة
تعرّضت أنْ تُروى عليك العجائب[٢٤]



الهوامش:

(١) الشعر والشعراء ٢٥٢/١.

(٢) انتربولوجية الصورة والشعر العربي. د. قصي الحسين ٢٥٠.

(٣) الجرد: الخيل القصيرة الشعر. كلح: من الكلوح وهو ظهور الأسنان عند الغضب، يعسفن من العسف، وهو الهجوم على الأمر بلا روية، الوشيج: الرماح، وأصله الشجر الذي تؤخذ منه الرماح كما أنه أرخ لمعركة «الفيفا» التي أصيبت فيه عينه، العمدة ٢١٣/٢ ط ٥ بيروت، كما يبارك الغزو في قوله:

لله غارتنا، والمحل قد شجيت
منه البلاد، فصار الأفق عُرْيانا

(٤) إنا لنعجل بالعبيط لضيفنا
قبل العيال، ونطلبُ الأوتارا

(٥) وأنا ابن حرب لا أزالُ أشبّها
سعراً، وأوقدها إذا لم توقد

(٦) شعراء النصرانية في الجاهلية: الأب لويس شيخو ٣٦٢/٣ المطبعة النموذجية بالقاهرة.

(٧) مختارات شعراء العرب لابن الشجري ٥٤٨، ٥٤٩.

(٨) يقول: ما أساء عامر ولا قومه حين فروا. وحاجزوه عند المنافرة.

(٩) سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون وقد سوّى بينهما هرم بن قطبة: إنكما كركُبَتَي البعير، يقعان معا على الأرض، وكلاكما سيد كريم، قال أبو عبيدة في كتاب الديباج: المتنافرون في الجاهلية أولهم عامر وعلقمة ص ٨٨.

(١٠) كانت المنافرة في حضرة النعمان بن المنذر، فقال:

كان التبايعُ في دهر لهم سلف
وابن المرار، وأملاك على الشام

أنحى علينا بأظفار فطوقنا
طوق الحمام بإتعاس وإرغام

إن يمكن الله من دهر نساء به
نتركك وحدك تدعو رهط بسطام

العمدة ٢٢٠/٢، ٢٢١ ط ٥، دار الجيل بيروت.

(١١) الشعر والشعراء ٢٥٢/١، وقد وردت برواية أخرى في لباب الآداب ١٨٥، العمدة ١٣٩/٢، ١٨٣ ط ٥.

(١٢) معاني الشعر، عز الدين التنوخي ص ٨٨ ط دمشق، الخزانة ٧٠/٣.

(١٣) العمدة لابن رشيق ١٣٩/٢، ١٨٣ ط ٥، الكامل في اللغة والأدب ٩٥/١.

(١٤) في الحماسة البصرية ٧٢/١.

وإني وإن كنت ابن فارس بهمة
وفي السر منها، والصريح المهذب

فما سودتني عامر عن كلالة
أبى الله أن أسمو بأم ولا أب

ولكنني أرمي حماها، وأتقي
أذاها، وأرمي من رماها بمقنب

وهناك رواية أخرى في العمدة ١٧١/٢ ط ٥. وعلق ابن رشيق أنها من المختار في الفخر.

(١٥) لباب الآداب، أسامة بن منقذ، تحقيق أحمد محمد شاكر ٢١٩، ٢٢٠ دار الجيل بيروت.

(١٦) سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ص ١٦٨، ١٦٩.

(١٧) لباب الآداب ص ١٨١.

(١٨) رسائل الانتقاد ص ٢٨.

(١٩) العمدة ٢٢١/٢ ط٥.

(٢٠) خزانة الأدب للبغدادي ٧٠/٣ ط السلفية.

(٢١) خزانة الأدب للبغدادي ٧٢/٣، وكنيته في الحرب أبو عقيل، وفي السلم أبو علي.

(٢٢) العمدة ١٤/٢ ط ٥ بيروت.

(٢٣) كتاب الديباج ص ١٢٢، والبيت في مجالس العلماء للزجاجي، تحقيق عبد السلام هارون ص ٦٢ ط الخانجي.

وإني وإن أوعدته أو وعدته
لمخلف إيعادي، ومنجز موعدي!

(٢٤) المؤتلف والمختلف للآمدي. علق عليه. د. ف كرنكو ص ٢٠٠.

وقفة مع كتاب ابن مالك المخطوط

(سبك المنظوم)

تعريف بابن مالك:

ابن مالك هو: جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني، أحد علماء العربية الذين عاشوا في القرن السابع الهجري، ولد بجيّان إحدى مدن الأندلس في حدود سنة (٦٠٠هـ) ودرس بعض علوم العربية والقراءات على بعض علمائها، قال المقرى في (نفح الطيب)[١] في حديثه عن ابن مالك: «إنه أخذ العربية عن غير واحد، وقرأ كتاب سيبويه كما درس المذهب المالكي، وهو المذهب السائد في الأندلس في ذلك الوقت»

رحل ابن مالك الى المشرق وترك الأوطان بسبب الفتن والاضطرابات التى سادت الأندلس واستقر به المقام في بلاد الشام فتوجه الى حلب وحماة ثم استوطن دمشق وعاش بها وأخذ عن علمائها مثل ابن الصباح وأبي الحسن السخاوى وابن يعيش وابن عمرون وغيرهم، واشتغل بتدريس العربية والقراءات وألّف كتباً ورسائل، ومات بدمشق في ثانى عشر شعبان سنة ٦٧٢هـ (١٢٧٤م).

أما مؤلفاته[٢] فقد وصل الينا أغلبها وقد طبع أكثرها وهناك مؤلفات لابن مالك ما تزال مخطوطة تنتظر الطبع لكي تعم فائدتها وتصل الى أيدى الدارسين ومنها هذا الكتاب الذي نقدمه للقارىء الكريم.

اسم الكتاب:

هذا الكتاب اسمه: «سبك المنظوم وفكّ المختوم»[٣] وهو شرح لنظمه المعروف (المؤصل في نظم المفصّل) وهو كتاب (المفصّل في علم العربية) للعالم المعروف جار الله محمود بن عمر الزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨هـ وهو مطبوع وله أكثر من طبعة.

وسبك المنظوم هذا منه نسخة مخطوطة في معهد الدراسات الشرقية ببرلين بألمانيا برقم (٦٦٣١) ضمن مجموعة (Landbirg 59) (انظر الصفحة الأولى من المخطوطة).

ونسبة هذا الكتاب الى ابن مالك صحيحة فقد أوردت كتب التراجم هذا الكتاب ضمن مؤلفاته، كذلك أشار إليه من المحدثين الدكتور عمر موسى في كتابه (أدب الدول المتتابعة)[٤]، والدكتور عبد المنعم هريدي[٥] في مقدمة تحقيقه لكتاب (شرح عمدة الحافظ) والدكتور محمد كامل بركات في مقدمة تحقيقه لكتاب (تسهيل الفوائد)[٦] وبروكلمان في (تاريخ الأدب العربي)[٧].

وصف مخطوطة الكتاب:

تقع مخطوطة هذا الكتاب في (١٧٣) صفحة مكتوبة بخط نسخى مشكول في كل صفحة (١١ سطراً) جاء في أولها: «قال الشيخ الامام العالم العلامة حجة العرب فريد عصره جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائى الجيانى نفع الله به الاسلام وأمدّ في طول بقائه الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى أما بعد فإنى استخرت الله تعالى في نثر المؤصل ليتم ما نويته من إعانة الأذكياء بالإيجاز وجمع المتفرقات ... وسمّيته سبك المنظوم وفك المختوم. وها أناذا باذل للمجهود في تحصيل المقصود».

وجاء فى آخرها ما نصه: «تمّ الكتاب والحمد لله وحده .. على يد العبد الفقير الى رحمة ربه: ابراهيم بن طاهر بن عبد الله الأربلى.. وذلك في يوم الاثنين ثامن ربيع الآخر من شهور سنة ٦٨٥هـ».

بقلم : د. غنيم غانم الينبعاوي

كلية اللغة العربية ـ مكة المكرمة

موضوعات الكتاب:

تناول ابن مالك موضوعات تدخل ضمن موضوعات النحو (أو ما تسمى التركيب) وهى أغلب موضوعات الكتاب وهناك موضوعات تدخل في بنية الكلمة الواحدة (الصرف) مثل: اسم الفاعل وألفى التأنيث والتصغير وأحكام الهمزة وأمثلة الجمع قليله وكثيره، والتقاء الساكنين وعالج الكتاب أيضاً موضوعات صوتية مثل: مخارج الحروف والادغام والإمالة والوقف.

وقد جعل ابن مالك كتابه في أبواب منها: شرح الكلمة ـ الإعراب ـ اعراب المعتل ـ المثنى ـ الجموع ـ ... بذلك التثنية وجمع التصحيح ـ المعرفة والنكرة ـ العلم ـ المضمرات ـ اسماء الإشارة ـ أسماء الموصولات ـ إلحاق الألف واللام ـ المبتدأ ـ الأفعال الرافعة للاسم ـ الأفعال المقاربة الى آخره من الأبواب التى تعالجها كتب النحو المعروفة، وقد أحصيت عدّتها فبلغت اثنين وثمانين بابا.

أمثلة من نصوص الكتاب:

قال ابن مالك في باب (شرح الكلمة وما يتعلق بها من العلامات) (ورقة٢): «الكلمة: كل لفظ دل بوضع، وهى اسم وفعل وحرف. والكلام: اللفظ المتضمن للإسناد، المستقل..» وفي باب (الأفعال الرافعة للاسم الناصبة للخبر) أورد ابن مالك في فصل قوله: «ألحق أهل الحجاز (ما) النافية بليس تأخير الخبر وبقاء تقديم المبتدأ» (ورقه ١٦)، وفي أفعال المقاربة قال ابن مالك: «عملها في الأصل كعمل (كان) لكن ألتزم هنا كون الخبر فعلا مضارعا وربما جاء على أصله مفرداً منصوباً، أو جملة اسمية، فخبر (عسى) و(جرى) و(اخلولق) مقرون بأن ...» (ورقة ١٦).

وفي باب مخارج الحروف، قال (ورقة ٨٢): «لهذه الحروف فروع تستحسن، وهى الهمزة المسهّلة، والغنّة ومخرجها الخيشوم، وألفا الإمالة والتفخيم، والشين كالجيم، والصاد كالزاي».

الهوامش والمراجع:

(١) نفح الطيب للمقرى جـ ٢. ٤٢١

(٢) لقد تناولت مؤلفاته بالتفصيل في كتابي (الدراسات اللغوية عند ابن مالك بين فقه اللغة وعلم اللغة) مطبوعات جامعة ام القرى سنة ١٤١٨هـ.

(٣) لديّ منه نسخة مصورة على ورق زودتني به المكتبة الوطنية للثقافة البروسية ببرلين ـ المانيا فلها الشكر.

(٤) أدب الدول المتتابعة للدكتور عمر موسى باشا، ط دار الفكر الحديث، دمشق.

(٥) مخطوطة تحقيق شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ لابن مالك للدكتور عبد المنعم هريدي، ط مطبعة الأمانة بالقاهرة، ط ١٩٧٥/١م جـ ٥٤/١ وما بعدها.

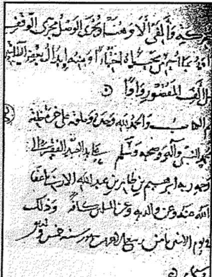
(٦) مقدمة تحقيق تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ـ لابن مالك للدكتور محمد كامل بركات نشر دار الكتاب العربي بالقاهرة سنة ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م ص ٢١

(٧) تاريخ الأدب العربى لبروكلمان (الطبعة العربية) ط دار المعارف بمصر (١٩٧٤ ـ ١٩٧٧م) جـ ٥/٢٩٤.

الصفحة الأولى من المخطوطة وفيها يظهر رقم الكتاب وختم المكتبة الوطنية الثقافية البروسية ببرلين ـ المانيا.



ـ الصفحة الثانية من المخطوطة.



ـ الصفحة الأخيرة من المخطوطة.



هذه الصفحات تأتي لتسجل تاريخاً مضيئاً مجيداً، لصحافتنا العربية بعامة، والصحافة في المملكة العربية السعودية بخاصة، .. وهي أسطر معدودة تبقى في الذاكرة خصبة معطاءة أبداً.

ودور الصحافة لا يخفى على ذي بصيرة، وهو دور هام جدا لكل مجتمع، ومنذ دخول الصحافة الى العالم العربي ساهمت في تبصير شعوبه بأمور لم يكن يتسنى لهم أن يعرفوها.

ونظرا للدور البناء والمؤثر الذى تقوم به الصحافة في المجالات المختلفة لخدمة المجتمع، وإضاءة الطريق أمام هذا المجتمع للارتقاء والتحضر - فقد حرصت حكومة خادم الحرمين الشريفين الرشيدة على مؤازرة ومساندة الصحافة في المملكة العربية السعودية وتقديم الدعم السخي لها لاستحداث آلاتها والسير مع التقدم التقني العالمي خطوة بخطوة. وذلك تدعيماً لدور هذه الصحافة في تنمية المجتمع وازدهاره.

وفي هذا الباب ستلقي المنهل شهريا الضوء على مطبوعة سعودية أو عربية .. متتبعة نشأتها وتطورها.





شعار «الجديدة» - شعار مجلة الشرق الاوسط.

«الجديدة»
تستقبل عامها الرابع عشر

في مثل هذا الشهر - صفر من العام ١٤١٨هـ وتحديدا يوم ١٧ منه، الذي يوافق يوم ١٩٩٧/٦/٢٣م تحلت (الجديدة) بثوب قشيب وتحت اسمها الحالي «الجديدة».

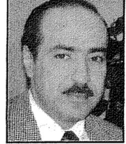
وهذه المطبوعة صدرت ضمن عائلة مطبوعات «الشركة السعودية للأبحاث والتسويق» في العام ١٩٨٦م كملحق أسبوعي لجريدة الشرق الأوسط، جريدة العرب الدولية - لتغطية اهتمامات القارىء العربي الصحفية في الجوانب الإنسانية والعلمية والفنية وغيرها.

وقد استمر صدورها تحت اسم «مجلة الشرق الأوسط» من العام ١٩٨٦م وحتى تاريخ ١٩٩٧/٦/١٧م العدد (٥٧٣) حيث ارتأى القائمون عليها تغيير الاسم إلى «الجديدة» تمشيا مع ما أدخل عليها من تحسينات في التبويب والطباعة والاخراج مع الإبقاء على صدورها أسبوعيا بدءا من العدد ٥٧٤ الصادر في ١٩٩٧/٦/٢٣م.

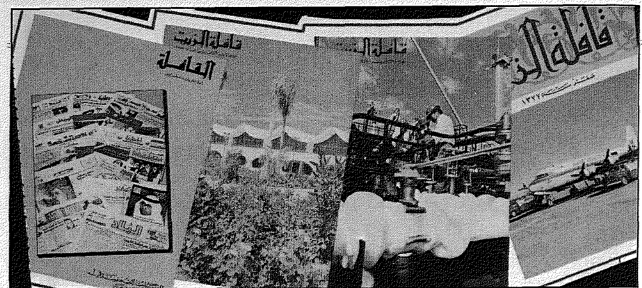
والمنهل بكل منسوبيها تقدم التهنئة إلى الشقيقة «الجديدة» وإلى كل القائمين عليها بمناسبة مرور ثلاثة عشر عاما مع الأمنيات بدوام التقدم والرقي.



عبد الرحمن الراشد
رئيس التحرير



هاني النقشبندي
نائب رئيس التحرير



- سلسلة أغلفة قافلة الزيت والقافلة.

القافلة .. تسير مع عامها الثامن والأربعين

في العام ١٣٧٣هـ وفي مثل هذا الشهر «صفر» الموافق (اكتوبر ١٩٥٣م) أصدرت شركة أرامكو السعودية في الظهران بالمملكة العربية السعودية العدد الأول من مجلة «قافلة الزيت» بهدف تزويد العاملين بالشركة وبشركات النفط الأخرى بالثقافة النفطية وبالمعلومات المتخصصة المتعلقة بشئون الطاقة وصناعاتها.. ومن هنا كان تسميتها الأولى «قافلة الزيت» حيث ظلت تحمل هذا الاسم مدة (ثلاثين عاما) وتحديداً حتى العدد الصادر في (شعبان ١٤٠٣هـ) وبعده صار اسمها «القافلة».

ومع إيلاء «القافلة» الجانب النفطي الأفضلية والأولوية في تناول موضوعاتها إلا أن القارئ يرى بوضوح أنها جمعت بين الثقافتين العلمية والأدبية - فأولت المادة الأدبية من شعر وقصة ونقد ودراسات في الأدب عناية مميزة.. إلى جانب الدراسات الاسلامية والموضوعات التراثية التى تجمع بين استعادة عطاءات الماضى العلمية والحضارية، وتبث الحياة في أمجاد العرب والمسلمين الغابرة، وفي رجالاتهم العظام من جهة، وبين الموضوعات العصرية التى تدور حول أبرز الانجازات الحديثة التى تتناول تطورات الحاضر واحتمالات المستقبل من جهة ثانية.

فـ «القافلة» إذن بطريقة موضوعية ورصينة تصل الماضى بالحاضر، وتمد جسورا باتجاه المستقبل، فلا نكاد نجد عددا واحدا من أعداد «القافلة» يخلو من استطلاع قيّم يحوى المعالم والانجازات والمناطق الهامة، في مختلف البقاع العربية، لمساعدة المواطنين السعوديين والعرب على التزوّد بثقافة جغرافية عامة.

ولم تغفل «القافلة» الاهتمام بتقديم التراجم والسير والتحليلات حول الأعلام العرب والمسلمين، من مفكرين وعلماء وأدباء وشعراء وقواد عسكريين، الذين قاموا بأدوار مميزة في الماضى أو فى الحاضر المعاش، فتسلط الضوء على منجزاتهم مع التحليل الموضوعى المفيد لقارئ «القافلة».

وجدير بالذكر أنه:

- قد تعاقب على رئاسة تحرير هذه الاصدارة الحصيفة ستة رؤساء تحرير وهم حسب الترتيب الزمنى لتولى رئاسة تحرير «القافلة» الأساتذة الأفاضل:

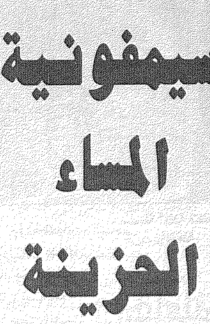
(حافظ البارودى - شكيب الأموى - سيف الدين عاشور - منصور مدني - عبد الله حسين الغامدي، والأستاذ عبد الله خالد الخالد الذى يضطلع حاليا بمهام رئاسة التحرير).

والمنهل تقتنص مناسبة هذه الذكرى السعيدة لتزف للشقيقة «القافلة» التهنئة مع خالص الأمنيات لها ولمنسوبيها جميعا بالانطلاق في «قافلة» الخير إلى آفاق الغد المشرق بحول الله ومشيئته.



الأستاذ/ عبد الله خالد الخالد
رئيس تحرير مجلة القافلة

اعداد : يعقوب السيد حسنين




سيمفونية المساء الحزينة

العربة تجرها الخيول، تتهادى نحو البعيد، غطتها أجساد النساء المتشحات بالسواد، والطفل القابع بجوار أمه محموماً، تلتقط أسماعه كل الكلمات. تتحدث إحداهن عن المرض، وأخرى عن الموت، وثالثة عن الأشباح!!

تتداخل في سمعه الأصوات لتختلط بأنين عجلات العربة ورتابة أقدام الخيل.

على البعد.. مبنى قديم، بقية مما تركه الاحتلال، كل ما فيه كئيب، آثر العزلة بعيدا بعيدا عن البنيان! يقف برغم ألف شمس وشمس مرت عليه ولم تُبْله، اللهم إلا ما استطاعت يد الزمان أن تحيل لونه الأصفر إلى رمادى باهت كئيب، «والقرميد» الذى غطى رأسه لم يسلم من عوادى الدهر، ولم تنله يد التحسين!

توقفت العربة عند السور، أطلت رؤوس متربة من الأشجار، في ظلها جلس رجال ونساء وأطفال، مرضى ينتظرون دورهم في الفحص، لقد لفحتهم جميعا شمس النهار.

عين الطفل معلقة بالباب، بين الفينة والفينة يلمح بصره المعطف الأبيض وهو يتحرك - في الغرفة - نحو سرير الفحص.. يغلق الباب.

«التمرجى» ينادى أصحاب الأسماء الشاخصة ببصرها نحو الباب.

قصاب داخل جلباب،

يعلوه غطاء للرأس،

تحت الجلباب سروال ،

فوق الأذن استقر قلم أزرق

في كفه جمع الأوراق ،

بعبوس يتهجى الأحرف، لينادى أصحاب الأسماء القابعة إلى الجدران.

دقات قلبه تسرع مع كل حركة من شفتيه، غليظة هي وسوداء، لم يكن صاحب الاسم، لا شك سيأتى دوره وتوضع حول رقبته الأغلال!

من بين ثنايا الأسنان، تبين أحرف كلمات هى كل ما يعرفه عن نفسه.. هي اسمه من صلب أبيه.

بقلم : د. أحمد عبدالمنعم عربود
- مصـــر -

نادى .. أن أقبل للفحص ، وازدادت دقات القلب، تواسى وتعزى الجسد المعلول.

بجلد ظهره العاري أحس ببرد سرير الفحص، وبيده رفع الأسمال لتتحرك يد الطبيب تمسح بطنه جزءاً جزءاً ، ثم بمسماع في أذنيه ينصت للقلب المعلول.

مع كل لمسة من الحلقة المعدنية في «السمَّاعة» ينتفض الجسد المذعور خوفا مما أخفاه القدر هناك في عقل ذلك المعطف الأبيض المنحنى بجسده فوق الركام!

إصطكت «السمَّاعة» وهو ينزعها عن أذنيه، وبكلمات اخترقت سمعه، متجها إلى مكتبه:

- لابد أن يُحْجَز ! !

الهلع المحدق بالأوصال، والوجه الشاحب من الأنصاب والرجفة تتدافع محدثة ألما هو فوق طاقة الإنسان.

الغصة تقبض على حلقه، والرعشة تسرى في جسده ، والهلع ينطق من شفته:

- لا لن أحْجَزَ ولو متُّ خارج الأسوار!!

- هذا ليس قرارك .. حياتك نحن نملكها، الأمر يخرج من يدنا، عدواك تنتقل إلى الناس .. لابد إذن من حجزك في تلك الدار!

من كان يصدق أن الخوف لبضع ثوان سيدوم ليوم أو أيام

من كان يخاف من الخارج كيف به داخل الأسوار؟!

من كان يرتعد لحديث عنها كيف سيعيش بداخلها؟!

الأمر لن يدخل في باب حوار !!

يُحجز .. كلمة ما أيسرها نطقا .. تصنع بالقلب آلاما

وبالصدر تكمن الحرقة، والحلق تحرقه الغصة..

دفعوه رغم الآلام .. نحو مصير محتوم .. لدخول مبنى الإعدام !!

ساقوه إلى أرض «الحمَّام» كئيب كل ما فيه وهذا المتدلى من الجدران..

يوحى بقدم الأزمان !!

كان لابد من «دُش» بارد قبل أن يختلط الحابل - منعا للعدوى - بالنابل!!

ارتعدت أطرافه، وانكمش يبكى مذعورا، عريانا وبنظرات يستجدى عطف القصاب!!

بقطعة فضة من ذات الربع «جنيه»، دفعتها الأم في يد القصاب، ابتسم وانفرجت أساريره، وبدون أن يبتل بقطرة ماء..

ألبسه ثياب الإعدام.

سروال قصر أم طال، جلباب من صنع الجهال، يفوح منه العطن، برباط عنق يتدلى على صدره ليقيه حر القيظان!

دهليز من زمن فات، تحطم بلاطه من السريان، على جنبيه سياج من خشب غيرت لونه الأزمان، أشبه بشهود للقبر تلتف حول الجثمان!

على البعد كانت حجرته، بل قل عنبره، وسط هياكل عظمية، على أسِّرة رمادية متسخة مع طول الأيام.

الصمت يطبق عليهم، وقد صبحتهم الشمس، وها هى توشك أن تودعهم ! العدد يتناقص حتما!!

كالقرفصاء جلس على حافة سرير أشار به «ممرضه»

الأم تخلت عنه في أوج الأزمة، وعزاؤه أنها ستعاوده عند المساء!

دارت عربة الطعام، صيحات المرضى توقظ النيام، هلموا موعد الطعام..

لم يعبأ بما أحدثه الجوع من آلام، وإن آنسه قرع الأطباق يخرجه من ضيق قد طال. عافت نفسه الدنيا وهم حديث عن الطعام؟! كلمات التواسى تواسيه: أىْ أقْبلْ.. كُلْ معنا فالبركة تحل مع الخلان.

إيماءة حزن من رأسه، دعوني همِّي ليس طعام .. دعوني إني في محنة.. لا أقدر أن أفصح بكلام.

في «العنبر» عجوز قد أشبعه المرضُ بلكمات في كل مكان، والظهر أحناه الألم مع الأيام، تقدم بطعام في يده، يحنو ويواسي المسكين! بحنان يربت على كتفه:

- مالك لا تأكل معنا! فغداً تشفى وتعود لأهلك حراً ومعافا!!

كلمات تاق لرؤيتها .. تتحقق في التَّوْ .. ياليت!!

كم يطبق الحزن على صدره .. جبالا مع الوقت يزيد

والعبرة تترقرق في عينيه يدفع يده .. شكرا للشيخ المسكين!!

العين مسلطة بالنافذة، ترقب الشمس الغاربة، وهم من حوله، يعجبون من تململه.. «كلنا في الهواء سواء»!!

لم يطق المسكين صبراً ، بخطوات متهالكة اتجه نحو الباب من وقت قد لبس المرض الجثمان، حتى ما كان فيه من رمق قد ضاع وسط الأحزان.

يا له من قدر يحار فيه الإنسان:

بالأمس كنت هناك ألهو مع صحبي من الجيران

واليوم صرت حبيسا خلف الجدران، أعاني المرض والوحدة، تتقاذفني أيدى الأشباح!

أشباح .. آه القطط ذات الرؤوس الكبيرة، ليست قططا قالوا عنها عفاريت تأتي بالليل.

وعلى البعد هى الأخرى حجرة «العزل» هناك كانت تربض وسط الصمت.، عنها كنا نسمع: مرضى ينتظرون الموت!

رباه هل حان الوقت؟ واقترب الأجل لتزل القدم إلى الموت؟!

هنا بعيدا عن الأهل .. في حجرة العزل؟!

إيه .. حجرة العزل .. أمى قالت عنها: من كان المرض أنهكه، أو خيف منه العدوى فهناك مكانه في العزل.. عنها كنا نسمع عليه تغلق الأبواب، كئيب كان منظرها، كهياكل عظام تعلوها جماجم وركام!

أخذ الخطو بعيدا عنها يرقبها بطرف من عينيه حيث الأسوار.

دورات مياه مرعبة، تتساقط فيها القطرات، محدثة صوتا كغسول جسد قدمات، والثلث الأسفل من الأبواب قد تآكلت منه الأخشاب.

بالقرب من السور وجد بغيته يأمل أن يقفز بعيدا خارجه!

آمال ما أيسر أن تنبو تتلاشى أمام القضبان.

الشمس تدور في مغربها، في هودج أحمر قان، تُزَفُّ ليوم النسيان

قد ظلت في الظهر تدور، والآن عادت لتنام، خيم الصمت على المكان، إلا من حفيف الأشجار، مختلطة بأصوات العصافير الآيبة تتدافع نحو الأعشاش لتعزف سيمفونية المساء الحزينة!

القرص القرمزى يلثم سطح الأفق ليودع النهار بقبلة المساء.

هناك هناك خلف البنيان، أرسل الطفل أنظاراً شاخصة تتوسل ضوء نهار! يناشد - من خلف الأسوار - شمس المساء الغاربة أن تقف هناك.. وهى تتسربل بجلباب المساء!

أيا شمس المساء الغاربة.. يناشدها أن تقف هناك

وهى في هودجها الأحمر تنسحب وراء الأفق رويدا رويدا .. دون أن تسمع!!

يا شمس المساء الغاربة تمهلى !! والموت الأسود يجذبها نحو القبر القابع خلف البنيان.. يستعطف قوسا منها قد أوشك أن يسقط خلف الأفق هناك!!

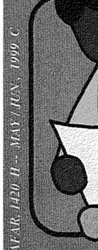
حتى أنت يا قوس ألا بقيت تؤنسنى؟!.. آه ما أتعسنى!! وأخيرا .. سقط القوس خلف الحجب فى هدوء.. وهناك خلف الأسوار سقط الجسد المتهالك.. رغم كل التوسلات!!

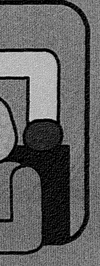
رسالة من الأبيوردي .. الى السيدة الجميلة

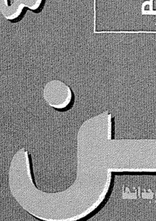
البفن .. هل هو بطريق طائر ؟!!

صيد ثمين

١١٦



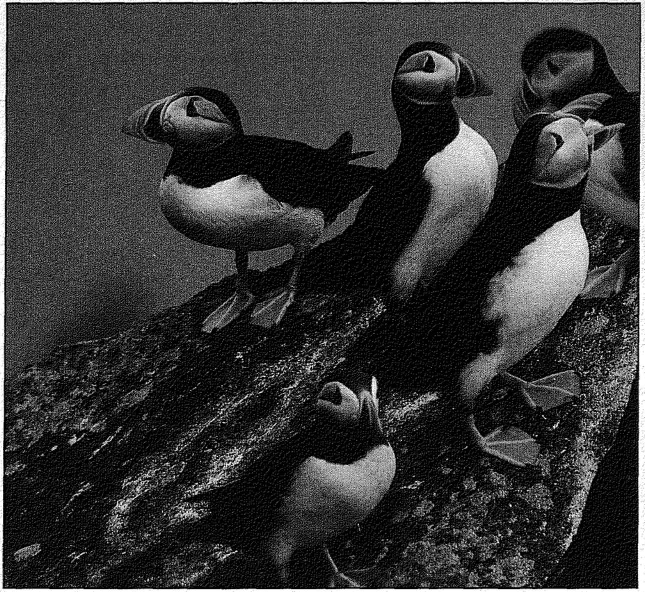




أوراق زوجية

هن

مجلة شهرية ذات أداء متخصص تخاطب عقل المرأة ووجدانها



بعض القواعد المهذبة لمجتمع البفن تظهر في مثل هذه التجمعات، فعند الهبوط يتخذ كل طائر الحركة المتعارف عليها: الجناحان الى أعلى، الرأس مرفوع جزئيا، قدم واحدة الى الامام، ويعبر الآخرون عن الترحيب بالرقص في مكانه.

البفن هل هو بطريق طائر؟!!

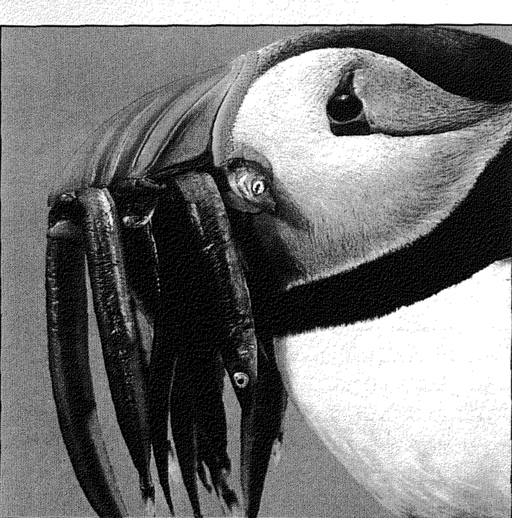
إيمان البهنساوي
- مصــــر -

يعتقد معظم الناس أن البفن ما هو الا بطريق طائر. ولكن هذا الاعتقاد الشائع لا يمت للحقيقة بصلة، فالبفن طائر بحرى من طيور الأطلس الشمالي، وهو أحد أنواع طيور الاوك (طائر قصير العنق والجناحين من طيور البحار الشمالية).

والجدير بالذكر أن هناك أربعة أنواع من طيور الاوك وقد تم صيد معظمها حتى انقرضت في القرن الماضى، إن الانواع المختلفة من طيور الاوك تعـيش في نصف الكرة الشـمالي وباستطاعتها الطيران، بينما طائر البطريق يعيش في نصف الكرة الجنوبي ولا يستطيع الطيران.

ان البفن العنقودي والبفن ذو المنقار الضخم والاويك (أوك صغير) كل هذه الانواع تنتشر في شمال المحيط الهادى مع أفراد عائلتها من طيور الاوك التى تبلغ العشرين، ولكننا سنركز هنا على طائر البفن الذى يعيش في المحيط الاطلسي.

يؤسس البفن مستعمراته بعيدا عن الحدود التى يعتقدها البشر مناسبة، فإذا أردت أن تشاهد البفن فما عليك إلا أن تذهب الى الحافة ثم الى حافة الحافة حيث الماء يغطي اليابسة وقد تكون محظوظاً أخيرا لتشاهد البفن. ان الجزر التى تعصف بها الرياح والقريبة من المناطق الغنية بالاسماك في سلسلة الصخور القارية قرب سطح الماء تعتبر مناطق نموذجية للبفن، فالريح الهوجاء



الاشـواك في مقدمة الفم تساعد على تثبيت الحمولة مما يسمح لطائر البفن بأن يحمل في الهواء عددا كبيرا من الاسماك دفعة واحدة، ان أكبر حمولة سجلت له كان يحمل في منقاره ٦٢ سمكة صغيرة، ولكن وزن الحمولة وكمية الدهون التى تحويها أهم من عددها.

تناسب البفن الممتلىء الجسم.

هناك بعض الاوضاع الخاصة التى يشتهر بها طائر البفن والتى اصبحت قواعد عامة لمجتمع البفن. فعندما يهبط طائر البفن في مجموعة يرفع جناحيه عاليا ويضع قدما واحدة للامام، إن هذا الوضع الفريد يظهره وكأنه أحد المتفرجين على الخليج، أما خطواته التى تشبه الزحف العسكرى مع رأسه التى يدسها فجأة في صدره السمين تعني أن البفن يحرس جحره أو أنه يقترب من أليفه.

ولكن لماذا يطير البفن معا في قطيع كبير؟

إن حشود الطيران المندفعة فوق مناطق الاعشاش تعتبر نوعا فريدا من حماية النفس، فعندما يتحرك البفن من البحر الى اليابسة أو العكس فهو أولا يدور عدة مرات فوق الجزء الخاص به في المستعمرة ثم ينضم اليه حالا مجموعة أخرى من طيور البفن تطير في نفس الاتجاه لتتجنب تصادم الرؤوس، إن كتلة الدوران السريعة هذه تعطى انطباعا بالانتظام والثبات والجلد.

وعندما تشاهد طيور البفن طائرا مفترسا مثل النورس الاسود فانها تنضم جميعا الى كتلة الدوران هذه. إن انضمامها وتجمعها معا يربك النورس ويجعل من الصعب عليه أن يختار هدفه من بين طيور البفن الكثيرة، وكلما كان عدد طيور البفن التى في الهواء اكثر كلما انطلق النورس أو الطائر المفترس بعيدا عن الهدف.

أما على اليابسة فإن اجتماع طيور البفن معا في مجموعات صغيرة يأخذ وقتا، وتعتبر الصخور وكتل الاعشاب النامية نوادي بيتية يجتمع فيها طيور البفن الكبيرة مع الطيور غير الناضجة، ان طيور البفن كبيرة السن متداخلة مع بعضها البعض أكثر من البشر مع أقاربهم، أما على الساحل فان طيور البفن دائما ما يراقب أحدها الآخر ويتدخل فيما لا يعنيه من شئون طائر آخر من طيور البفن، فليس هناك شيء أكثر سحرا للبفن من طائر بفن آخر.

ولكن أين تذهب طيور البفن في فصل الشتاء؟.

لقد وجد عدد قليل من طيور البفن ميتة على شواطىء البحر الابيض المتوسط، وعلى ما يبدو فإن البفن من محبى التجول في المحيط الاطلسي، والجدير بالذكر ان ثلثي طيور البفن تنجو من الشتاء عند البحر ثم تعود الى مكان ولادتها بعد مرور فصلين أو ثلاثة من فصول الربيع عندما تصبح قادرة على العودة الى الساحل، أما الباقى فيستقر في مستعمرات في مكان آخر.

إن الازواج المتناسلة تتشكل عند سن خمس سنوات ومعظم هذه الازواج تظل معا مدى الحياة ويربى كل زوج فرخا كل عام، ويقوم الزوجين ببناء عش الزوجية معا فيحفر الزوجان حفرة في منحدر عشبي بالقرب من البحر مستخدمين منقاريهما القويين كمعول وأقدامهما ذات المخالب الحادة كمجرفة. وفي بعض الاوقات يعشش البفن تحت الصخور عند قدم أى منحدر صخرى شاهق قرب الشاطىء، وإذا مات أحد الزوجين فإن الزوج الآخر يبحث عن شريك من غير المرتبطين، ان النضج المتأخر وقلة النسل والرعاية الأبوية وطول العمر -



خلال فترة التودد والمغازلة تصبح الصفيحة العظمية في منقار البفن والذى يشبه قوس قزح أكثر لمعانا وبريقا لتضيف اليه الفتنة والاغراء. ويعرض الجنسان في ازدهاء منقاريهما المثلثين اللذين يستخدمانهم اكعلم اشارى للاتصال عبر المسافات، أما خلال اللقاء القريب فإن حركات العين البسيطة تبرز علامات حول العين لتنقل الرسائل الشخصية.

صفات نموذجية للطيور البحرية ـ تساعد طيور البفن على النجاة في عالم هزيل يفتقر الى المواد الغذائية.

وفي سن ستة أسابيع تغادر فراخ البفن أبويها وتطير وحدها نحو البحر الواسع ثم يلحق بها الكبار بعد ذلك عندما يقترب الخريف ويختفى صغار السمك، وخلال الاسابيع الأولى من الاستقلالية والاعتماد على النفس تحصل الفراخ على أربع أو أكثر من وجبات الطعام كل يوم من أبويها، ولا يعلم أحد حتى الآن كيف يحدد البفن أماكن السمك بدقة، ولكن البفن على العموم صياد ماهر يغوص بعمق ٢٠٠ قدم، كما أن الأشواك التى تنحدر من الفم تسمح للبفن بأن يمسك بعدد كبير من الاسماك الصغيرة مرة واحدة. وتشير السجلات المنشورة الى أنه يمسك بـ ٦٢ سمكة في منقاره.

ولكن الصيد غير المنظم في أواخر القرن التاسع عشر لتوفير ريش القبعات والوسائد والمراتب ترك المنطقة الشرقية من امريكا الشمالية خالية من طيور البفن الجميلة والمستعمرة الوحيدة التي نجت في الولايات المتحدة بها حوالي ١٥٠ زوجاً من طيور البفن.

صيد ثمين

نعترف نحن معشر النساء أو البعض منا بأننا نصر على التمسك بنضارة الشباب والجري وراء كل وسائل المحافظة عليه من أجل عيون الرجل.. الرجل الذي نقدم له كل القرابين الممكنة ليرضى ويهدأ.. ولعلنا بعد ذلك نحظى منه بالاكتفاء والقناعة وننجح في تكبيله بقيود أبدية تضمن لنا كبح جماح عينيه اللاهثتين في تصيد الغير وملاحقة الحسان كلما سنحت له الفرصة هنا وهناك، ولا يمنعه من الوصول الى ذلك في أحيان كثيرة وجود الزوجة الحسناء بقربه.

كل الوسائل تُتَّخذ لترضي المرأة الرجل.. ولا أعني الرجل دون تحديد لموقعه وتأثيره في حياتها.. بل أعنى الرجل الزوج.. ذلك الصيد الثمين الذي تحارب المرأة من أجل الحفاظ عليه إلى حد الإجهاد والإرهاق النفسي.

صيد ثمين .. قد لا يعكس هذا التعبير اهتمامنا فقط نحوه ولا تقييمنا له.. بقدر ما يعكس حرصنا على مكاسبنا فيه والإصرار على عدم الفشل في حياتنا الزوجية هذا الفشل الذي يستدعى الشماتة من الأخريات وخلق الفرصة - لكل من هب ودب - لتشخيص الحالة وتوجيه الاتهام، ولن تكون هناك ضحية تسكب عليها نيران اللوم والتوبيخ سوى المرأة.. الزوجة المغلوبة على أمرها التي جانبها الحظ وخانها التوفيق في الاحتفاظ بهذا الكنز الثمين: الزوج الغالي .. الرجل الأثير لدى نفسية المرأة المحبة.

هذا الزوج قد يكون هو أقوى الدوافع وأمرّها التى تخلق من المرأة شخصية مضطربة غير واثقة من نفسها تلهث دائماً وراء كل ما تعتقد انه سيضمن لها رضاءه وحبه.

وكنتيجة لهذا كله تجد الزوجة نفسها في ميدان منافسة ومعركة من أجل البقاء.. وحفظ الكرامة

إذن: والحالة هذه فالحياة الزوجية إنما هى ساحة حرب ونقاط متعددة للصراع.. ودوامة تهديدات لا تنتهي، فكل ما سبق يدل على واقع خاطىء وفرضية غير صحيحة مؤداها ان المرأة عبارة عن تمثال للجمال ورمز للنضارة وهدف للاستمتاع ليس اكثر، ومتى خسر هذا التمثال الجميل مزاياه.. فلا مهرب من استبداله بآخر يفوقه روعة وجمالا وحيوية ونضارة وشبابا الى آخر ما هنالك من رغبات.

تفقد المرأة بذلك التقييم الخاطىء أحد مكوناتها ومزاياها وهي إنها انسانة كريمة بمشاعرها وذاتها،

هند احمد هرساني
- جدة -

جميلة بعطائها ثمينة بثروتها المعنوية وإضاءاتها النفسية، وهي ليست دمية جميلة على الدوام، شابة على مرّ الزمن، رشيقة في كل الأحوال، وفي صحة وعافية على مدار الأيام.

لابد أن تعتري بعض الغيوم وجه القمر، قد تظلمه لفترة تكرر ضوءه لفترات وتتحدى بهجته لفترات اخرى، ولكنها لا تغير مضمونه.. ولا تغير معدنه.. وهكذا هو حال المرأة.

من المحبة والاحترام، لها أن يتقبلها الرجل بكل حالاتها وعلى اختلاف مراحلها.. فهي زهرة قد تعصف بها الأنواء ولحن رقيق قد يجرحه نشاز الأيام.

ماذا يبقى للمرأة من مشاعر بعد مرحلة الشباب والنضارة والرونق.. وربما في بعض الأحوال.

ماذا بعد الصحة والعنفوان؟

ما الذي يبقى للمرأة عند الرجل؟ هذا هو المعيار الصادق والتقييم الحقيقي في رأيي لمدى عمق المشاعر وقوة ارتباط الرجل بالمرأة.

احتواء المرأة بكل المشاعر في كل الظروف والاهتمام بها على اختلاف الأحوال هو الوفاء الذى تطمع فيه كل امرأة، كل زوجة محبة.

ماذا بعد الغروب؟

ألا توجد اشراقة في المشاعر، وتوهج في العواطف وسطوع في المحبة.. هل انتهى الموسم وضاعت الفرص وانفضت الأماني وتعثر الرجاء وضاع الأمل؟؟

الوفاء خُلق كريم ومبدأ ثابت تزدهر به علاقتنا بالآخرين.. وهو ضرورة ملحة وعملة نادرة يتبادلها الزوجان عبر رحلتهما المشتركة.. وهو احساس مطمئن تسمو به نفوس البعض.. وتفتقر اليه قلوب الكثيرين في مختلف مجالات التفاعل البشري والالتقاء الوجداني وخاصة بين الزوجين.. فتبرز عند ذلك الصور البشعة لممارسات جارحة وانتكاسات عديدة للآمال وهزائم مُرَّة للعواطف وإيذاء سافر للمشاعر.

مسكينة إذن هى المرأة!

إذا لهثت وراء كل ما يبقي لها جمالها ويغذي شبابها بالنضارة والإشراق فهي تفعل ذلك من أجلك أيها الرجل، أيها الزوج الحبيب، كي تضمنك الى جانبها، لأن تعاملك معها يؤكد لها أن ليس هناك غير القشور.. والشكليات الزائلة، ليس هناك العمق الرحيم والمشاعر الثرية التى تضمن لها مستقبلا خاليا من الانتكاسات العاطفية التى تؤدى الى هدم أعمق مافي الكيان الشامخ وهو الصدق والأمن والحب الحقيقى النزيه.

المرأة في هذا الواقع.. امرأة مسكينة لا أسلحة اخرى لها غير اسلحة الجمال التي لجأت اليها الأنثى عبر غابر العصور.. من أجل عينيه!

ممارسات خاطئة حوّلت المرأة الكريمة بذاتها الى انثى تتشبث بأنوثتها بعيداً جداً عن انسانيتها من أجل البقاء والتفرد بالخظوة والإعجاب ممن يهمها أمره.

وهذا واقع في رأيي غير مشرف تنحدر إليه بعض النساء نتيجة سلوكيات خاطئة من الرجال نحوهنَّ.

عندئذ يحق لنا أن نذرف دموع الحسرة والألم وننعي الوفاء في ارتباطنا المهترىء وبنائنا المتداعي!

أوراق زوجية

٩٩١ - أبو عواد:

قالت لي تصف معاناتها: انها أرملة رجل حي!! يا لها من عبارة مؤثرة تحتاج إلى مجلدات لوصف معيشة وحياة أرامل لأزواج أحياء يرزقون!!.. ترى كم يظلم الرجال زوجاتهم وكم في كل بيت صابره!؟.. ومن حقي أن أقول بالمقابل كم من الرجال أذلاء في بلاطهن داخل أسوار المنزل وربما خارجه!؟.

٩٩١ - أم عمرو:

اذا ماتت الزوجة في نظر زوجها أو مات الزوج في نظر زوجته فهذا بمثابة تصريح بدفن العلاقة الزوجية قبل أن تزكم رائحتها أنوف المحيطين بها.

٩٩٢ - أبو عواد:

أحبك لأجد الوسيلة مقدمة للغاية.. انني أحبك حب الغاية ذاتها لأنك أهل لذلك ولأن الحب لا ينبغي أن يكون مطية ولا سفينة شراعية، الحب هو المرفأ وهو الغاية والهدف.

٩٩٢ - أم عمرو:

لا يوجد في الحب غاية ولا وسيلة. التعريف الوحيد للحب أنه علاقة يعطي فيها كل طرف للآخر بلا سبب ولا مقابل ولا حدود.

٩٩٣ - أبو عواد:

هل يتجزأ الحياء؟! سألت نفسي غير مرّة هل تكون المرأة خجولة في الطريق وخلاف ذلك في مكان آخر؟!.. وهل الخجل فستان تلبسه المرأة كغيره من الفساتين الجميلة وتخلعه متى شاءت أم هو شيء متأصل كأصابع يدها وكفها المخضب وأظافرها المطلية؟!..

٩٩٣ - أم عمرو:

نعم الحياء لا يتجزأ ولكن كيف يمكن أن نتصور محارباً في معركة على قدر كبير من الحياء. الحقوق لا تؤخذ بالحياء وخاصة إذا كان من يضع يده عليها لا يتسم بأى قدر من هذه الصفه.

٩٩٤ - أبو عواد:

ما هو المجال المغناطيسي لجاذبية المرأة؟!.. وكيف يقع مجذوب في مجال من هو أقوى جاذبية؟! وكيف باستطاعة الجاذبيتين أن تفض الاشتباك على مجذوب هو في أحسن الأحوال ضحية؟!.

٩٩٤ - أم عمرو:

المجال المغناطيسي للمرأة هو الدائرة التى يغطيها حبها وحنانها وأمومتها وعلى من يقع داخل إطار هذه الدائرة أن يسكن ويقر عيناً فلن يستطيع الفكاك منها ابداً.

٩٩٥ - أبو عواد:

الزوجة في حالات معينة تحتاج لأن تعلن في صفوف قواتها البرية والبحرية والجوية حالة التأهب القصوى عندما تشعر بأن هناك عدواً يهدد حدودها الآمنة! أليس كذلك؟؟

٩٩٥ - أم عمرو:

إن إحساس المرأة بالخطر المحدق



ببيتها وحشدها لكل أسلحتها للقضاء على الهوام التى تزحف حوله هو غريزة وضعها الله فيها وفي أغلب الكائنات الأخرى للمحافظة على عشها وعلى صغارها.

٩٩٦ ـ أبو عواد:

إذا اطمأنت الزوجة أن زوجها كما يقولون - حمامة مسجد!! وسرّحت قواتها الاحتياطية فإنها وحدها تتحمل المسؤولية إذا حدث عدوان غاشم وأصبح الزوج أسيراً في أيدى الأعداء!!

٩٩٦ ـ أم عمرو:

أشفق على الرجال من هذه الصفة التى يلحقونها بأنفسهم. أنهم ليسوا كائنات مسلوبة الإرادة كما يدعون وعندما يقعون في شرك منصوب فإنهم يفعلون ذلك بمطلق ارادتهم وعليهم ان يرتفعوا الى مستوى تحمل مسئولية ما يفعلون ولا داعى لمثل هذه الأعذار الواهية، مكشوفة هذه اللعبة!.

٩٩٧ ـ أبو عواد:

أوافق الشاعر في قوله «وبعض مودات الرجال سراب» .. لكن البعض الآخر من هذه المودات ماء عذب وينابيع دافئة فيها يُطْفأ الظمأ وتبرأ العلل.. لكن الذي في معظمه سراب هو مودات النساء ما لم تكن أماً أو أختا إلا ما ندر!!

٩٩٧ ـ أم عمرو:

تصبح مودة الزوجة لزوجها سراباً ويتعذر عليه أن يتيقن من صدق مشاعرها اذا شاركتها فيه زوجة أخرى. هنا تتحول المشاعر إلى المنافسة ولا تنبع من نفس صافية.

٩٩٨ ـ أبو عواد:

على الزوج العاقل أن يقطع الحرارة عن هاتفه عندما يصبح جهازه محطة استقبال لارسال إباحي من صديق غير مخلص!!

٩٩٨ ـ أم عمرو:

من الأفضل أن نربي بناتنا ليكنّ حارسات على أنفسهن فمهما نصبنا من أنفسنا حراساً عليهن فلن نتمكن من ذلك على مدار الساعة. المرأة الفاضلة لا تسمح لأحد بالتطاول عليها وهى اكثر قدرة على قطع لسان كل من يحاول ذلك.

٩٩٩ ـ أبو عواد:

ليست في نساء اليوم امرأة كامرأة أيوب عليه السلام ولا كزوجة فرعون «آسيه» جميعهن يتظاهرن بالحب والتضحيات وعند أول منعطف يجد الزوج نفسه وحيداً!!

٩٩٩ ـ أم عمرو:

وهل يوجد من رجال اليوم من يعتبر نفسه مثل أيوب عليه السلام؟ أين يوجد هذا الرجل؟.

١٠٠٠ ـ أبو عواد:

جميع الساقطين على وجه الأرض هم الذين أوصلوا المرأة إلى هذا الغرور والعنجهية التى باتت معها لا تريد أن تسمع شيئا غير المديح والثناء والاطراء والتذلل في بلاطها كأنها صدقت نباح تلك الكلاب الضالة وحوم خفافيش الليل حولها!!

١٠٠٠ ـ أم عمر:

لا اعرف كيف وصل الرجل الى هذه الدرجة من البخل؟ حتى الثناء والمديح الذى لا يكلفه شيئاً يريد أن يضن به. المديح والثناء تعزيز يشجع الطرف الآخر على المزيد من العطاء والتضحية، والفم المملوء بالكلمات العذبة طيب الرائحة.

رسالة من الأبيوردي إلى السيدة الجميلة

* هو أبو المظفر محمد بن أبي العباس أحمد
* ينتهى نسبه الى معاوية بن أبي سفيان.
* ولد في مدينة أبيورد بخراسان.
* كان فاضلا في العربية والعلوم الأدبية ـ نسّابة.
* أخذ عن عبد القاهر الجرجانى في النحو.
* مدح أمراء خراسان وخلفاء العراق وأمراءها.
* تولى خزانة دار الكتب بالنظامية ببغداد.
* في آخر عمره تولى الإشراف على وجهاء مملكة السلطان محمد بن ملكشاه.
* مات بأصبهان سنة ٥٥٧ هجرية.
* من تصانيفه:

أ ـ كتاب: قبسة العجلان في نسب آل أبي سفيان.

ب ـ كتاب: نزهة الحافظ.

جـ ـ كتاب: من طبقات العلم في كل فن.

د ـ كتاب: كوكب المتأمل ـ يصف فيه الخيل.

أميمة معذبتي:

غادرت خراسان عند الفجر وهاك رسالتى أبعثها إليك مع صديقى ثابت بن على، فاقرئيها وتدبري معانيها وما تشى به، فلسوف تطلعين فيها على صدرى وما يكنه لك من حب ووداده.. وما يحفظه لك من تقدير وإجلال، ولسوف تطلعين فيه على أسباب سفرى المفاجىء بغير أن أنذرك.. فقد سئمت العتاب، وسئمت توترات الخصام وما يسببه لى من قلق بالنهار وأرق بالليل. وذلك هو العذاب الواصب الذى لا يحتمله إنسان مثلى.

رأيتك يا معذبتى وقد دأبت في الأيام الأخيرة على السخرية منى والتهكم عليّ. وكأنك لا تعرفين من أنا ومن أكون ومن هم آبائي وأجدادي.. أنا سليل العظماء والكبراء:

جدى معاوية الأغر سمت به
جرثومة من طينها خلق النبى
وورثته شرفاً رفعت مناره
فبنو أمية يفخرون به وبى

إن همتي كبيرة عظيمة، وإن شأو إرادتى لا

بقلم: محمد عبدالواحد حجازي
ـ مصر ـ

يعرف له حدود أو آماد يقف عندها، أو أبعاد ينتهى إليها. هل تذكرين يوم تهكمت عليّ حين دعوت ربى قائلا: «اللهم ملّكنى مشارق الأرض ومغاربها؟.. رأيتك تقولين: «أى شيء هذا الدعاء»؟ فرددت عليك بما يجسد إرادتي وخليقتي، وبما يثبت لك أننى جاد فيما أطمح إليه. فأنا لست خائر الإرادة ولا ساقط الهمة ولا ممن يركنون إلى السلامة:

يعـــيــرني أخـــو عـــجل إبائي
على عـدمى وتيـهي واخـتـيـالي
ويـعـلـم أنـنـى فـــــرط لحي
حـــمـوا خطط المعـالي بالعـوالي
فلست بحــــاصن إن لم أزرها
على نهل شـبـــا الأسل الطوال
وإن بلغ الرجـال مـداى فـيـمـا
أحـــاوله فلست من الرجـــال

فهل كنت تظنين يا معذبتي أننى ممن يرضون بالدون أو ممن يضرعون على أعتاب الملوك والأمراء والوجهـاء؟ لست من هؤلاء أبداً، ولكنى أبيّ عنود شموس.. أمدحهم؟ نعم.. أبجلهم؟ نعم.. أبسط أيديهم بالنعم؟ نعم. ولكن عن عزة نفس وشموخ إرادة وترفع عن سواء الناس. فمقامى رفيع، وشأنى عظيم. فلمَ أتزلف إلى أصحاب الشأن تزلف الضراعة والذلة؟

لا أنكر أن دهري تنكر لي، وسوف يتنكر لي ولكنه لن ينال من صمود إرادتي وعزة نفسي:

تـنـكـر لـي دهـري ولـم يـدر أنـنـي
أعـــز وأحـداث الزمـــان تهـــون
فبـات يريني الخطب كيف اعتداؤه
وبت أريه الصـبــر كــيف يكون

أميمة معذبتي:

تركتك يا معذبتي فغادرت خراسان واتجهت صوب مملكة الأمير الهمام الشجاع مقارع الروم ومنازلهم وداحرهم.. قصدته في ثلة من فرساني واتجهت إلى قصره. وفي الليلة التى يعقدها للشعراء والزائرين من طلاب المصالح انتظرت أن أسمعه قصيدتى في مدحه وقد أبدعت فيها أيما إبداع. ولسوء حظى اعتذر عن السماع ووعدنى يوما غير ذلك ليعد ما يليق بمثله إجازته مما يحسن بين الناس ذكره ويبقى على ممر الأيام أثره.. آنئذ أخذتنى حمية الكبرياء وأمرت أصحابى أن يعبروا ثقلة الفرات متفرقين في دفعات، وانسللت من غير أن يعلم أحد سوى ولد أبي طالب بن حبش، فإنه سمعنى أنشد على شاطيء الفرات حين عبوري:

أبابل لا واديك بالخـيـر مـفـعم
لراج ولا ناديك بالرفـــد آهلُ
لئن ضقت عنى فالبلاد فسيحة
وحـسـبك عـاراً أننى عنك راحل
فـإن كنت بالسحر الحلال مدلة
فعندى من السحر الحلال دلائل
قواف تعير الأعين النجل سحرها
وكل مكان خيـمت فيـه بابل

فبادر ولد أبي طالب إلى سيف الدولة فقال له: رأيت على شاطيء الفرات فارساً يريد العبور الى الشرق وهو ينشد هذه الأبيات. فقال سيف الدولة:

وأبيك، هو الأبيوردي، فركب لوقته في قل من عسكره.. فلحقني، فاعتذر، وسألني الرجوع وعرفني عذره في امتناعه عن سماع شعري وأمر بإنزالي في قصره معه وحمل إليّ ألف دينار ومن الخيل والثياب ما يزيد على ذلك قيمة.

أميمة معذبتي:

في تلك الليالي التي قضيتها في ضيافة الملك النبيل الجسور سيف الدولة بن حمدان، في تلك الليالي لم يغمض لي جفن: صورتك لا تفارق خيالي وحبك لا يتركني بحالي يفتح لخاطري ذكرياتي معك فيعاودني الحنين إليك.. وإنه لعذاب:

خطرت لذكرك يا أميمة خطرة
بالقلب تجلب عبرة المشتاق
وتذود عن قلبي سواك كما أبى
دمعي جواز النوم بالآماق
لم يبق مني الحب غير حشاشة
تشكو الصبابة فاذهبي بالباقي
أيمل من جلب السقام طبيبه
ويفيق من سحرته عين الراقي
إن كان طرفك ذاق ريقك فالذي
ألقى من المسقي فعل الساقي
نفسي فداؤك من ظلوم أعطيت
رق القلوب وطاعة الأحداق
فلقلة الأشياء فيما أوتيت
أضحت تدل بكثرة العشاق

هلا تذكرت يا معذبتي كما تذكرت أنا ليالي زمن العُذيب؟ هل تذكرينها؟ ما كان أبهجها، بل ما كان أنضرها وأنضرنا.. كنا في غضارة الشباب وفجر الفتوة ورونق الحياة بأطيافها وأحلامها وأمانيها.. وكنا حيث نعبث بالهوى أو يعبث بنا الهوى في غرارة وبكارة.. لا نعرف الأسرار أو الإسرار، ولا نعرف المواربة أو المداجاة.. نلهو ونلعب ونخطر الهوينى تارة ونستبق إلى أشواقنا تارة.. آه، ما أحلاها من ذكريات خليق بضمير الحب ألا ينساها أو أن يتنكر لها فهي صفو الزلال الذي يشفي صدانا ولظانا.. معذبتي:

لك من غليل صبابتي ما أضمرُ
وأسر من ألم الغرام وأظهر
وتذكري زمن العُذيب يشفني
والوجد ممنويه المتذكر
إذ لمتي سحماء مد على النقا
أظلالها ورق الشباب الأخضر
ولداتك النشأ الصغار وليس ما
ألقاه فيك من الملوم يصغر
هو ملعب شرقت بنا أرجاؤه
إذ نحن في حلل الشبيبة نخطرُ
فبحر أنفاسي وصوب مدامعي
أضحت معالمه تُراح وتمطر
وأجيل في تلك المعاهد ناظري
فالقلب يعرفها وطرفي ينكر

أميمة معذبتي:

مما يكاد يبكيني أنني يوم دخلت بغداد، التف حولي شرذمة من الأفاقين زينوا لي مهاجمة الخليفة

فوافقتهم مداراة حتى أتخلص منهم وأتقى سفالتهم. وما أن علم بى أمير بغداد حتى دعانى إليه. وكان كريما عطوفاً يقدر الرجال ولا يبخل عليهم بمال. وأكثر من هذا فإنه جعلنى خازنا لدار الكتب النظامية ففرحت بهذه الوظيفة لأنها يسرت لي أمرين:

أولهما: أننى تجنبت السفهاء الثقلاء.. والآخر أنها أعطتنى فسحة من الراحة والاطمئنان بعد طول ترحل في الآفاق، ولكن الوظيفة لنحس طالعى لم تنجنى من ثقلاء الأمراء الذين منحتهم الدنيا بغير حساب وهم لا يستحقون سوى ضرب النعال.. هنا ألح عليَّ السأم أن أهجر بغداد وأتجه صوب أصبهان:

فقد سئمت مقامى بين شرذمة
إذا نظرت إليها قطبت همـمي
أراذل ملكوا الدنيا وأوجههم
لم يكشف الفقر عنها بهجة النعم

أليس محيراً للعقول أن يملك الدنيا الطغاة الأراذل؟ أليس محيراً للعقول أن يفوز الأدنياء السوقة بالوجاهة والمناصب الرفيعة ويقصى دونها الأشراف أصحاب الأقدار العالية والأصول السامية.. إن ذلك لهو الخلل الذى يكاد يعصف بإيماننا.. وإنها:

خطوب للقلوب بها وجيب
تكاد لها مفارقنا تشيبُ
نرى الأقدار جارية بأمر
يريب نوى العقول بما يريب

فتنجح في مطالبها كلاب
وأسد الغاب ضارية تخيب
وتقسم هذه الأرزاق فينا
فما ندرى أتخطىء أم تصيب؟

أميمة معذبتي:

غادرت بغداد إلى أصبهان.. ولا أخفي عنك يا حبيبتى أن قد خالجتنى شكوك كثيرة من جدوى ذهابى إلى تلك المملكة فكنت إلى اليأس أقرب منى إلى التفاؤل ولكن حالتى النفسية قرت وهدأت عندما جعلنى أميرها قيما على الوجهاء والأشراف. عندئذ تذكرت نصيحتك لى بأن أهاجم الناس وأشتمهم وأزري بهم في شعرى فذلك هو السبيل الوحيد لإرغامهم على أن يجودوا بالمال وهم صاغرون.. وآه لو سرت بنصيحتك المشئومة هذه لهبطت منزلتى عند الناس فضلا على الملوك والخلفاء والأمراء.. يومها قلت لك:

كفى أميمة غرب اللوم والعذل
فليس عرضى على حال بمبتذل
إن مسنى العدم فاستبقى الحياء ولا
تكلفينى سؤال العصبة السُّفل
فشعر مثلى وخير القول أصدقه
ما كان يفتر عن فخر وعن غزل
أما الهجاء فلا أرضى به خلقا
والمدح إن قلته فالمجد يغضب لى

حبيبتي معذبتي:

أحن وللأنضاء بالغور حنة
إذا ذكرت أوطانها بربا نجد



شذرات الذهب

٢٩٧ - قلب الحيوان:

كـتـب صـيـادٌ أوربي يُعلن توبتـه عن اصطياد الحيوانات فكان مما قال:

«ذهبتُ إلى الغابة ذات صباح، فرأيت قرداً جميل الصورة بالنسبة إلى فصيلته، وهو صغير وحده على الشجرة يقفز من مكان الى مكان في أعاليها، وكأنه طروب فرح بصفاء الجو، وخضرة الشجر، فأردت أن أصيده لأحتفظ به كي أبيعه بثمن غال، وصوبت البندقيه الى قدمه، ولكنها أخطأت المكان فاتجهت إلى موضع قاتل، وسارعت فحملته جاهلا مكان الإصابة من جسمه، وما كدت أنتقل به إلى منزلى الحديدى في الغابة حتى سمعت ضجة عالية، ورأيت عشرات القرود تزحف نحو منزلي، فأوصدت الباب، ولكنها تجمعت وكأنها صممت على ألا تذهب حتى ترجع بالقرد الصغير، فاضطررت أن أرميه إليها بعد أن فارق الحياة، فحين أبصرته ميتاً، جعلت تنصرف واحداً واحداً، الا قردة عجوزاً أخذت تضمه بشدة إلى صدرها، ثم تتركه وتضع التراب على رأسها، ودموعها تنهمر كالإنسان تماما دون فارق، وزاد أسفى حين أبصرتها تقبل كل عضو من أعضائه، ودموعها لا تزال تنهمر، ثم رأيتها تجره، وتحمله، وتسير به، وكانت تعجز عن مواصلة السير، فتضعه على الأرض وقتا، ثم تحمله، وأنا أتابعها، وقلبى يتقطع من الندم، ولم أذق اليوم والليلة طعاماً، لأن منظر الأم العجوز في بكائها ووضع التراب على رأسها، لم يجعلنى أفكر إلا فيها وفي ولدها الصريع، وفي الصباح جهّزت أمتعتى، وعزمت على السفر، وأنا سائل نفسي، إذا كنت قد اصطدت أكثر من مائتي حيوان، فكأنِّي فجعت أكثر من مائتي أم، ولا أدرى.. وكان طبيعيا أن أترك هذه المهنة القاسية! القاسية حقا دون جدال».

٢٩٨ - رحمة العصافير:

قال الجاحظ في الحيوان:

وليس في الأرض طائر ولا سبعٌ ولا بهيمة أحنى على ولد ولا أشد به شغفا من العصافير، فإنها إذا أصيبت بأولادها أو خافت عليها العطب، فليس بين شيء من الأجناس من المساعدة، مثل الذى مع العصافير، لأن العصفور يرى الحية قد أقبلت نحو عشِّه ووكره لتأكل بيضه وفراخه، فيصيح ويرنق فلا يسمع صوته عصفور إلا أقبل عليه وصنع مثل صنيعه بحرقه ولوعة وقلق، واستغاثة وصراخ، وربما أفلت الفرخ وسقط إلى الأرض، وقد ذهبت الحيّة، فيجتمعن عليه إذا كان قد نبت ريشه أدنى نبات، فلا زلن يهيجنه ويطرن حوله، لعلمها أن ذلك يحدث للفرخ قوة على

النهوض، فإذا نهض طرن حواليه ودونه يشجعنه بذلك العمل، ولو أن إنسانا أخذ فرخي عصفور من وكره بحيث يراهما أبواهما في منزله لوجد العصفور يقتحم ذلك المنزل، حتى يدخل في ذلك القفص، فلا يزال في تعهده بما يعيشه حتى يستغني عنه، ثم يتحمل في ذلك غاية التغرير والمخاطرة، وذلك من فرط الرقة على الولد.

٣٩٩ ـ حزن الحيوان:

جاء في مجلة الكتاب (مارس ١٩٥٢):

نشرت الصحف المصرية أخيرا برقية طريفة من ميلانو في إيطاليا تقول: امتنع عن الطعام منذ يوم عيد رأس السنة الأسُود والنمور والفهود في حديقة الحيوان بميلانو بعد أن تُوفي مدير الحديقة الذى كان يعطف على الحيوانات ويطعمها بيده، فقد فقدت الحيوانات شهوتها للطعام حزنا على المدير الذى كان يمر بها جميعاً ويلاطفها، ويتحدث إليها كل يوم عندما يوزع عليها الطعام.

ولما تُوفي في يوم رأس السنة افتقدته الحيوانات، وراحت تزأر وتعوي حزنا عليه، ثم امتنعت عن الطعام، وقد صرّح موظفو الحديقة أنهم بعثوا إلى أرملة المدير، وهى الأخرى صديقة الحيوانات يسألونها العون، ويطلبون إليها أن تكفكف دموع هذه الحيوانات التي صدها الأسى عن الطعام والشراب.

ويذكر كاتب هذه السطور بمجلة الكتاب الأستاذ عوض جندى ـ مقالا قرأه في شبابه في إحدى المجلات الإنجليزية، جاء فيه ما يلى تأييدا لهذا النبأ:

كان لسيدة انجليزية أرنب جميلة أهدتها إليها إحدى صديقاتها، فشغفت الأرنب بحب تلك السيدة، حتى كانت لا تفارقها متى أطلقت من قفصها إذ كانت تتبعها حيث تذهب، كما يتبع الكلب صاحبه وترفض الطعام إذا قدمه إليها أحد سواها، وكانت السيدة تقطن في أرياف انجلترا فاضطرت إلى مغادرتها لقضاء بضعة أسابيع في لندن، فلم تر بُدا من ترك الأرنب في منزلها تحت رعاية خدمها، لتعذر مرافقتها إياها في مساكن العاصمة الانجليزية، فحزنت الأرنب حزناً شديدا على فراق سيدتها وصامت عن الطعام، وأبت الخروج من قفصها، فأخذ الخدم يحرضونها على الأكل بألذ أنواعه، فكانت ترفضه رفضا باتا، فصاروا يتوقعون أن يقهرها سلطان الجوع ذات يوم، ويكسر شوكة عنادها فتأكل مرغمة ولكنهم كانوا مخطئين، لأن الأرنب ظلت صائمة، حتى آل الأمر إلى استدعاء صاحبتها المحبوبة من لندن، فعادت، وما إن رأت الأرنب سيدتها حتى هرعت إليها، وتعلقت بها كأنها تريد مصافحتها.

وحدثني ـ والكلام لصاحب المقال ـ قريب لي، في العقد الثامن من عمره، فقال شاهدت منذ

نصف قرن في بلدتنا بمديرية البحيرة كلبا أميناً يموت حزنا فوق رمس صاحبه الذى كان في حياته يطعمه بيده، صباحا وظهرا ومساء، فقلت حبذا هذا الإخلاص..

٤٠٠ ـ الذئب العاشق:

قصة واقعية أرويها بتصرف عن الدكتور يعقوب صروف صاحب مجلة المقتطف في كتابه عن التاريخ الطبيعي: في كرمبو بولاية المكسيك سهول فسيحة كثيرة القطعان خصبة المراعي، ولكن يعكر صفوها ذئب خطير كبير الحجم، لقبه الأهلون (بملك كرمبو) وهو زعيم عرجلة من الذئاب تأتم بأمره، فيسلطها على جموع الماشية لتفتك بها وبمن يحرسها، حتى أصبح اسمه مصدر رعب صاعق، وكان ذا حيلة لا تتيسر إلا لإنسان عاقل مدرك، فهو يحتال على الإيقاع بالمزارعين بمالا يدور في ذهن بشر.

وقد حاول الرعاة قتل (لوبو) وهذا اسمه المشتهر بينهم بكل وسيلة ممكنة، بالسم والفخاخ والأسلحة النارية فكان أتباعه تتساقط لتتجدد أما هو فمن مكره في حرز حريز، وحين ضاق المزارعون به أعلنوا أنهم يعطون خمسين ألفاً من الدولارات لمن يتمكن من صيده، فأراد صياد ثري شهير أن يفوز بالجائزة، وأعد الأسلحة والكلاب المدربة والصيادين الخاضعين لإشاراته، وجعلوا يترصدونه دون جدوى، لأنه يعتصم بالمغاور والآكام ثم قرروا أن يضعوا السموم القاتلة في ضحايا من الأغنام، على أن تغلف بأقراص من اللحم والشحم كيلا يفطن إليها الذئب، فكان من العجيب أن يجمع الذئب هذه الأقراص ويبول عليها، كأنه يتحدى القوم، ويفهمهم أن مثل هذه الحيل الصبيانية لا تنطلى عليه، وقد لجأ القوم إلى إذابة السم في شحم طري وهو من نوع (السيانيد) أفتك السموم قتلا وأنشطها سرعة، ثم وضعوه في أجزاء من اللحم حاولوا محو أثرها على الجلد كيلا يفطن لها الذئب ولكنهم فوجئوا بهذا الماكر يبول على الضحية أيضا. كأنه شم رائحة السم فتوقاه لأنه من فصيلة الكلاب، ولم تنفع الرصاصات المتوالية، ولا السموم المتتابعة ولا الفخاخ التى تُنصب في الغدران، ووزن كل فخ أكثر من عشرة أطنان في اصطياد هذا الداهية، إذ كان يتحاشاها بخبرته الواعية، وضحاياه كل يوم تتابع من القطعان والأناس حتى أصبح وباء يكتسح كرمبو.

وقصة هذه الفخاخ طويلة يصعب سردها، وكلها تنتهى بالفشل، غير أن صياداً ماكرا أشار على القوم باستدعاء ذئبة جميلة من إقليم عَيَّنَه، لتكون مصدر سرور للذئب الذى لم يشاهد هذا النوع من الذئاب الدنماركية، وطبيعى أنه سيفتديها بروحه، وأنها لا تحوى تجربته الماكرة، فإذا وقعت في فخ محكم مما يتحاشاه الماكر الداهية فإنه سيتدخل لإنقاذها، ولابد أن يُلحظ على بعد، ليتعقبه الرصاص القاتل داخل الفخ الحديدى

الثقيل فلا يستطيع النجاة، والرصاص ينهال عليه من كل مكان، وجاءت الذئبة المسكينة وتركت في السهل الممتد، فتجمع حولها الذئاب في فرح، ورآها (لوبو) فاصطفاها لنفسه، وجعلها أميرة الذئاب لا يمكن لغيرها أن يتقدمه في المسير، ووثق القوم من الخطوات الأولى في نجاح الخطة، فأخذوا يرصدون الفخاخ الثقيلة ذات الحديد الأصم، ويراقبون في حذر مجيء الذئبة إلى الماء حيث توضع الفخاخ، حتى تمت الوقيعة وهوت في الشرك، فصاحت صيحة مرعبة سمعها (لوبو) فأقبل يعدو من السهل البعيد، ولم يحجم عن انتشالها فاندفع إلى الفخ يحاول انقاذها، وانهال عليه الرصاص من كل صوب، فهوت قوته، ولم يستطع الوثوب بحبيبته، وتقدم القوم يرونه في الاحتضار، فكان ينظر إليهم باشمئزاز وقد أدرك عاقبته المحتومة، أما الذئبة الدينماركية فقد ذاقت حتفها لأول طلقة من طلقات الرصاص، وكانت هى الطعم اللذيذ.

٤٠١ - من شعر الابيوردي:

لهذا الشاعر نفثات وجدانية رقيقة، وقد عبّر عن بعض لواعجه مستعيناً بصورة فنية، لظبية جميلة ترعى مرجاً ناضرا بالجزع، ومن خلفها ولدها الصغير، لا يكاد يقدر على القفز وراءها، فتركته في ظل أراكة لتعود إليه بعد أن ترعى نبات المرج وآنسها المرعى الخصيب بما يضم من ثمر وغذاء، فجعلت تأكل هانئة قريرة، حتى قضت لبانتها، ثم رجعت ثانية الى طلاها فصادفت أسوأ موقف!! صادفته بقية أشلاء يغمرها الدم، إذ أتيح له سبع مفترس لم يكد يرمقه حتى جعله غذاءه الهنيء، ولا تسل عن حزنها اللاهب، وأساها الوجيع حين طفقت تنظر إلى حشاشتها القتيلة في ذعر هائج، وفي النفس ما بها من جذوات الحسرة، هذه الحسرة الكاوية جعلها الشاعر الإبيوردى مثيلة لحسرته حين فارق حبيبته مكرها فقال:

وما أمٌ ساجي الطرف مال به الكرى
على عذبات الجزع تحسبه قلبا
تُراعي بإحدى مقليتها كناسها
وترمي بأخرى نحوه نظرا غربا
فلاح لها من جانب الرمل مرتع
كأن الربيع الطلق ألبسه عصبا
وآنسها المرعى الخصيب فصادفت
مدى العين في أرجائه بلدا خصباً
فلما قضت منه اللبانة راجعت
طلاها فألفته قضى بعدها نحبا
أتيح له عاري السواعد لم يزل
يخوض إلى أوطاره مطلبا صعبا
فولّت على ذعر وفي النفس ما بها
من الكرب، لا لاقيت في حادث كربا
بأوجد مني يوم عجّت ركابها
لبينٍ فلم تترك لذي صبوة لُبّا



** «في موكب الزمن .. ذكريات وشجون تربوية» تأليف: محسن احمد باروم.

هذا الكتاب يمثل ألوانا من الذكريات وصورا من الحياة وضروبا من التجارب مرّت على المؤلف خلال اشتغاله بالخدمة الحكومية في وزارة المعارف قبل ثلاثين سنة تقريبا. جمعها الكاتب ليُري القارىء مقدار البون الشاسع الذي طرأ على حياتنا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية خلال نصف قرن.

والكتاب لا يرسم ملامح دقيقة للسيرة الذاتية لكاتبه وانما هو فصول انتقاها الكاتب من واقع الحياة التى عاشها، تصور ضروبا من الذكريات التى طافت بذهنه عن أحداث مرت عبر طفولته وصباه فحفرت في أعماق نفسه ضروبا من الندبات والجروح والمناشط والمكاره رأى أن يسجلها لتضيء معالم الطريق للسائرين من أبناء الأجيال الصاعدة فيه.

والكتاب مجلد ويحتوى على ٢٥٥ صفحة من الحجم الكبير، طباعة عالم المعرفة بجدة للنشر والتوزيع.

** «الداء .. والدواء بين الأطباء والأدباء» تأليف الدكتور/ حسان شمسي باشا استشاري أمراض القلب.

وابتدأ المؤلف الكتاب بفصل ذكر فيه ما قاله الشعراء في مرضهم أو مرض أبنائهم. وجعله تحت عنوان الشعر والمرض.

ثم جعل فصلا آخر بعنوان بين الطبيب ومريضه تناول فيه «أدب الطبيب ونصائحه، ومدح الأطباء وهجاءهم ورثاءهم وأجرتهم وجشع بعضهم وغير ذلك مما يخص الأطباء.

وتتلاحق الفصول لتتحدث عن عالم النوم، والأرق، والأحلام، وهموم الشيخوخة وأعبائها وأمراض الجلد والحصبة والجدري والجذام... الخ.. من الأمراض المستعصية وغيرها.

وفي نهاية الكتاب جعل الكاتب فصلا عن (الشعراء في مواجهة الموت) وفصلا آخر تحت عنوان (ولسوف يعطيك ربك فترضى} والكتاب في مجمله هو تآلف بين الطب والأدب.. إنه كتاب يجمع بين طرافة الأدب ولذة المعرفة الطبية في العديد من الموضوعات التى تهم كل انسان. والكتاب يحتوي على ٢٥٠ صفحة من الحجم الكبير طباعة دار القلم دمشق.

** «المختار من أشعار الاخيار» - جمع وإعداد المهندس عبد الله سند الجودي..

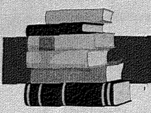
واحتوى الكتاب على كم وفير من الأشعار جمعت من خير ما نطق به الملوك خاصة وكبار القوم عامة والشعراء منهم وقد وضعت تحت عناوين منها: (نصرة الدعوة المحمدية - مدح الرسول [صلى الله عليه وسلم] - التهديد والوعيد - السماحة والشفاعة - الفخر - الرثاء - المدح - الأمثال والحكم - الغزل - صدود المحب - وصية والد لولده - الحماسة - صروف الزمان... الخ).

والكتاب يحتوى على ٢٣٠ صفحة من الحجم الكبير الطبعة الأولى عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.



** «كيف نحمي صحتنا من أخطار الكمبيوتر» تأليف الدكتور: عبد البديع حمزة زللي.

هذا الكتاب يوجه الانتباه الى الكيفية السليمة لاستخدام أجهزة الحاسب الآلي بحيث لا تعرّضنا إلى أخطار محتملة. وإن من العادات الخاطئة التي يقدم عليها بعض من يستخدمون هذه الأجهزة مما تجعلهم يعتدون على أنفسهم فيعرّضون صحتهم إلى الأذى أو إلى الهلاك ولابد من أخذ الحيطة والحذر من سوء استخدام الحاسب الآلي ولابد من الانتباه الى الاساليب الصحية السليمة لاستخدام هذه الأجهزة، حتى لا يعتدى مستخدموها على أنفسهم، إذ أنه إذا أحسن الانسان استخدام أجهزة



الحاسب الآلي فلن يعرّض نفسه الى الأذى.

والكتاب يحتوى على ١٢٨ صفحة من الحجم الكبير.

** «شهود هذا العصر» بقلم الأستاذ/ محمد الوعيل رئيس تحرير صحيفة المسائية.

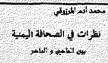
الكتاب مجموعة لقاءات وحوارات اجراها الأستاذ محمد الوعيل مع عدد من رجالات الملك عبد العزيز - رحمه الله - ومع اصحاب السمو الملكى الأمراء، ورؤساء الدول، ومع رجال المال والأعمال، ومع عدد من المثقفين والمفكرين.

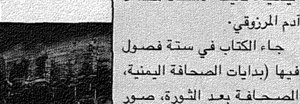
والكتاب في جزئه الأول يمثل توثيقا لتاريخ المملكة على لسان من أجريت معهم الحوارات واللقاءات.. ونتمنى للاستاذ الوعيل التوفيق في اصدار ما تبقى من هذا الاصدار.



** «أبكيك يا ولدي» كتاب من اعداد الاستاذ خالد بن حمد المالك.

الكتاب دمعة حزينة حرّى على ابنه (فهد) والكتاب في مجمله كلمات عزاء من محبي الاستاذ المالكى، في وفاة ابنه (فهد) والكتاب صيغة من صيغ التواد والتراحم الاجتماعي الذى يتمتع به شعب هذه البلاد الطيبة.





** «نظرات في الصحافة اليمنية» تأليف الاستاذ محمد آدم المرزوقي.

جاء الكتاب في ستة فصول فيها (بدايات الصحافة اليمنية، الصحافة بعد الثورة، صور الاتصال والاعلام) هذا الكتاب يعتبر دراسة منهجية قيمة للصحافة اليمنية ماضيها وحاضرها وتطورها.

** «وطني سيد البقاع» ديوان شعر للأستاذ الشاعر ابراهيم صعابي، صادر نادي أبها الأدبي ١٤١٩هـ، اشتمل الديوان على (إحدى عشرة قصيدة) تغنى فيها الشاعر لهذا الوطن الغالي.



** «من جوانب العدالة عند الملك عبد العزيز» تأليف الاستاذ عبد الرحمن بن صالح آل عبد اللطيف.

هذا الكتاب عرض موثق عن جوانب العدالة في حياة الملك عبد العزيز، وفيه أخبار وقصص عن صفات الملك عبد العزيز وشخصيته ولمحات عن تاريخ حياته في الكويت وشجاعته، وتوخيه الدقة في اختيار رجال دولته الأكفاء، وحقوق المواطن والتكافل الاجتماعي الذى هو من ابرز مميزات الدولة السعودية.



** «ترجمة الكتب الى اللغة العربية في المملكة العربية السعودية» دراسة ببليومترية بقلم نورة صالح الناصر، من منشورات مكتبة الملك/ عبد العزيز العامة/ الرياض. الكتاب شمل الفترة (١٣٥١ - ١٤١٢هـ) هذا الكتاب صدر في سلسلة (الاعمال المحكمة) برقم ٢١، وجاء الكتاب في اكثر من (٦٠٠) صفحة.

هذا الكتاب يبحث في اعمال الترجمة إلى العربية في المملكة العربية خلال ستين عاماً، في كل مجالات وميادين العمل في المملكة

نحو دراسة جامعية مضمونة النتائج

يشكو الكثير من أساتذة الجامعات، في هذه الأيام، من ضعف المستوى الثقافي لدى الطلاب المنتسبين الجدد الى الجامعات، فتلقى اللائمة على مدارس ما قبل التعليم الجامعي التي تحاول بدورها أن تتدارك الخلل بمراجعة مستمرة للمناهج وطرق التدريس فيها، ولكن على الرغم مما تقوم به المدارس من تحسين وتنظيم، لا يزال الجدال مستمرا والتهمة قائمة.

فالمشكلة، كما يراها الكثير من أساتذة الجامعات، تتمثل في غياب أو ضعف الترابط بين المناهج المدرسية والمناهج الجامعية، فمن المفترض أن يأتي الطالب من المدرسة إلى الجامعة وهو يحمل في حقيبته المبادئ الأولية والأساسية لنوع العلم الذي ينوي التخصص فيه، فينحصر دور الجامعة بالنهوض بالطالب من خلال هذه المبادئ والأساسيات إلى عالم أكثر انفتاحاً ومعرفة، فيطّلع على جزئيات هذا العلم ومكوناته من البداية إلى القمة، ويتعرف على أسماء من شارك في بناء مملكته، وذلك من أجل النهوض بالمستوى الإدراكي للطالب وتأهيله للابتكار والإبداع. إذاً، لابد من وجود أساسيات لدى الطالب، والتى تؤلف المنصة التي يمكن أن ينطلق منها ليتابع دراسته بنجاح في المرحلة الجامعية.

فلو ألقينا نظرة شاملة وسريعة إلى ما يُدرّس في مدارس ما قبل الجامعة لرأينا أن هناك من العلوم ما يدرّس كله أو نصفه أو جزء منه، وأن هناك من المواضيع التي تدرّسها المدارس بشكل مفصل تعتبر في الجامعة مواضيع غير أساسية أو لا حاجة لها، وهناك من العلوم ما يتطلب حصصاً أكثر من بعض العلوم الأخرى، والعكس ربما يكون صحيحاً، وعلينا أن لا ننكر فضل المدرسة وأعباءها الكثيرة والدور الأمثل الذي تقوم به في تربية الأجيال، بالإضافة إلى مسئوليتها أمام المجتمع والوطن.

ومن أجل تأهيل الطلاب، أو إعدادهم للدراسة الجامعية يجب أن يكون هناك تنسيق متكامل ودقيق، بين المناهج المدرسية والجامعية، ولا يمكن أن يكون هذا التنسيق متكاملا ومتفاعلا، ما لم تكن هناك مرحلة تخصصية تسبق دخول الطالب إلى الجامعة، يدرّس فيها مبادئ وأساسيات العلوم بكل تخصصاتها.

بقلم : د. محمد قاسم هرموش
جامعة الملك سعود ـ الرياض

وعلى هذا الأساس نقترح تخصيص ما يسمى «بالمرحلة الثانوية» للقيام بهذه المهمة، فالمرحلة الثانوية بسنواتها الثلاث، يمكن أن تكون دراسة تخصصية، ونعني بذلك إيجاد تخصصات مماثلة لتخصصات الجامعة أو لفروعها وأقسامها، وأن تكون المرحلة الإعدادية «المتوسطة» مرحلة ثقافية يدّرس فيها مجمل العلوم العامة، بحيث يقوم المدرس في هذه المرحلة بإعطاء فكرة شاملة وعامة عن كل علم من العلوم، موضحاً إيجابياته وسلبياته وأهميته في المستقبل، وحاجة المجتمع له وإعطاء تقييم كامل عن هذا العلم، على أن يكون التقييم واقعياً ومنطقيا، بحيث يستطيع الطالب في هذه المرحلة تكوين مفهوم شامل ومتكامل، عن ماهية العلوم، ليستطيع في النهاية اختيار ما يجده مناسباً لقدراته ورغباته لتكون مهنته في المستقبل.

على هذا الأساس يجب أن يترك للطالب حرية اختيار نوعية العلم عند الانتقال إلى المرحلة الثانوية، والتي كما أشرنا ستكون «تخصصية»، وأنه لابد من التأكيد بأن اختيار الطالب لنوع العلم الذي يتخصص فيه في المرحلة الثانوية، يجب أن يكون نابعاً من رغبته الذاتية بعيداً عن ضغوط الأهل أو رغباتهم أو مؤثراتهم أو التقييم المدرسي، ونعني بذلك أن لا يدخل تحصيل الطالب أو علاماته أو تقييمه العلمي في تحديد نوع تخصصه، أو إرغامه على دراسة تخصص ليس مقتنعاً به وذلك تحت أي ذريعة من الذرائع، وأن يكون اختيار الطالب نابعاً عن رغبة ذاتية سليمة وصادقة.

ربما يدعي البعض بأن الطالب لا يستطيع في هذه المرحلة أن يختار بنفسه نوع مهنته في المستقبل، ولكن في اعتقادي أن مثل هذا الادعاء أو المفهوم ليس شاملا وعاماً، فمن خلال تجاربنا وتجارب الكثير ممن نعرفهم وممن قرأنا عنهم، نعتقد أن الطالب في هذه المرحلة بالذات يستطيع أن يكوّن فكرة عامة عن نوع التخصص الذي يود دراسته في الجامعة.

هذا ومن أجل التكامل والتطابق بين المناهج المدرسية والجامعية، لابد من وجود لجنة مشتركة تعمل بشكل متواصل على إعداد المناهج ومراقبة تنفيذها في كل من المرحلة التخصصية والجامعية، وتقوم هذه اللجنة بوضع الدراسات وإعداد البحوث التي من شأنها الارتقاء بهذا العمل المشترك من أجل رفع هوية الطالب العلمية وردم الهوة بين المدرسة والجامعة.

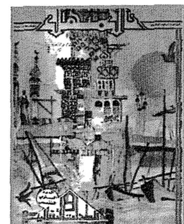


الأمن والأمان
شعبان ورمضان ١٤٠٥هـ/ مايو ويونيو ١٩٨٥ م

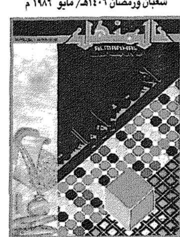


الثقافة العربية
شعبان ورمضان ١٤٠٦هـ/ مايو ١٩٨٦ م

الأثر والآثار
رمضان وشوال ١٤٠٧هـ/ مايو ويونيو ١٩٨٧ م

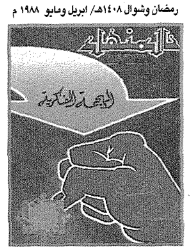


العادات والتقاليد
رمضان وشوال ١٤٠٨هـ/ ابريل ومايو ١٩٨٨ م



الاستشراق والمستشرقون
رمضان وشوال ١٤٠٩هـ/ ابريل ومايو ١٩٨٩ م

الابداع والبدعون
شوال وذو القعدة ١٤١٠هـ/ مايو ويونيو ١٩٩٠ م



الهجمة الفكرية والتصدي الحضاري
شوال وذو القعدة ١٤١٢هـ/ ابريل ومايو ١٩٩٢ م



اللغة العربية .. آفاق مستقبلية
شوال وذو القعدة ١٤١٣هـ/ ابريل ومايو ١٩٩٣ م



النقد والنقاد
شوال وذو القعدة ١٤١٦هـ/ فبراير ومارس ١٩٩٦ م

من اعدادنا السنوية المتخصصة